الشهيد الصدر

سنوات المحنة وأيام الحصار

عرض لسيرته الذاتية ومسيرته السياسية والجهادية

الشيخ محمد رضا النعماني

الشهيد الصدر

سنوات المحنة وأيّام الحصار



اسم الكتاب : الشهيد الصدر سنوات المحنة و ايام الحصار

المؤلف : الشيخ محمد رضا النعماني

الناشر : المؤلف

المطبعة : اسماعيليان

عدد النسخ : ٣٠٠٠ نسخة

الطبعة : الثانية ١٩٩٧ ـ ١٤١٧

السعر : ٧٠٠ تومان

الشهيد الصدر
سنوات المحنة وأيام الحصار

عرض لسيرته الذاتيّة ومسيرته السياسيّة والجهاديّة

بقلم

الشيخ محمّد رضا النعماني



﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون * فرحين بما ءاتهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون * يستبشرون بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ وأنّ اللهَ لا يُضيعُ أجر المؤمنين﴾ (آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١).

المحتويات

الفصل الثاني

الشهيد الصدر كما رأيته

الفصل الثالث

الشهيد الصدر (رض) المنهج السياسي والجهادي

الفصل الرابع

الشهيد الصدر الاعتقالات ومحاولات الاغتيال والمراقبة الحكوميّة

الفصل الخامس

الشهيد الصدر (رض) المواقف الجهاديّة وقيادة الثورة

الفصل السادس

الشهيد الصدر (رض) المفاوضات الآخيرة والاستشهاد

الإهداء ..

إلى الشهيدة التي عاشت مع أخيها مسيرة الهموم والآلام، وشاركته مرارة المحن والمصائب، بقلب مطمئن، وعزم ثابت، وروح ما سئمت يوماً من المعاناة رغم قساوتها ..

إلى الشهيده التي أبت إلّا أن يمتزج دمها بدم أخيها، كما امتزجت قبل ذلك روحها مع روحه..

إلى المضرّجة بدماء الصبر والعفاف والإباء ..

إلى ضجيعة أخيها في قبره ..

إلى بنت الهدى أهدي ثواب هذا الجهد البسيط راجياً من المولى القبول..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل الطيبين الطاهرين.

وبعد: إن ترجمة حياة أستاذنا الشهيد آية الله العظمى الصدر (رض) وأمثاله من عظماء الاسلام واجبة على أصحابه المطلعين على أوضاعهم أولاً: بأمل أن يكون ذلك أداءً لجزء يسير من حقوقهم، و ثانياً: بأمل أن يستفيد الجميع من أنوارهم القدسية، ومن نفحاتهم الالهية، ومن سيرتهم التي ينبغي الاقتداء بها. ويعتبر فضيلة حجة الاسلام الشيخ محمد رضا النعماني حفظه الله ممن واكب مسيرة أستاذنا الشهيد الصدر (رض) فترة طويلة وخاصة فترة الحجز القاسية التي كان رفيقه الوحيد فيها فتوفرت لديه معلومات كثيرة ومواقف مشتركة في الحجز لسيدنا الشهيد في التضحية والفداء والإيثار مما كانت تبقى قيد الكتمان إلى الأبد لولا وجود الشيخ معه ولهذا فترجمته بالخصوص لحياة الأستاذ الشهيد لها نكهتها الخاصة بها وقد استفدت من كتاباته فيما كتبته سابقاً عن فترة الحجز ضمن ترجمتي لسيدنا الأستاذ في مقدمة كتاب مباحث الأصول وإنّي آمل أن يطلع الجميع على سيرة ومواقف هذا الشهيد العظيم من خلال قراءة لهذا الكتاب الذي بين يديك وختاماً نرجو من الله أن يوفقنا للأخذ بثاره ولإقامة حكم الإسلام في أرض عراقنا الجريح تحت راية ولي أمر المسلمين المتمثل اليوم بسماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنه اي حفظه الله وسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٨ ذي القعدة ١٤١٦ كاظم الحسيني الحائري

تقديم

بقلم: سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري(مد ظله)

الحمد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد: فإنّ ترجمة حياة أُستاذنا الشهيد آية اللّه العظمى الصدر؛ وأمثاله من عظماء الإسلام واجبة على أصحابه المطّلعين على أوضاعهم:

أوّلاً: بأمل أن يكون ذلك أداءاً لجزء يسير من حقوقهم.

ثانياً: بأمل أن يستفيد الجميع من أنوارهم القدسيّة ومن نفحاتهم الإلٰهيّة، ومن سيرتهم التي ينبغي الاقتداء بها.

ويعتبر فضيلة حجّة الإسلام الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه اللّه) ممّن واكب مسيرة أُستاذنا الشهيد الصدر ﷺ فترة طويلة وخاصّة فترة الحجز القاسية التي كان رفيقه الوحيد فيها، فتوفّرت لديه معلومات كثيرة ومواقف مشرّفة في الحجز لسيّدنا الشهيد في التضحية والفداء والإيثار ممّا كانت تبقى قيد الكتمان إلى الأبد لو لا وجود الشيخ معه. ولهذا فترجمته بالخصوص لحياة الأُستاذ الشهيد لها نكهتها الخاصّة بها، وقد استفدت من كتاباته فيما كتبته سابقاً عن فترة الحجز ضمن ترجمتي لسيّدنا الأُستاذ في مقدّمة كتاب «مباحث الأُصول»، وإنّي آمل أن يطّلع الجميع على سيرة ومواقف هذا الشهيد العظيم من خلال قراءة هذا الكتاب الذي بين يديك.

وختاماً نرجو من اللّه أن يوفّقنا للأخذ بثاره ولإقامة حكم الإسلام في أرض عراقنا الجريح تحت راية وليّ أمر المسلمين المتمثّل اليوم بسماحة آية اللّه العظمى السيد علي الخامنئي (حفظه اللّه).

وسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً. وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

٢٨ ذي القعدة ١٤١٦ كاظم الحسيني الحائري

المقدّمة

لاحت في الأُفق ونحن في الشهر التاسع من أشهر الحجز (سنة ١٩٧٩م) مؤشّرات تدلّ على تصميم السلطة العفلقيّة العميلة الحاكمة في العراق على إعدام سيّدنا الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) بعد فشل مفاوضاتها معه ورفضه الاستجابة لأيّ شرط مهما كان بسيطاً ومقبولاً، كما سنرى خلال هذه المذكّرات.

وكان (رضوان اللّه عليه) قد تهيّأ منذ فترة طويلة لمواجهة هذا المصير المقدّس، ولقاء اللّه ـ تعالى ـ وقد خطّط لطريقة الاستشهاد ومكانه ووقته، وسوف يأتي تفصيل ذلك في الفصل الأخير من هذه المذكّرات.

كان قلبي ولساني يلهج بالدعاء في أن لا ياتي هذا اليوم الذي لم أعرف يوماً أسوأ منه في حياتي، ولم يكن قلبي يسمح لي حتّى بتصوّره، فهل حقّاً سنفقد عن قريب رجلاً جسّد الإسلام فكراً وسلوكاً وذاب فيه إلى الحدّ الذي كان يرى فيه أنّ الاستشهاد هو آخر ما يمكن أن يقدّمه له ويخدمه فيه؟!

في ذلك الجوّ المظلم المكفهر، وتلك الفترة العصيبة فكّرت أن أطلب منه ﷺ أن يكتب ترجمة لحياته، يكشف فيها عن جوانب حياته العلميّة، ونشاطاته السياسيّة والجهاديّة، وتفاصيل مسيرته الشاقّة في الحياة، وخصوصاً فترة الحجز التي اكتنفتها أحداث خطيرة، ومثيرة، وحسّاسة جدّاً.

ولا أنسى عصر ذلك اليوم وقد جلسنا معاً على سطح الدار، وقبّة حرم أمير

المؤمنين عليه السلام تلوح أمامنا، وقد أدّينا الزيارة والسلام، وكانت هذه عادته في كلّ يوم، عندها جمعت قواي، وشددت همّتي، وتجرّأت إلى حدٍ كبير، فطلبت من سماحته أن يحقّق هذه الأُمنية.

قلت لسماحته: إنّني أشعر بضرورة وأهمّية أن تقوموا بترجمة لحياتكم فأنتم أقدر على هذه المهمّة بالمستوى الذي يُشبع طموح أبناء الأُمّة وعلمائها ومفكّريها. إذ لا يمكن لأحدٍ غيرك أن يستوعب جميع جوانب حياتكم، ويكتب عنها، وخصوصاً المعانات الكبيرة التي عشتموها في مسيرتكم الجهاديّة منذ بدايتها وحتّى هذه الساعة، وقد لا يصدّق الناس حجم المحنة وعِظَمَ المعانات إن كتبها أحد سواكم. وذكرت له بعض الشواهد والنماذج ممّا يصعب تصديقه أو وقوعه.

ثمّ قلت: إنّ تاريخ أئمتنا عليهم السلام حافل بالكثير من أمثال هذه الترجمات التي فرضتها الضرورات، أو مصلحة الإسلام. لقد ترجم الإمام علي عليه السلام نفسه للمسلمين من على المنبر، وفي مناسبات متعدّدة، فذكر جهاده مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ومواقفه في صدر الإسلام، وما تعرّض له من ظلم واضطهاد بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا فعل الإمام علي بن الحسين عليه السلام ولم يُفسّر ذلك على أنّه حبّ للذات، أو الشهرة، خصوصاً وأنّكم تعتقدون أنّ نهاية المطاف هو الاستشهاد في سبيل اللّه عزّ وجلّ.

تردّد (رضوان اللّه عليه) في القبول بهذه الفكرة، وقال:

«إنّ دمّي هو الذي سيترجمني، فأنا لا أُريد إلّا خدمة الإسلام، وهو اليوم بحاجة إلى دمي أكثر من حاجته إلى ترجمتي، أمّا أنت فقد عشت معي طويلاً، وشاركتني محنتي، وعشت مراحل صراعي مع الظالمين، فعرفت الكثير من تلك الجوانب، فإن كتب اللّه ـ تعالى ـ لك السلامة فاكتب ما قد رأيته أو سمعته...».

وبعد حديث طويل جرى بيني وبينه عن هذا الموضوع. قلت لسماحته: إنّ أحداثاً خطيرة ومهمّة وقعت في فترة الحجز، فمن سيصدّق أنّها وقعت إن لم تُكتب

بقلمكم ؟

فقال : « **نعم، قد أكتب بعض ذلك ..** » .

والواقع كانت هناك مبرّرات عديدة دفعتني لأطلب من السيد الشهيد ﵀ كتابة تاريخه الجهادي ، ونشاطه السياسي ، وحياته العلميّة .

أوّلها : أهمّية الأحداث التي عاشها ، ابتداءاً من تأسيس جماعة العلماء ، وإلى فترة الاحتجاز ، وما تخلّلها من أحداث كبيرة في إطار الصراع مع سلطة حزب البعث المتسلّط على العراق ، والأسباب التي دعته إلى التصميم على الاستشهاد ، وما إلى ذلك ، وهو تاريخ حافل بالمواقف الجهاديّة والتضحويّة التي تستحقّ الخلود في قلوب الأجيال .

ثانيها : السيرة الذاتية للسيد الشهيد وما عُرف عنه من سلوك أخلاقي رفيع ، ونكران للذات في سبيل المبادئ ، ومن تفانٍ وتضحية ، وزهد في حطام الدنيا ، وعشق للترابيّة وحياة البساطة . إنّ الشهيد الصدر يعتبر مثلاً ونموذجاً فريداً في هذا المجال ، يحتذى ويقتدى به .

ثالثها : البعد العلمي والمعرفي بآفاقه الواسعة التي شملت الأبعاد الأُصوليّة ، والفقهيّة ، والفلسفيّة ، والاقتصاديّة ، والتاريخيّة ، وغير ذلك .

لقد أبدع السيد الشهيد في كلّ المجالات العلميّة التي تعرّض لها ، أو كتب فيها ، وتميّز بمنهجية جديدة لدى خوضه تلك الميادين ، وعُرف بالدقّة والعمق ، والأصالة والتجديد . إنّ هذه الأبعاد بحاجة إلى اكتشاف دقيق يمتدّ إلى عمق كبير في بحر زاخر بالعلوم والمعارف .

ورابعها : ما تعرّض له (رضوان اللّه عليه) من إيذاء واضطهاد ، لا من قبل السلطة المجرمة فحسب ، بل ومن قبل بعض الأوساط العلميّة والحوزويّة ، وهو تاريخ حافل بالمآسي والآلام ، وكشاهد على ذلك ما ذكره لي هو ﵀ حينما اجتمع به المجرم فاضل البرّاك (مدير الأمن العام) في الكوفة إذ قال له :

«سيّدنا: إنّي أتمكن من اتلاف كلّ التقارير التي تكتب ضدكم، والتي ترفع إلينا من قِبل مديريات الأمن، ولكن ماذا يمكن أن أفعل للتقارير التي تُرفع للقيادة مباشرة دون أن تمرّ بنا من قبل فلان وفلان، وذكر أسماءهم، ثمّ قدّم له نماذج منها» !!؟

إنّ هذا الفصل من تاريخ السيد الشهيد الصدر يستحق الوقوف عنده طويلاً، لما يحفل به من حوادث كثيرة ساهمت في زجّ السيد الشهيد في أقبية مديريّة الأمن العامّة والانتهاء به إلى الشهادة.

وإنّي على يقين أنّ أحداً غير السيد الشهيد لا يستطيع أن يخوض غمار هذا الميدان، ويكشف عن مُرّ الحقّ وحقائقه المؤلمة، وسوف يتعرّض للتقريع والتشنيع، وإلى حملات من التشهير والتسقيط لا نهاية لها.

إنّ هذه المبرّرات دفعتني لأن أطلب منه ﷺ الكتابة عن نفسه في تلك المجالات وغيرها، وممّا لاشكّ فيه أنّه لو كتب ذلك لكان كتابُه رائعة تضاف إلى جانب اقتصادنا وفلسفتنا والأُسس المنطقيّة للاستقراء، ولتعلّمنا منه كيف نكتب السيرة ونترجم العظماء، وندوّن التاريخ، ولكن ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه، ففي نهاية المطاف وجدت نفسي مرغماً على كتابة تاريخ السيد الشهيد الصدر بحكم معايشتي له فترة طويلة بما في ذلك سنوات المحنة، وأيّام الاضطهاد.

وإنّي اعترف أنّ هذه المحاولة تقصر عن التعبير بالشكل المناسب عن شخصية شهيدنا الخالد، وكلّ ما يقال لا يعبّر تعبيراً تاماً عن الحقيقة؛ ذلك أنّ السيد الشهيد الصدر لم يُكتشف بعد، ولعلّ الأجيال اللاحقة ستكتشف أبعاده العلميّة والقياديّة والحضاريّة، وحجم خسارة الأُمّة الإسلاميّة والبشريّة بفقده.

وماكان كتابي هذا إلّا محاولة على هذا الطريق آليت على نفسي الابتعاد فيها عن

الجوانب التقويميّة والتحليليّة ، واكتفيت بسرد سريع ومختصر للأحداث بالمقدار الذي اسعفتني به الذاكرة وسمحت به الظروف ؛ ذلك لأنّ دراسة تحليليّة شاملة تحتاج إلى جهود عدد من العلماء والمفكّرين وخصوصاً طلاب السيد الشهيد الذين واكبوه في حياته العلميّة ومسيرته الجهاديّة .

وعلى ذلك ، فإنّ هذا الكتاب جزء من مذكّرات أردت أن أعكس فيها جوانب من سيرة السيد الشهيد الصدر ، لكي تكون مادّة لمن يريد دراسة حياته بأبعادها المختلفة .

إنّ الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) أُمّة بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، يمتلك مقوّماتها التي تجعله يمتدّ إلى ما تمتدّ إليه الأُمم ، ويمتلك عناصر الخلود المتمثّلة بدمه الزكي ، ومواقفه الجهاديّة ، وعطائه العلمي ، وتفانيه في اللّه ـ تعالى ـ ، وتضحيته من أجل الإسلام .

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً .

المؤلّف

الفصل الأوّل

الشهيد الصدر (رض)
الأسرة والنشأة العلميّة

الشهيد الصدر «الأُسرة والنسب»

كنت متردّداً في الكتابة عن أُسرة الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) وكانت النسخة الأُولى من هذه المذكرات خالية من أيّ إشارة لهذه الأُسرة الكريمة؛ لعلمي المسبق بموقف الشهيد الصدر من هذه الأُمور، فهو لا يؤمن بشيء من تلك المفاهيم في إطار العمل الإسلامي والمرجعي، بل سعى كثيراً ـ كما سأُشير ـ لإبعاد المرجعية عن هكذا اعتبارات وتأطيرها بهذا اللون من القيم الاجتماعيّة، فهو لا يرى للكيان الأُسري أيّ اعتبار، وهذا ما نلمسه على الصعيد النظري في أهداف مشروع المرجعيّة الموضوعيّة الذي كتبه بنفسه وطُبع بعد استشهاده.

وأمّا على الصعيد العملي فقد سارع الشهيد الصدر لتطبيق ذلك في دائرة عمله وتحرّكه، فاختار كافة أعضاء جهازه المرجعي من غير أرحامه وأقاربه، في الوقت الذي كان بأمسّ الحاجة إليهم للقيام ببعض الأعمال الضروريّة، ومنها المناسبات الاجتماعيّة التي تقتضي مشاركة من يمثّل السيد الشهيد من أرحامه وأقاربه، وفي هذه الحالة فقط كان يبعث من يمثّله في المناسبات المهمّة من أقاربه كسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين الصدر أو ابن أخيه سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين السيد إسماعيل الصدر (حفظهما اللّه) وأحدهما في بغداد والآخر في الكاظميّة، وحتى هذا المقدار البسيط كان يحرجه نفسيّاً في بعض الأحيان.

وأتذكر أنّ السيد الشهيد حينما كان يؤمّ المصلّين في الحسينيّة الشوشتريّة

تخلّف يوماً عن الحضور، فطلب المصلّون من أحد أرحامه ـ وهو معروف بالفضل والتقوى ـ أن يتقدّمهم للصلاة جماعة، فصلّى بهم الظهر والعصر بعد إصرار وإلحاح شديد من قبلهم، ولمّا بلغ السيد الشهيد ذلك تأثّر تأثّراً بالغاً، فأرسل إليه أن يحضر وعندها عاتبه وطلب منه أن لا يكرر ذلك في المستقبل مهما كانت الأسباب.

ومن المؤكّد أنّ هذا اللون من التفكير والسلوك كان يستهدف حماية المرجعيّة باعتبارها الممثّل الحقيقي لخط الأئمة عليهم السلام الذي يقوم على أساس المقاييس الربانيّة وليس على أساس العواطف والرغبات الخاصّة.

أضف إلى ذلك أجواء النجف الحسّاسة جداً من تلك الأمور فكان (رضوان اللّه عليه) يقول:

«يجب على المرجعيّة أنّ ترسّخ وجودها في القواعد الشعبيّة في النجف قبل أن تمتدّ إلى المدن الأُخرى؛ لأنّ النجف هي المدينة التي تحتضن المرجعيّة، فإذا ما ربحتها كان امتدادها إلى غيرها أسهل».

لقد جسّد الشهيد الصدر في سلوكه الشخصي والمرجعي ما يؤمن به من دون التعريض بالآخرين أو المسّ بهم، فهو حقّاً القدوة الصالحة والنموذج الرائع.

إنّ الذي حداني عن العدول عن موقفي الأوّل، حيث لم أُدوّن شيئاً عن أُسرة شهيدنا الصدر، عدة أُمور:

أوّلها: أنّ السيد الشهيد شخصيّة عالميّة، أخذ مكانة سامية في العالم الإسلامي وفي قلوب المؤمنين والمسلمين، وقد لاحظت أنّ بعض الشباب وخاصة طلاب الجامعات في العالم الإسلامي وغيره كتبوا رسائلهم الجامعيّة عن شخصية السيد الشهيد الدينيّة والعلميّة والسياسيّة فكانت تنقصهم معلومات كثيرة، منها معلومات عن أُسرة السيد الشهيد الصدر.

ومن المعروف أنّ الدراسات العلميّة والاجتماعيّة الحديثة تعتمد في جانبٍ من تقييمها ودراساتها للشخصيات على الأُسرة بمعناها الخاصّ والعام، فاقتضت

الضرورة أن نسدّ هذا الفراغ ولو بشكل يسير.

وثانيها: أنّ بعض الأُخوة الاعزاء طلبوا منّي أن لا تقتصر هذه المذكرات على أحداث رجب وفترة الاحتجاز فقط، فاقترحوا أن تتسم بشمولها على الحديث عن أُسرة السيد الشهيد؛ كي تلبي حاجة القارئ وتساعده على معرفة هذا الجانب من شخصية السيد الشهيد الصدر.

وثالثها: وهو الأهمّ في نظري والذي حفّزني بشكل كبير على كتابة هذا الفصل، أنّ الذي يقرأ تاريخ هذه الأُسرة ويطّلع على تفاصيل حياة وسيرة معظم رجالها المعروفين بالعلم والتقوى والجهاد، وحسن السيرة، ودماثة الأخلاق، وصفاء السريرة، يحقّ له أنّ يعتز ويفتخر بهم، فكلّ أجداد السيد الشهيد وآبائه علماء فطاحل؛ ومعظمهم مراجع كبار، وأعيان يشار إليهم بالبنان، ولكن هل كان لذلك تأثير نفسي -ولو لا شعوري- على شخصية السيد الشهيد جعله يصنّف نفسه في طبقة عليا تختلف عن بقية الناس، ويتعامل معهم على أساس ذلك؟

كلا والله، كان لا يزيده العز إلّا تذلّلاً، ولا يزيده المجد إلّا تواضعاً، ولم يكن لهذه الأُمور موقعاً في نفسه وتفكيره، يعتز بكلّ أحد بمقدار صلته بالإسلام وتفانيه فيه، وحبّه وتمسّكه به، سواء كان من أُسرة آل الصدر أو من عامّة الناس من أبناء الإسلام.

لم اسمعه يوماً يقول: كان أبي أو كان جدّي وإن حقّ له أن يفتخر بهم، بل كان همّه الإسلام، وغايته في كلّ تحرّكاته خدمة أهداف الرسالة، ولا مكان في قلبه لغير ذلك من المعايير والأهداف.

هذا الأمر يُعتبر من الدروس المهمة في سيرة الشهيد الصدر وسلوكه المثالي باتّجاه بناء مرجعيّة موضوعيّة تعتمد المقاييس الإسلاميّة فقط في كلّ خطواتها وأعمالها لا العواطف والروابط والولاءات الشخصيّة والعائليّة.

أُسرة آل الصدر

لا تخلو موسوعة رجاليّة من ترجمة لرجال أُسرة آل الصدر، فهذه الأُسرة المباركة أُسرة علمية معروفة، ولمّا كان هدفنا ترجمة أحد أبرز رجالها في هذا القرن وهو شهيدنا الخالد آية اللّه العظمى السيد محمّد باقر الصدر (رضوان اللّه عليه) وليس رجال الأُسرة جميعاً فقد اقتصرنا على ما هو الضروري وما يتطلّبه الموضوع. وكان المرحوم حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد الغني الأردبيلي[1] قد جمع من كتب الرجال والتراجم موجزاً عن أُسرة آل الصدر. وقد نقله عنه أُستاذنا الحجة آية اللّه السيد كاظم الحائري (دام ظله) فيما كتبه عن أُستاذه الشهيد الصدر في مقدمة كتابه «مباحث الأُصول» الجزء الأوّل من القسم الثاني، وهنا أنقل ـ مع تغيير يسير وإضافات مناسبة ـ بعض ما جاء في تلك الترجمة.

«أُسرة آل الصدر معروفون بالفضل والتقى والعلم والعمل ومكارم الأخلاق، وقد كانوا مشعلاً للهداية والنور، ومركزاً للزعامة والمرجعيّة الدينيّة، ومداراً للإفادة والإفاضة في مختلف الأجيال، وقد انحدروا من شجرة الرسالة والسلالة العلويّة من أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وهذه الأُسرة العريقة قد اتخذت ألقاباً مختلفة باختلاف العصور طيلة ما يزيد على قرنين، فكانوا يُلقّبون:

تارة بآل أبي سبحة.

وأُخرى بآل حسين القطعي.

وثالثة بآل عبد اللّه.

ورابعة بآل أبي الحسن.

وخامسة بآل شرف الدين.

---

(١) السيد عبد الغني الأردبيلي من طلاب السيد الشهيد والمقرّبين منه، توفي في حادث سيارة في حياة السيد الشهيد ورثاه في مقدمة كتابه «دروس في علم الأُصول» كما سيأتي.

وأخيراً بآل الصدر.

وهنا نشير إلى عدد من الفحول العظام من سلالة هذه الشجرة الطيّبة التي أنجبت قائداً فذّاً، ومرجعاً عبقريّاً لم ترَ عين الزمان مثله ألا هو شهيدنا الغالي السيد محمّد باقر الصدر (رضوان اللّه عليه).

السيد صدر الدين الصدر

هو السيد صدر الدين محمّد بن السيد صالح، بن السيد محمّد، بن السيد إبراهيم شرف الدين، بن زين العابدين، بن السيد نور الدين الموسوي العاملي.

هو فخر من مفاخر الشيعة، وعالم فذّ من كبار علماء المسلمين، ومن نوابغ العلم والأدب، قلَّ من يضاهيه في الفضيلة والتقوى.

ولد في قرية «معركة» من قرى جبل عامل، ونشأ ونما علميّاً في النجف الأشرف، ثمّ هاجر إلى الكاظميّة، ومنها إلى اصفهان، ثمّ عاد إلى النجف الأشرف، وتوفي ودفن فيها رحمه الله.

والده (السيد صالح) من أكابر العلماء، وكان مرجعاً للتقليد، وزعيم الطائفة الإماميّة في بلاد الشام، هاجر من جبل عامل إلى النجف الأشرف فراراً من الحاكم الظالم في جبل عامل وقتئذٍ (أحمد الجزّار) وتوفي في سنة (١٢١٧) هجرية.

ولد السيد صدر الدين الصدر في (٢١) من ذي القعدة من سنة (١١٩٣هـ) في جبل عامل، هاجر في سنة (١١٩٧هـ) مع والده إلى العراق، وسكن النجف الأشرف، واهتمّ بتحصيل العلوم الإسلاميّة والمعارف الإلهيّة في صغر سنّه، حتى إنّه كتب تعليقة على كتاب قطر الندى وهو ابن سبع سنين. وقد نقل عنه أنّه قال: حضرت بحث الأُستاذ الوحيد البهبهاني في سنة (١٢٠٥) وكنت أبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، وكان الأُستاذ معتقداً بحجّيّة مطلق الظنّ، ومصرّاً على ذلك. وحضرت في نفس السنة بحث العلامة الطباطبائي السيد بحر العلوم، وقد قالوا: إنّ السيد بحر العلوم كان يُنظم آنئذٍ ما أسماه بـ

(الدرّة) وكان يعرضها على السيد صدر الدين ؛ لما لاحظ فيه من كماله في فنّ الأدب والشعر.

وقد ذكر السيد حسن الصدر في تكملة «أمل الآمل» أنّ الشيخ جابر الكاظمي ـ الشاعر المعروف مخمّس القصيدة الأزريّة ـ قال: «إنّ السيد الرضي أشعر شعراء قريش والسيد صدر الدين أشعر من السيد الرضي».

بلغ السيد صدر الدين الصدر مرتبة الاجتهاد قبل بلوغه سنّ التكليف، وقد أجازه بالاجتهاد صاحب الرياض ﷺ في سنة (١٢١٠ هـ) وصرّح بأنّه كان مجتهداً قبل أربع سنين.

وهذا يعني أنّه قد بلغ الاجتهاد في السنة الثالثة عشرة من عمره الشريف، وهذا مالم يسمع نظيره إلّا بشأن العلامة الحلي والفاضل الهندي، على أنّه يفوقهما في فنّ الشعر والأدب.

وقد ذكر السيد حسن الصدر في تكملة «أمل الآمل»: أنّ الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر والشيخ حسن بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء ـ وهما من أكابر أساتذة النجف الأشرف ـ كانا يُدينان بالفضل للسيد صدر الدين عند رجوعه من اصفهان إلى النجف الأشرف، وكانا يجلسان لديه جلسة التلميذ لدى أُستاذه.

ودخل يوماً السيد صدر الدين على المحقّق صاحب الجواهر ﷺ فأقبل صاحب الجواهر إليه آخذاً بعضده، وأجلسه محلّه وجلس أمامه وتذاكرا في العلم والفقه، وأنجرَّ الكلام إلى اختلاف الفقهاء في مسألة مّا، فبيّن السيد ببيان فائق اختلاف الفقهاء في تلك المسألة مع اختلاف طبقاتهم من العصر الأوّل إلى زمانه، وفرّع الخلاف في ذلك على اختلافهم في المباني والمسالك، وشرح تلك المباني والفروق فيما بينها .. فتعجّب الشيخ صاحب الجواهر من تبحّر السيد، وقال بعد ذهاب السيد: «يا سبحان اللّه، السيد جالَس جميع العلماء وبحث معهم، ووقف على أذواقهم ومسالكهم. هذا واللّه العجب العجاب، ونحن نعدُّ أنفسنا من الفقهاء! هذا الفقيه المتبحّر».

وقد روى في تكملة أمل الآمل عن الشيخ الجليل عبد العلي النجفي الاصفهاني أنه قال: دخل السيد صدر الدين في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك حرم أمير المؤمنين ﷺ وبعد أن أنهى زيارته للإمام جلس خلف الضريح المقدّس لكي يقرأ دعاء أبي حمزة، وحينما قرأ الجملة الأولى: «إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك» أخذه البكاء، وكرّر الجملة مراراً وهو يبكي إلى أن غشي عليه، فحملوه من الحرم الشريف إلى بيته.

وكانت للسيد ﵀ كلمات ومقاطع خاصّة لدى مناجاته للّه تعالى منها قوله:

رضاك رضاك لا جنّات عدن

وهل عدن تطيب بلا رضاكا

تزوّج السيد صدر الدين ﵀ ببنت الشيخ الأكبر صاحب كشف الغطاء، وولدا ابناً اسمه السيد محمد علي المعروف بـ (أقا مجتهد) وكان من أكابر عصره ونوادر دهره.

وقد ابتلى السيد ﵀ في أواخر حياته في اصفهان باسترخاء في بدنه شبه الفالج، ورأى في عالم الرؤيا الإمام أمير المؤمنين ﷺ فقال له: أنت ضيفنا في النجف الأشرف، فعرف السيد من هذه الرؤيا أنّ وفاته قد اقتربت، فهاجر الى النجف الأشرف، وقد توفي في ليلة الجمعة أوّل شهر صفر من سنة (١٢٦٤ هـ) ودفن في الزاوية الغربيّة من الصحن الشريف قريباً من الباب السلطاني.

مؤلّفات السيد صدر الدين:

١ ـ أُسرة العترة، كتاب فقهي استدلالي.

٢ ـ القسطاس المستقيم، في أُصول الدين.

٣ ـ المستطرفات في فروع لم يتعرّض لها الفقهاء.

٤ ـ شرح منظومة الرضاع، وهي ما نظم بها كتاب الرضاع بأُسلوب رائع، ثمّ شرحها، كما شرحها أيضاً آية اللّه الميرزا محمّد تقي الشيرازي.

٥ ـ التعليقة على رجال أبي علي.

٦ ـ قرّة العين، كتاب في علم العربية كتبه لبعض أولاده. وقد ذكر تلميذه في أوّل معدن الفوائد: أنّ كتاب قرّة العين على صغره يفوق المغني لابن هشام على طوله.

٧ ـ شرح مقبولة عمر بن حنظلة.

٨ ـ رسالة في حجّيّة الظنّ.

٩ ـ رسالة في مسائل ذي الرياستين.

١٠ ـ قوت لا يموت، رسالة عمليّة باللغة الفارسيّة.

مشايخه:

روى السيد صدر الدين ﷺ عن أكثر من أربعين عالماً، نشير إلى بعضهم:

١ ـ روى عن والده وأُستاذه السيد صالح، عن جدّه السيد محمّد، عن أُستاذه الشيخ محمّد بن الحسن الحر العاملي بجميع طرقه المذكورة في آخر الوسائل.

٢ ـ روى عن العلامة الطباطبائي بحر العلوم المتوفى سنة (١٢١٢ هـ)، وكان يعبّر عنه بالأُستاذ الشريف.

٣ ـ روى عن العلامة المير علي صاحب الرياض المتوفى سنة (١٢٣١ هـ).

وكان السيد معجباً بصاحب الرياض، وكان يعتقد أنّه يفوق المحقّق القمّي صاحب القوانين في الفقه وقوّة النظر.

٤ ـ روى عن المحقّق السيد محسن الأعرجي صاحب «المحصول»، وكان السيد ﷺ معجباً بزهده وتحقيقاته، توفي سنة (١٢٢٨ هـ).

٥ ـ روى عن شيخ الطائفة الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٨ هـ).

٦ ـ روى عن السيد الجليل المتبحّر الميرزا مهدي الشهرستاني الموسوي الحائري المتوفى سنة (١٢٧٨ هـ).

٧ ـ روى عن الشيخ الجليل الفقيه الشيخ سليمان معتوق العاملي المتوفى

سنة (١٢٢٨ هـ).

طلابه:

وقد ربّى السيد صدر الدين علماء تخرّجوا على يده منهم:

١ ـ السيد ميرزا محمّد هاشم صاحب كتاب «أُصول آل الرسول».

٢ ـ السيد محمّد باقر الموسوي صاحب كتاب «روضات الجنّات».

٣ ـ شيخ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الأنصاري ﷺ صاحب كتابي «المكاسب والرسائل».

٤ ـ حجة الإسلام السيد محمّد حسن المجّدد الشيرازي ﷺ.

٥ ـ الشيخ شريف العلماء.

السيد إسماعيل الصدر

أُستاذ الفقهاء والمجتهدين آية الله العظمى السيد إسماعيل **الصدر** ﷺ، **ولد في** اصفهان سنة (١٢٥٨ هـ). والده المرحوم السيد صدر الدين **العاملي الذي مضت** ترجمته.

بعد وفاة والده عام (١٢٦٤ هـ) تربّى في كنف أخيه السيد محمّد **علي المعروف** بـ «آقا مجتهد» وكان معروفاً بالذكاء الخارق حتى عدّ في أوائل بلوغه **سنّ التكليف من** العلماء الفضلاء.

هاجر في سنة (١٢٨٠ هـ) من اصفهان إلى النجف الأشرف لغرض التتلمذ على يد الشيخ الأنصاري ﷺ، ولكن حينما وصل إلى كربلاء توفي الشيخ الأنصاري ﷺ، فلم ينثنِ السيد إسماعيل عن عزمه الهجرة إلى النجف الأشرف، فسافر إليها، وتتلّمذ على يد الفقهاء والعلماء آنئذٍ، كما اشتغل بالتدريس وتربية الطلاب أيضاً.

اكتسب السيد ﷺ في فترة بقائه في النجف الأشرف إضافة إلى الفقه والأُصول والحديث معلومات أُخرى عقليّة، كعلم الكلام والفلسفة والرياضيات والهندسة

والهيئة والنجوم على النسق القديم، مع الاطلاع على آراء جديدة. ولم يعرف من أين أخذ هذه العلوم، وعلى يد من تتلمذ فيها. ولم يكن يُعرف أنّه مطّلع على هذه العلوم إلّا حينما كان يتعرّض لها بالمناسبة ضمن أبحاثه الأُصوليّة والفقهيّة.

وأخيراً أصبح من خواص تلاميذ المجدّد الشيرازي، وبعد هجرة المجدّد الشيرازي إلى سامراء بقي السيد الصدر يمارس نشاطه العلمي في النجف الأشرف.

سافر في النصف من شعبان من سنة (١٣٠٩ هـ) إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهناك وصلته رسالة من أستاذه الشيرازي يطالبه فيها بالسفر إلى سامراء، فلبّى دعوة أُستاذه، وذهب إلى سامراء، وكان عازماً على الرجوع إلى دار هجرته النجف الأشرف، لكنّه حينما وصل إلى سامراء ألزمه أُستاذه بالإقامة فيها. وكان السبب في ذلك أنّ السيد المجدّد الشيرازي كان قد ترك التدريس في سنة (١٣٠٠ هـ) تقريباً؛ لكثرة الأشغال والمراجعين وضعف المزاج، فأناط مسؤولية التدريس بالسيد إسماعيل الصدر، وذلك في عام (١٣٠٩ هـ) فأصبح محوراً للتدريس في الحوزة في سامراء، وكان اجتماع أهل الفضل والعلم في درس السيد الصدر أكثر من غيره.

وهكذا استمرّت سامراء محوراً لإشعاع العلم، وكعبة لآمال العلماء، ومحط أنظار الفضلاء في التعليم والتعلّم، وتربية الأخلاق، وتهذيب النفس إلى أن فُجع العالم الإسلامي بوفاة المجدّد الشيرازي.

وانتقلت المرجعيّة والزعامة الشيعيّة من بعد المجدّد الشيرازي إلى السيد الصدر، وسلّم أولاد المجدّد الشيرازي ما بقي من أموال وحقوق شرعيّة بحوزة السيد الشيرازي إلى السيد الصدر.

وكان السيد الصدر زاهداً في الزعامة والمرجعيّة، ولهذا عزم بعد وفاة المجدّد الشيرازي بسنتين على ترك بلد مرجعيّته وقتئذٍ، وهو سامراء فتركها مهاجراً إلى النجف الأشرف، وطلب من العلماء والأكابر أن لا يتركوا سامراء. وحينما وصل في سفره إلى كربلاء استخار اللّه تعالى على الإقامة في النجف الأشرف، فكانت

الاستخارة تدل على النهي ، فاتّخذ من كربلاء مقراً له .

وقد هاجر من سامراء عدد من العلماء والأكابر رغم طلبه منهم عدم الهجرة ، والتحق بهم بعد ذلك آخرون ، فأصبحت كربلاء كعبة آمال العلماء والفضلاء إلى أن مرض السيد في سنة (١٣٣٤ هـ) فسافر إلى الكاظميّة للعلاج ، وتحسّن حاله في أوّل الأمر ، ولكن تدهورت صحّته بعد ذلك ، وتوفي (رضوان اللّه عليه) في (١٢ جمادى الأولى عام ١٣٣٨ هـ) ودفن بجوار جدّه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في مقبرة عائليّة لآل الصدر .

وقد رثاه شعراء وأُدباء وفضلاء بقصائد منهم المرحوم الشيخ مرتضى آل ياسين .

سيرته وأخلاقه:

كان رحمه الله آية في العفّة ، وعلوّ الهمّة ، والاعتماد على النفس ، والتوكّل على اللّه تعالى ، وكان مروّجاً للدين ، ومربّياً للعلماء ، وعوناً للمشتغلين والدارسين ، وكهفاً للفقراء والمساكين ، يوصل الأموال إلى مستحقيها بلا منٍّ ، وأحياناً لم يكن يُعرف أنّ المال من قبله .

كان رحمه الله يتتلّمذ على يد السيد المجدّد الشيرازي رحمه الله الذي هو تلميذ لأبيه السيد صدر الدين ، ولأخيه السيد محمّد علي المعروف بـ (آقا مجتهد) ، ولكنّه لم يعرّف نفسه للسيد المجدّد ، والسيد لم يكن يعلم أنّه ابن أُستاذه ؛ ذلك لأنّه حينما هاجر من اصفهان إلى النجف الأشرف عزم على أن لا يعرّف نفسه لأحد ، حتّى لأولاد عمه وأُسرته في بغداد والكاظميّة ؛ زهداً بالمكانة الاجتماعيّة والمقامات التي تترتّب على ذلك ، وليكون أكثر قدرة على تربية روحه وتهذيب نفسه ، إلى أن صادف أنّه تشرّف بحجّ بيت اللّه الحرام ، وبعد عودته إلى النجف الأشرف أخبر السيد الشيرازي بعض تلاميذه ممّن كان يعرف السيد الصدر بأنّه قد قدم من الحجّ السيد إسماعيل الصدر بن السيد صدر الدين ، فعزم السيد الشيرازي رحمه الله على زيارة ابن أُستاذه وهو لا يعلم أنّه

تلميذه المحبوب والمقرّب منه ، فحينما زاره في بيته فوجئ بأنّ هذا هو ذاك التلميذ الذي كان موضع إعجاب أُستاذه ، فوقف متعجّباً قائلاً : أنت السيد إسماعيل الصدر بن السيد صدر الدين ؟

فقال : بلى ، فيزداد الأُستاذ إعجاباً بهذا التلميذ وبمكارم أخلاقه .

وقد روي أنّ السيد إسماعيل الصدر كان عازماً على أن لا يقترض من أحد مالاً مدى العمر ، وكان وفيّاً بعهده رغم معاناته في أيام دراسته في النجف الأشرف من الفقر والفاقة ، إلى أن صادف ذات يوم أن أصبحت والدته البالغة حدّ الشيخوخة في حالة لا تطاق ، فخاف السيد على سلامتها ، وذهب السيد إلى الصحن الشريف وهو حائر بين أمرين : بين التكليف الشرعي الذي يطالبه بالمحافظة على حياة اُمّه ؛ والذي قد يكون متوقّفاً على الاقتراض ، وبين عهده الذي عاهد نفسه عليه من عدم الاقتراض مدى العمر ، فجلس جلسة المتحيّر المتفكّر في أمره عند حجرة من حجرات الصحن الشريف ، وإذا برجل غير معروف يقف أمام السيد ويسأله : هل أنت سيد موسوي النسب ؟ قال : بلى ، فأعطاه خمسة توامين ، وقال هذا نذر لسيد موسوي النسب ، فأخذها وبقي وفيّاً بعهده مدى العمر .

وكان السيد الصدر ﷺ يحدّث أولاده أحياناً بأمثال هذه القصص والحكايات بهدف تهذيب نفوسهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق .

أساتذته :

١ ـ أخوه السيد محمّد علي المعروف بـ(آقا مجتهد) ، درس على يده السطح العالي وبعض كتب اللغة العربية والرياضيات .

٢ ـ الشيخ محمّد باقر الاصفهاني ، درس على يده بحث الخارج لمدة عشر سنين .

٣ ـ الفقيه المتبحّر الشيخ راضي النجفي .

٤ ـ الشيخ الفقيه أُستاذ العلماء والمحقّقين الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء.
٥ ـ الأُستاذ الأكبر المجدّد الشيرازي.

طلابه:

قد ربّى السيد إسماعيل الصدر تلاميذ وعلماء كثيرين تخرّجوا على يده في النجف الأشرف وسامراء وكربلاء والكاظميّة ،نكتفي بالإشارة إلى أهمّهم:
١ ـ آية اللّه الحاج السيد أبو القاسم الدهكوري الاصفهاني، تتلمذ على يد السيد الصدر في سامراء، ثم هاجر إلى اصفهان، وأصبح مرجعاً عاماً من مراجع المسلمين.
٢ ـ حجة الإسلام الحاج السيد حسين الفشاركي الاصفهاني.
٣ ـ آية اللّه الشيخ عبد الحسين آل ياسين الكاظمي، وبعد وفاة أُستاذه أصبح أحد المراجع الكبار في الكاظميّة.
٤ ـ حجة الإسلام والمسلمين الميرزا علي آقا الشيرازي، ابن المجدّد الشيرازي.
٥ ـ حجة الإسلام والمسلمين السيد علي السيستاني، تتلمذ على يده في سامراء وكربلاء، وهاجر إلى مشهد الرضا عليه السلام وأصبح أحد المراجع العظام في تلك الديار.
٦ ـ أُستاذ الفقهاء والمجتهدين آية اللّه العظمى الميرزا محمّد حسن النائيني.
٧ ـ حجة الإسلام والمسلمين الميرزا محمّد حسين الطبسي.
٨ ـ آية اللّه الشيخ محمّد رضا آل ياسين.
٩ ـ آية اللّه المجاهد الإمام عبد الحسين شرف الدين.

أولاده:

خلّف من بعده أولاداً أربع كانوا جميعاً آية في العلم، ومحاسن الأخلاق، والورع والتقوى، وهم:

١ ـ آية اللّه السيد محمّد مهدي الصدر.

٢ ـ آية اللّه السيد صدر الدين الصدر.

٣ ـ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمّد جواد الصدر.

٤ ـ آية اللّه السيد حيدر الصدر.

السيد حيدر الصدر .

وهو والد سيدنا الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليهما) كان مثال العالم العابد الزاهد، ولد في سامراء في شهر جمادى الأولى عام (١٣٠٩ هـ) . قال بعض العلماء العامليّين في تاريخ ولادته :

فحيدرٌ واليمنُ قد جاءا معاً

فنادِ بالتاريخ يُمنٌ قد ظهر

هاجر بصحبة والده إلى كربلاء في سنة (١٣١٤ هـ) ودرس المقدّمات والعلوم العربية على يد عدّة من العلماء الفضلاء، ثمّ درس بحث الخارج على يد أبيه السيد إسماعيل الصدر، وعلى يد السيد حسين الفشاركي، والمرحوم آية اللّه الحائري اليزدي في كربلاء، وأصبح في عنفوان شبابه من العلماء المرموقين المشار إليهم بالبنان.

قال عنه صاحب الذريعة في كتابه أعلام الشيعة : « وقد رأيته مراراً سواء في أيام والده أو بعدها، فوقفت على غزارة علمه، وكثرة فضله، وكان دائم الاشتغال كثير المذاكرة، قلَّ ما دخل مجلساً لأهل الفضل ولم يفتح باباً للمذاكرة والبحث العلمي، وكان محمود السيرة حسن الأخلاق محبوباً عند الناس » .

وقال آية اللّه السيد عبد الحسين شرف الدين فيما نشر عنه في مجلة (النجف) السنة الأُولى العدد الثالث بتاريخ ١٥ ج ٢ ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٦ م:

« عرفته طفلاً فكان من ذوي العقول الوافرة والأحلام الراجحة، والأذهان الصافية، كان وهو مراهق أو في أوائل بلوغه لا يُسبر غوره، ولا تفتح العين على مثله

في سنّه. تدور على لسانه مطالب الشيخ الأنصاري ومن تأخّر عنه من أئمة الفقهاء والأُصوليين، وله دلو بين دلائهم، وقد ملأه إلى عقد الكَرب. يقبل على العلم بقلبه ولبّه وفراسته، فينمو في اليوم ما لا ينمو غيره في الأُسبوع، ما رأت عيني مثله في هذه الخصيصة، وقد رأيته قبل وفاته بفترة يسيرة ـ وقد استقرّ من جولته ـ في غاية الفضل لا تبلغها همم العلماء، ولا تدركها عزائم المجتهدين...».

وكتب عنه حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد تقي آل صادق العاملي في مجلة الغري: «لقد كان ﷺ آية بليغة في الأخلاق الفاضلة والصفات الكريمة، تلقاه ـ وهو بتلك المكانة العلميّة السامية، وبذلك الرداء الجميل من الشرف والمجد ـ طلق المحيّا، باسم الثغر، ندي الحديث، طري الأُسلوب، ليّن العريكة، يتواضع للصغير حتّى كأنّه بعض سُمرائه، ويتصاغر للكبير حتّى كأنّه دون نظرائه...».

كان المرحوم آية اللّه السيد حيدر الصدر آية في الزهد والتقوى وعدم الاكتراث بالدنيا وزينتها، وكان همّه منصبّاً على العلم والمعرفة والتحقيق، لا يترك فرصة تمرّ لا يستثمرها لطلب العلم، فقد رُوي عن المرحوم حجة الإسلام والمسلمين الخلخالي أنّه قال: «إنّ السيد حيدر الصدر كان يُدرّس أثناء إقامته في الكاظمية الكفاية، فاتّفق أنّ أحد أكابر الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ورد الكاظميّة وطلب منه السيد الصدر أن يتباحث معه في الكفاية خلال فترة بقائه في الكاظميّة فلم يقبل، وهنا حاول السيد حيدر الصدر ﷺ أن يستثمر الفرصة بأُسلوب آخر فطلب منه أن يتتلمذ عنده بتدريسه الكفاية خلال بقائه، فوافق على ذلك. فكان السيد حيدر الصدر يدرّس جمعاً كبيراً من الطلاب كتاب الكفاية، ثمّ كان يحضر لدى هذا العالم على أنّه طالب يدرس كتاب الكفاية عنده».

قال السيد علي الخلخالي: «إنّي سألت السيد حيدر الصدر: ماذا صنعت بفلان الذي لم يقبل المباحثة معك في الكفاية؟

فأجاب: أنّي وصلت لما كنت أروم، ذلك أنّي أحضر لديه بعنوان التلميذ فيقرأ

عليّ مقطعاً من الكفاية، فينفتح باب المناقشة والبحث وكان هذا هو المطلوب لنا».

وفاته:

توفي ﵀ في الكاظميّة ليلة الخميس ٢٧ جمادى الثانية ١٣٥٩ هـ ودفن في مقبرة لآل الصدر.

وكنت قد سمعت زوجته تقول: «لمّا توفي السيد حيدر ﵀ بتنا تلك الليلة من دون عشاء لقلّة ما في أيدينا، واستمر حالنا في تقشّف وضيق لأكثر من شهر بعد وفاته». علماً أنّ المترجم له كان من كبار مراجع الشيعة في ذلك العصر، وهذا يلقي ضوءاً على زهده وعدم اكتراثه بالدنيا وزينتها، فطوبى له وحسن مآب.

مؤلّفاته:

١ ـ رسالة في مباحث وضع الألفاظ.
٢ ـ تعليقة على الكفاية.
٣ ـ رسالة في المعنى الحرفي.
٤ ـ رسالة في تبعيض الأحكام لتبعيض الأسباب.
٥ ـ الشبهة الحيدريّة في تلاقي أحد أطراف العلم الإجمالي.
٦ ـ تعليقة على العروة الوثقى.

وله رسائل أُخرى، وممّا يؤسف له أنّ هذه الكتب والرسائل كلّها مفقودة، عدا أنّ الشبهة الحيدريّة تعرّض لها الشيخ آقا ضياء العراقي ﵀ في مجلس درسه، فكتبت بقلم بعض طلابه في تقرير بحثه.

أولاده:

خلّف السيد حيدر الصدر ﵀ من بعده ابنين وبنتاً، يعتبر كلّ واحد منهم جوهرة لا تقدّر بثمن وهم:

١ ـ آية اللّه السيد إسماعيل الصدر ﵀ .

ولد في الكاظميّة في شهر رمضان المبارك سنة (١٣٤٠ هـ) ، درس المقدّمات والسطح العالي علي يد علماء الكاظميّة ، ثمّ هاجر إلى النجف سنة (١٣٦٥ هـ) وتتلمذ على يد ثلّة من العلماء الكبار منهم :

أ ـ آية اللّه الشيخ محمّد رضا آل ياسين .

ب ـ آية اللّه العظمى السيد محسن الحكيم .

ج ـ آية اللّه العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي .

د ـ آية اللّه العظمى السيد أبو القاسم الخوئي .

وقد أجازه في الاجتهاد اُستاذه آية اللّه السيد عبد الهادي الشيرازي ، ثمّ عاد إلى الكاظميّة بطلب من المؤمنين فيها ، واشتغل بالتدريس وتبليغ الأحكام وتربية الناس ، وكان يؤمّ المصلّين في صلاة المغرب والعشاء في صحن الإمام موسى بن جعفر ، وكانت صلاته حاشدة وكبيرة .

ألّف ﵀ كتباً في الفقه والاُصول والتفسير والرجال ، لا زالت مخطوطة ، ولم يطبع من كتبه إلّا تعليقته على كتاب التشريع الجنائي الإسلامي ، كما طبعت له عدّة محاضرات في تفسير القرآن .

توفّي ﵀ في ذي القعدة سنة (١٣٨٨هـ) ودفن في النجف الأشرف في مقبرة المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين .

٢ ـ آية اللّه العظمى مفجّر الثورة الإسلاميّة في العراق ، شهيد العصر السيد محمّد باقر الصدر (رضوان اللّه عليه) .

٣ ـ العلوية الفاضلة الشهيدة السعيدة السيدة آمنة الصدر (بنت الهدى) رضوان اللّه عليها .

والدة السيد الشهيد الصدر:

أمّا والدته فهي العابدة التقية الصابرة بنت المرحوم آية اللّه الشيخ عبد الحسين آل ياسين ، سليلة الدين والتقى والعلم .

فأبوها هو آية اللّه الشيخ عبد الحسين آل ياسين أحد أعاظم فقهاء عصره، المعروف بالزهد والعبادة والتقوى.

ولد في الكاظميّة، وتربّى في كنف جده المرحوم آية اللّه الشيخ محمّد حسن آل ياسين، الذي كان من مفاخر علماء الشيعة، والذي أمضى الإمام صاحب الزمان عجّل اللّه تعالى فرجه نيابته عنه على ما ورد في قصّة المرحوم الحاج علي البغدادي المذكورة في مفاتيح الجنان في الصفحة (٤٨٤)[1].

وقال السيد حسن الصدر في «تكملة أمل الآمل» عن الشيخ محمّد حسن آل ياسين: «أُنموذج السلف، حسن التقرير، مضطلع في الفقه والأُصول، خبير بالحديث والرجال، انتهت إليه الرئاسة الدينيّة في العراق بعد وفاة الشيخ العلامة الأنصاري، كان المرجع العامّ لأهل بغداد ونواحيها، وأكثر البلاد في التقليد...».

هاجر المرحوم الشيخ عبد الحسين آل ياسين من الكاظميّة الى سامراء، وتتلمذ على يد المجدّد الشيرازي، وبعد أن توفي جدّه الشيخ محمّد حسن انتقلت إليه زعامة الشيعة في بغداد والكاظميّة.

ثمّ هاجر إلى كربلاء، وتتلمذ على يد المرحوم السيد إسماعيل الصدر، فوصل إلى مرتبة عالية من الاجتهاد، وعاد بعدها الى الكاظميّة، وأصبح من مراجع الشيعة في التقليد والفتوى، وأصبحت مرجعيّته عامّة. توفي ﷺ في ١٨ صفر ١٣٥١ هـ في الكاظميّة، ودفن في النجف الأشرف في مقبرة آل ياسين.

أمّا إخوتها فهم:

١ ـ آية اللّه العظمى، شيخ الفقهاء الشيخ محمّد رضا آل ياسين، كان أُستاذاً ومرجعاً في عصره، توفي في سنة (١٣٧٠ هـ) ودفن في مقبرة آل ياسين.

٢ ـ المرحوم المجاهد الشيخ راضي آل ياسين، كان من أكابر علماء الإماميّة،

---

(١) سمعت السيد الشهيد يقول: إنّني اقطع بصحّة هذه القصّة.

وهو صاحب تأليفات كثيرة منها كتاب (صلح الحسن) وكان ردحاً من الزمن عالماً في مدينة النعمانيّة .

٣ـ المرحوم آية اللّه الورع التقي الشيخ مرتضى آل ياسين ، كان من أكابر علماء الإماميّة ومرجعاً من مراجعهم الكبار...»[١].

لقد اطّلعت على بعض خصوصيات المرحومة والدة السيد الشهيد من خلال معايشتي لها فوجدتها واللّه مثال التقوى، امتلأت روحها حبّاً للّه تعالى ورسوله وأهل بيته صلّى اللّه عليه وعليهم ، وحتّى في الأيام الأخيرة من حياتها كان عشقها لأهل البيت ولأمير المؤمنين عليه السلام يطغى على ما كانت تعاني من آلآم وأمراض فتخرج مستعينة بابنتها البارة الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) لزيارة قدوتها وإمامها رغم ما كانت تعاني من صعوبة كبيرة في مشيتها .

وكانت لا تفارق القرآن ، فهي رفيقته في كلّ وقت تتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، وكلّما انتهت منه عادت إليه .

وكانت دائمة الذكر للّه تعالى ، تلهج بتسبيحة وتحميدة ، وما انقطعت عن ذلك حتّى فارقت نفسها المطمئنّة برحمة ربّها بدنها الطاهر ، ولقيت ربّها راضية مرضيّة ، وكانت في فترة الحجز نموذجاً رائعاً في الصبر والثبات والاتكال على اللّه عز وجلّ ، فلم تتململ يوماً ممّا كان يصيبها بسبب الحجز من فقد الدواء الذي كان به قِوام حياتها ، بل كانت تتظاهر بالصحّة والسلامة لتُشعر السيد الشهيد بعدم أهمية المعاناة الكبيرة التي تعيشها ، رحمها اللّه وأسكنها الفسيح من جنّاته .

نسب السيد الشهيد:

لآل الصدر شجرة نسب تتصل بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام ومنه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، يتوارثها رجال الأُسرة بعناية ودقة . ومن العجيب أنّ السيد الشهيد

---

(١) إلى هنا ينتهي ما أردنا نقله ممّا كتبه المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي .

يتصل بجدّه الإمام موسى بن جعفر إمّا بمجتهد أو عالم فاضل، فكلّ رجال هذه الأُسرة علماء أفاضل أو مراجع كبار. وهي ميزة فريدة قلّما تتوفر لأُسرة من الأُسر.

أمّا النسب فهو:

شهيدنا العظيم آية اللّه العظمى السيد محمّد باقر الصدر.

بن السيد حيدر، بن السيد إسماعيل، بن السيد صدر الدين، بن السيد صالح، بن السيد محمّد، بن السيد إبراهيم شرف الدين، بن السيد زين العابدين، بن السيد علي نور الدين، بن السيد حسين، بن السيد محمّد، بن السيد حسين، بن السيد علي، بن السيد محمّد، بن السيد تاج الدين، بن السيد محمّد، بن السيد عبد اللّه، بن السيد أحمد، بن السيد حمزة، بن السيد سعد اللّه، بن السيد محمّد، بن السيد علي، بن السيد عبد اللّه، بن السيد محمّد، بن السيد طاهر، بن السيد الحسين، بن السيد موسى، بن السيد إبراهيم المرتضى، بن السيد الإمام موسى بن جعفر[1].

ولادة السيد الشهيد:

في كنف جدّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في مدينة الكاظميّة ولد شهيدنا الصدر يوم (٢٥) ذي القعدة عام (١٣٥٣ هـ).

وهذا اليوم من الأيام المباركة، لما ورد من أنّ فيه دحت الأرض، وفي ليلته ولد إبراهيم الخليل وعيسى بن مريم عليهما السلام، وشاء اللّه عزّ وجلّ أن يُعدّ هذا الوليد المبارك إعداداً يؤهّله فيه ليكون أميناً لرُسُلِهِ وحصناً لشريعته، ومثلاً أعلى وقدوة صالحة لعباده، وليحمل من الآمال والطموحات والهموم ما هي بحجم هموم الأنبياء، ويسير على خطّهم وخط خاتمهم محمّد صلى الله عليه وآله.

حدثتني والدته (رحمها اللّه) أنّها كانت في غاية السعادة وهي تحتضن وليدها المبارك، فقد كانت ظروف الحياة الصحيّة قاسية، فالأمراض والآفات تأخذ الكثير ولا

---

(١) اعتمدنا على سماحة آية اللّه السيد رضا الصدر ابن عم السيد الشهيد فيما ذكرناه من شجرة النسب

تدع إلّا القليل، فكانت ترقُب وليدها وتدفع عنه النوائب التي حرمتها من أشقاء له في سالف الأيام، والخوف والقلق يشوب الأمل في نفسها، وكانت تقول: «ماكان يعيش لي من الأولاد إلّا القليل» فقد كانت تجربتها ـ كأمٍّ ـ قاسية جداً لكثرة من فقدت من أولاد.

ولكن شاء اللّه عزّ وجلّ أن يحرس ابنها العبقري بعينه، ويذخره لخدمة رسالة جدّه المصطفى ﷺ، كما شاء تعالى أن يذوق شهيدنا العظيم اليُتم منذ سني حياته الأُولى، فلم يتمتع بعاطفة أبيه وحبّه، ولم يذق من طعم حنانه إلّا سنوات قليلة

ورافق الحرمان العاطفي فقر وضنك في العيش ليزيد من عملية صقل الوليد الفريد، ويرقى بتربيته وإعداده إلى أفضل ما يمكن، ولعلّ تلك سنّة اللّه تعالى فيمن يختارهم لحمل أعباء رسالته: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى .... ووجدك عائلاً فأغنى﴾

وقد سألته (رضوان اللّه عليه) عمّا إذا كان يتذكر والده السيد حيدر الصدر ﵀ فقال: ليس في ذاكرتي شيء عنه إلّا صورة غير واضحة، وأنا بحكم من لم يرَ أباه.

لقد أثّرت هذه الظروف على شخصية السيد الشهيد تأثيراً إيجابياً، خلافاً لما قد يُتصوّر من أنّ اشتداد المحن وصعوبة الظروف تترك آثاراً سلبية في نفس الإنسان، فلا اليتم ولا الفقر حالا بينه وبين أن يشقّ طريقه نحو الهدف الذي كان يسعى إليه، فتجاوز كلّ الصعاب التي واجهته وهو في أهمّ وأخطر مرحلة من مراحل البناء والتكامل.

وممّا لا شك فيه أنّ لوالدته ولأخيه الأكبر المرحوم آيه اللّه السيد إسماعيل الصدر ﵀ دوراً كبيراً في تخفيف وطأة المحنة التي تشتد قسوتها عادة على من هو في مثل هذا العمر، إلّا أنّ من المؤكّد أنّ المقوّمات الشخصيّة التي تمتع بها كانت أقوى من آلام اليتم ومصاعب الفقر ومشاكل الحياة الأُخرى، ممّا جعل آل الصدر يترقّبون له مستقبلاً مشرقاً. فبالإضافة الى قدرته على تجاوز تلك الصعاب، كانت علامات الذكاء والعبقرية تثير إعجابهم رغم صغره.

وممّا يروى في هذا المجال أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) حينما بلغ

العاشرة أو الحادية عشرة من العمر وجد نفسه ـ داخل الأُسرة ـ بين نزعتين متخالفتين تتجاذبانه نحو منخيين متغايرين في التخطيط لمستقبله، فمن جانب كانت والدته تحثّه على الدراسة في الحوزة واختيار حياة الطلبة، ومن جانب آخر كان المرحوم السيد محمّد الصدر[1] يرغّبه في مستقبل يضمن فيه سعادة دنياه والعيش في رفاه ودعة بعيداً عن حياة الحوزة وما يكتنفها من فقر وفاقة.

أمّا السيد الشهيد فقد وقف موقفاً عملياً حسم به ذلك التجاذب وأشعر تلك الأطراف التي تقاطعت رغباتها بمستقبله بواقع ما يطمح إليه، فقد أضرب تقريباً عن الطعام من دون إعلان، واكتفى من الطعام بقطعة صغيرة من الخبز يسدّ بها رمقه طوال الليل والنهار.

بعد أيام أحسّ الجميع ـ بالإضراب الهادئ ـ فسألوه عن السبب فقال: إنّ الذي يستطيع أن يعيش على قطعة صغيرة من الخبز أياماً عديدة لهو قادر على أن يستمر إلى آخر العمر كذلك، فأنا لا اخشى من الفقر ولا أخاف من الجوع.

واستطاع ان يقنع الجميع بصواب رأيه بالالتحاق بالحوزة العلميّة والانخراط في صفوف ورثة الأنبياء رغم ما قد يواجهه من صعوبة الحياة وجدب العيش فيها، وأثبت أنّ إرادته في اختيار هذا الطريق إرادة لا يزعزعها شيء.

وقد حدثني (رضوان اللّه عليه) عن هذه المرحلة من حياته فقال:

«إنّ المرحوم السيد محمّد الصدر ـ رئيس وزراء العراق آنذاك ـ كان يضطحبني معه إلى مزرعته خارج بغداد على ظهر جواد له، فكان يمنّيني بمنصب كبير في الدولة وبحياة ناعمة مرفّهة إن أنا واصلت دراستي في المدارس الحكوميّة، فقلت له: إنّ حياة الحوزة والدراسة فيها هي خياري الوحيد، وإنّ قناعتي في ذلك تامة رغم حاجتي للمال».

---

(١) كان رئيساً للوزراء ولمجلس النواب في الحكومات المتعاقبة في العراق.

وكانت هذه بداية الطريق إلى الحوزة العلميّة والنشاط العلمي والجهادي.

وممّا يجدر ذكره أنّ السيد الشهيد كان قبل أن يتفرّغ للدراسة في الحوزة العلميّة قد تعلّم القراءة والكتابة، وتلقّى جانباً من الدراسات الحديثة في مدارس منتدى النشر الابتدائيّة في الكاظميّة، فكان ـ وهو صغير السن ـ موضع إعجاب الأساتذة والطلاب معاً.

ويروي العديد ممّن عاصروه وزاملوه في تلك المرحلة الكثير من القصص والمواقف التي تحكي عن ذكائه ونبوغه المبكّر وإعجاب الأساتذة بقدراته وقابلياته الفائقة.

وحقيقة الأمر أنّ دراسته في المدرسة كانت أمراً ثانوياً بالنسبة له، فقد كان (رضوان اللّه عليه) في قدراته على التلقّي والاستيعاب يفوق بكثير مستوى المناهج الدراسيّة لمدارس منتدى النشر، وما دخوله فيها إلّا بحكم ما جرت عليه العادة بالنسبة لمن هو بمثله في العمر.

وعن هذه الفترة حدّثتني أُخته الشهيدة بنت الهدى (رضي اللّه عنها) فقالت:

«كنت مع أخي في تلك الفترة نجمع ما نحصل عليه من مال قليل، فيشتري السيد به كتاباً فنطالعه ونستوعبه، ثمّ يبيع الكتاب ليشتري بثمنه كتاباً آخر، وهكذا استمرّ الحال بعد هجرتنا إلى النجف الأشرف».

الهجرة إلى النجف الأشرف والدراسة فيها:

هاجر المرحوم آية اللّه السيد إسماعيل الصدر ﷺ وهو الأخ الأكبر لشهيدنا الصدر إلى النجف الأشرف في عام (١٣٦٥ هـ) مع كافّة أفراد العائلة، فاستأجروا داراً متواضعة ليسكنوا فيها. ومن هذا التاريخ بدأت رحلة شهيدنا العظيم العلميّة. فكان أكبر همّه استيعاب المناهج الدراسيّة والعلميّة وعلى قدر من الجدّ ومكانة من بذل الجهد بحيث يستبق الزمن في رحلته نحو الكمال، فكان النموذج الفريد للطالب المجدّ في تحصيل العلم والمعرفة.

ففي تلك الفترة وهو في الحادية عشرة من عمره درس علم المنطق وكتب بحثاً اعترض فيه باعتراضات على بعض الكتب المنطقيّة .

وفي أوائل السنة الثانية عشرة من عمره درس كتاب « معالم الأُصول » على يد أخيه المرحوم السيد إسماعيل الصدر ﷺ ، فكان لفرط ذكائه يعترض على صاحب المعالم باعتراضات وردت في كتاب « كفاية الأُصول » للخراساني .

منها : أنّه ورد في بحث « الضدّ » في كتاب « معالم الأُصول » الاستدلال على حرمة الضدّ بأنّ ترك أحدهما مقدّمة للآخر .

فاعترض عليه الشهيد الصدر بقوله : « إذاً يلزم الدور » . فقال له المرحوم السيد إسماعيل الصدر : « هذا ما اعترض به صاحب الكفاية على صاحب المعالم » .

أساتذة السيد الشهيد:

درس الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) لدى ثلّة من أعلام وأساتذة الحوزة العلميّة في النجف الأشرف نذكر منهم :

١ ـ آية اللّه الشيخ محمّد رضا آل ياسين ﷺ وهو خال السيد الشهيد .

وهنا تُروى حادثة طريفة تدلّ على فرط ما يتمتع به سيدنا الشهيد من ذكاء خارق وعبقريّة خاصّة ، فقد كان المرحوم آية اللّه الشيخ محمّد رضا آل ياسين يظنّ أنّ حضور السيد الشهيد لبحثه حضوراً تشريفيّاً لا اكتسابيّاً حقيقيّاً ؛ ذلك لأنّ عمر السيد الشهيد لم يكن يتناسب مع مستوى بحث الخارج ، فتلك الأبحاث لا يحضرها حضوراً استيعابيّاً إلّا القلائل من الطلبة والعلماء الذين اتعبوا أنفسهم في التحصيل سنوات كثيرة ، حتّى تمكّنوا من تمهيد الأرضيّة العلميّة لاستيعاب الأبحاث الاستدلاليّة المعقّدة التي تُلقى فيها ، وإذا علمنا أنّ بحث المرحوم آل ياسين كان يحضره أمثال آية اللّه الشيخ صدرا البادكوبي ، وآية اللّه الشيخ عباس الرميثي ، وآية اللّه الشيخ طاهر آل راضي وأمثالهم من جهابذة العلماء ، ندرك أنّ الحق مع المرحوم آل ياسين في ظنونه بحقيقة حضور

السيد الشهيد لبحثه .

ويبدو أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) كان في تلك الفترة يكتفي بالاستماع لبحث أُستاذه متجنّباً مناقشته ، أو الاعتراض عليه ، وإلّا فإنّ بـإمكان الشـيخ ﷺ أن يكتشف من خلال ذلك عبقريّة أصغر تلاميذه في وقت أبكر م[illegible]اريخ وقوع الصدفة التي غيّرت اعتقاده .

والذي حدث فغيّر نظرة الشيخ عن السيد الشهيد هو أنّ الشيخ ﷺ كان يبحث مسألة : أنّ الحيوان هل يتنجّس بعين النجس ويطهر بزوال العين التي نجّسته ، أو لا يتنجّس بعين النجس ؟

فذكر ﷺ أنّ الشيخ الأنصاري ذكر في كتاب الطهارة أنّ هنا ثمرة في الفرق بين القولين تظهر بالتأمّل . وقال : إنّ أُستاذنا المرحوم السيد إسماعيل الصدر حينما انتهى بحثه إلى هذه المسألة طلب من تلاميذه أن يكتشفوا ثمرة الفرق بين القولين ، فبيّنا له ثمرة الفرق بين القولين . وأنا أطلب منكم اكتشاف الثمرة والإتيان بها في بحث اليوم الآتي .

فحضر شهيدنا الصدر في اليوم التالي قبل الآخرين ، وقال للشيخ : إنّي جئت بثمرة الفرق بين القولين وذكر الثمرة التي اكتشفها ، فتعجب الشيخ ﷺ وقال له : أعد بيان الثمرة لدى حضور باقي الطلاب . وحينما حضر الطلاب الآخرون طالبهم الشيخ بالثمرة فلم يتكلّم منهم أحد ، فقال الشيخ : إنّ السيد محمّد باقر الصدر أتى بثمرة جديدة غير الثمرة التي ذكرناها لأُستاذنا . وهنا بيّن شهيدنا الصدر الثمرة بين القولين . فأثار إعجاب الحاضرين وعُرف من ذلك الوقت بالعلم والفضيلة والعبقريّة .

٢ ـ آية اللّه الشيخ ملا صدرا البادكوبي ، درس عنده الجزء الثاني من الكفاية والأسفار الأربعة .

٣ ـ آية اللّه الشيخ عباس الرميثي .

٤ ـ آية اللّه السيد أبو القاسم الخوئي .

٥ ـ آية اللّه الشيخ محمّد تقي الجواهري ، درس عنده الجزء الأوّل من الكفاية وقسماً من كتاب اللمعة .

هؤلاء أساتذة شهيدنا الصدر ﷺ وقد حضر عند بعض الأساتذة الآخرين بعض المواد الدراسيّة ككتاب المكاسب الذي اتفق مع أستاذه على أن يستمع الأُستاذ لشرح السيد الشهيد للمادة العلميّة ويناقشه في الموارد التي تحتاج إلى نقاش الأُستاذ أو توضيحه .

وممّا يذكر عن نبوغ وذكاء السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) في تلك الفترة ، والمكانة التي وصل إليها وهو في سن مبكرة أنّه لمّا توفي الشيخ آل ياسين ﷺ في سنة (١٣٧٠ هـ) علّق المرحوم آية اللّه الشيخ عباس الرميثي على رسالة آل ياسين المسمّاة بـ« بلغة الراغبين » ولشدة اعتقاده بذكاء ونبوغ السيد الشهيد طلب منه حضور المجلس الخاصّ بكتابة التعليقة ليشارك هو أيضاً بعمليّة الاستنباط .

وكان الشيخ الرميثي يقول له في ذلك التاريخ : « أنّ التقليد عليك حرام » .

وهذا يدلّ على أنّ السيد الشهيد ﷺ كان قد بلغ مرتبة الاجتهاد وهو في سنّ مبكّرة جدّاً .

وقد سمعت السيد الشهيد يقول : إنّي لم أُقلّد أحداً منذ بلوغي سنّ الرشد .

وكان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) في تلك الفترة قد كتب أيضاً تعليقة على رسالة المرحوم الشيخ آل ياسين المسمّاة بـ« بلغة الراغبين » ، وكان يأسف على ضياع تلك النسخة التي تعتبر من أغلى ذكريات عمره العلمي .

وشاء اللّه تعالى أن أعثر على تلك النسخة ، وكان لذلك قصة هي :

كنت قد سمعت من السيد الشهيد ومن والدته (رحمهما اللّه) أنّ سادن الروضة الحسينيّة (الكليدار) في زمن والد السيد الشهيد أهدى لمراجع ذلك الوقت ومنهم المرحوم السيد حيدر الصدر (تربة) للصلاة كان قد أحضرها من تراب قبر سيد الشهداء ـ أي التراب القريب جدّاً من جسد الإمام الحسين عليه السلام ـ فكانت هذه التربة

الشريفة يتغيّر لونها منذ طلوع فجر يوم العاشر من محرم الحرام في كلّ عام، ففي أوّل الفجر من اليوم العاشر يبدأ لونها بالإحمرار تدريجياً حتّى يشتد فتصير عند الزوال كأنّها علقة دم. وكان السيد الشهيد يشير بيده إشارة توحي إلى أنّها تتحوّل إلى دمٍ حقيقي، وبعد الزوال يبدأ لونها يعود إلى حالته الأُولى. فكان السيد الشهيد يقول: كنّا لانشكّ في يوم العاشر من المحرم بسبب خاصيّة هذه التربة المقدّسة.

وذكرت لي والدته (رحمها اللّه) قصصاً عجيبة وكرامات عديدة لهذه التربة في شفاء الأمراض.

وفي يوم من الأيام سألت السيد الشهيد عن هذه التربة المقدّسة هل لا زالت موجودة؟ فقال: كلا، لقد فقدت أثناء هجرتنا إلى النجف أو بعدها بقليل.

وكانت بعض المخلّفات والمتروكات من حاجيات منزل السيد الشهيد قد حفظت في صناديق ووضعت في (سرداب) المنزل، فدفعني أمل العثور على التربة إلى التفتيش والفحص، فكنت في أوقات الفراغ أقلّب محتويات تلك الصناديق وأُفتش صغيرها وكبيرها بحثاً عن تلك التربة، فلم أعثر على شيء، إلّا أنّي وجدت في أحد الصناديق مجموعة كبيرة من الأوراق والدفاتر، كان منها النسخة الأصليّة لكتاب «اقتصادنا»، ووجدت كتاباً مطبوعاً سقطت عدّة صفحات من أوّله، عليه تعليقات فقهيّة بخطّ السيد الشهيد، فاعتقدت أنّها كتاب «بلغة الراغبين» الذي تحدّث عنه السيد الشهيد، فأخذتها مسرعاً وقدّمتها لسماحته، وقلت له: لعلّ هذه هي تعليقتكم على «بلغة الراغبين» قد عثرت عليها في الصناديق المودعة في (السرداب).

أخذها السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وقلّب صفحاتها ثمّ قال: نعم، هذه تعليقتي على «بلغة الراغبين». وبعد ذلك حاول أن يعرف مقدار الفرق الحاصل في فتواه في الفترة ما بين تاريخ تعليقته على «بلغة الراغبين» وحتى تاريخ كتابته للفتاوى الواضحة، فوجد بعد الفحص والتدقيق أنّ التطابق بين الفتاوى كبير جدّاً، وموارد الاختلاف يسيرة وقليلة.

وليس هذا عجيباً بالنسبة لمن يعرف مستوى نبوغ وذكاء الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) إذ ليس من دأب شهيدنا العبقري أن تحوم أبحاثه العلميّة حول سطوح المطالب بعيداً عن العمق، بل كان يغور إلى أعماقها حتّى تبدو له خفاياها بحيث لا يترك مجالاً لأي باحث من أن يزداد عليه تحقيقاً أو تعميقاً، ولم يكن متردّداً في ما يرتّبه من نتائج أو ما يختاره من حلول وآراء، وكان يمتلك قدرة فائقة على سبر غور المطالب العلميّة رغم تعقيدها وتشعّبها دون أن تختلط عليه مباحثها، بل كان يمتلك من الوضوح ما يمكّنه من الإحاطة التامّة بها، ويقلل إلى درجة كبيرة فيها خطأه. فكان يأتي فيها بالتحقيق الجديد أو الإبداع المبتكر فتراه مهيمناً بشكل مطلق على كلّ المطالب العلميّة التي بحثها أو كتبها.

كان (رضوان اللّه عليه) حينما يقرأ أو يكتب أو يفكّر ينقطع عن المحيط الذي يعيش فيه، وينسجم مع الحالة التي هو فيها انسجاماً بنحو لا يشعر معها بما حوله وكنت في أحيان كثيرة أردع أطفاله الصغار عن اللعب أو الصياح ظنّاً منّي أنّ ذلك يوفّر له جواً منساباً للتفكير والمطالعة، إلّا أنّي لاحظت أنّ شهيدنا لا يعبأ بما يحدث حوله، ولا يتضجّر من الضجيج والصياح، فسألته عن سبب ذلك فقال لي:

«حينما أنسجم مع المطالب العلميّة لا أشعر بما حولي».

ولقد سمعت من زوجته العلوية التقية أُمّ جعفر تقول: حينما يستغرق السيد في المطالعة أو التفكير ينسى كلّ شيء، حتّى طعامه، فأراني مضطرة في آخر الأمر إلى قطع تأمّله أو مطالعته، فأقول له: لقد قرب الظهر ولا شيء عندنا، عندها يقوم ليشتري بنفسه ما نحتاج إليه. ومن الطرائف في هذا الباب ما كان يذكره من أنّه كان يستغرق أحياناً في التفكير بشكل مستمر طوال اليوم والليل ولا ينقطع إلّا عند النوم، ثمّ إنّه عندما كان يستيقظ يبدأ من نفس النقطة التي انتهى إليها عند النوم، وبذلك يفسّر قدرته على استيعاب جميع هذه المطالب.

هذه الحالة هي إحدى خصائص السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه)، وهي خاصية

قلَّ من يستطيع أن يربّي نفسها عليها، ولذلك فإنّ معظم من عاش مع السيد الشهيد يعرف أنّ كلّ مولّفاته كتبها مرّة واحدة وبلا إعادة نظر فيها، فهو لا يعرف ما نسمّيه بـ (المسودّة والمبيضّة)، وحتّى أخطر كتبه وأدقّها وأصعبها، وهو كتاب «الأُسس المنطقيّة» كتبه مرّة واحدة، وهذا أمر يثير الدهشة. وإضافة إلى ذلك فقد كانت سرعته في الكتابة عجيبة قلمٌ يلتهم الصفحات فيملأها نوراً وعلماً وحكمة.

وعن عبقريته وذكائه العجيب يروي سماحة آية اللّه السيد كاظم الحسيني الحائري (دام ظله) في كتابه «مباحث الأُصول» (ج ١، ص ٢٠٧) المحاورة العلميّة التالية التي جرت بين السيد الشهيد وأُستاذه السيد الخوئي ـ والسيد الخوئي معروف بقدرته الكبيرة على النقض ـ فقال:

«ذكر الأُستاذ الشهيد (رضوان اللّه عليه) أنّه أورد على أُستاذه فيما بين الصلاة والدرس بأنّ الأُصول العمليّة لا تجري بلحاظ الحكم الظاهري، حيث إنّ التنجيز والتعذير إنّما يكونان بلحاظ الواقع ولا مجال لجريان أصالة البراءة أو الاشتغال بلحاظ الحكم الظاهري؛ لأنّها إن جرت بلحاظ الحكم الظاهري على خلاف ما هي جارية بلحاظ الحكم الواقعي فلابدّ من الأخذ بما جرى بلحاظ الواقع، وإن جرت بلحاظ الحكم الظاهري بالشكل المماثل لجريانها بلحاظ الواقع فهي لغو، إذ كان جريانها بلحاظ الواقع مغنياً عن جريانها بلحاظ الظاهر.

قال الأُستاذ الشهيد (رضوان اللّه عليه): إنّ كلامي هذا كان وفق مبنى السيد الأُستاذ القائل بعدم جريان الاستصحاب في الشبهة الحكميّة، فلا تبقى إلّا أصالة البراءة والاشتغال وقد قلنا: إنّهما إنّما يجريان بلحاظ الواقع.

وقال أُستاذنا الشهيد ﵀: إنّ السيد الأُستاذ أجاب على الكلام بالنقض، فأجبت على النقض، فأتى بنقض آخر، وأجبت عليه، وهكذا

إلى النقض السابع، فأجبت عليه، وأخذ يفكّر في الموضوع إلّا أنّه حان وقت الدرس فبدأ بالتدريس وانقطعت سلسلة البحث في هذه المسألة.

وقد نقل لي الأُستاذ الشهيد ﵀ تلك النقوض السبعة مع أجوبتها من دون الالتزام بالترتيب بين النقوض...».

وأذكر أيضاً أنّ مناقشة حدثت بين السيد الشهيد وأُستاذه السيد الخوئي في مسائل الحج فاستطاع (رضوان اللّه عليه) أن يغيّر أكثر من عشرة فتاوى للسيد الخوئي في موضوع الحج خلال ساعة واحدة أو ما يقارب ذلك.

ولأجل إحاطة القارئ الكريم بصورة أشمل عن جوانب العبقرية والعمق العلمي في شخصية السيد الشهيد أنقل هنا ما كتبه أبرز تلاميذه، وهما سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري وسماحة آية اللّه السيد محمود الهاشمي (حفظهما اللّه) باعتبارهما من جملة طلابه الذين واكبوا مسيرة السيد الشهيد العلميّة، وقرّرا أبحاثه، ونالا درجة الاجتهاد عنده، مضيفاً ـ إلى ما كتباه ـ بعض ذكرياتي عن نفس الموضوع وإن لم أكن بصدد تقييم ودراسة شخصية السيد الشهيد العلميّة في هذه المذكّرات؛ لأنّي اعتقد أنّ مهمة كهذه تحتاج إلى جهود متكاتفة ومتظافرة لعدد كبير من العلماء الأكفّاء وأهل الخبرة، ولكن مع ذلك وجدت أنّ طبيعة الموضوع تقتضي التعرّض لذلك ولو بشكل محدود عسى أن يكون في ذلك البداية المتواضعة لدراسة اشمل وأوسع عن هذا الجانب من شخصية السيد الشهيد الصدر.

كتب سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري (دام ظله) عن هذا الجانب ما يلي:

«تتميّز الأبحاث العلميّة لأُستاذنا الشهيد عن سائر الأبحاث العلميّة المألوفة بالدقّة الفائقة والعمق الذي يقلّ نظيره من ناحية، وبالسعة والشمول لكل جوانب المسألة المبحوث عنها من ناحية أُخرى، حتّى أنّ الباحث الجديد لها قلّ ما يحصل على منفذ للتوسيع أو التعميق الزائدين على ما أتى به الأُستاذ.

إضافة إلى كلّ هذا نرى من مميزات أُستاذنا العلميّة أنّ أبحاثه لم تقتصر على ما

تعارفت عليه أبحاث العلماء في النجف الأشرف وقتئذٍ من الفقه والأُصول، بل شملت سائر المرافق الفكريّة الإسلاميّة كالفلسفة والاقتصاد، والمنطق، والأخلاق، والتاريخ، وفي كلّ مجال من هذه المجالات ترى بحثه مشتملاً على نفس الامتيازين الملحوظين في أبحاثه الأُصوليّة والفقهيّة من العمق والشمول.

ففي علم الأُصول نستطيع أن نعتبر المرحلة التي وصل إليها مستوى البحث الأُصولي على يد الأُستاذ عصراً رابعاً من أعصر العلم وتطوّراته التي مرّ بها علم الأُصول على حدّ مصطلحات أُستاذنا في كتاب «المعالم الجديدة للأُصول»، حيث قسّم (رضوان اللّه عليه) الأعصر التي مرّ بها علم الأُصول من المراحل التي بلغ التمايز النوعي فيما بينها إلى ما ينبغي جعله حدّاً فاصلاً بين عصرين قسّمهما إلى ثلاثة أعصر:

١ - العصر التمهيدي.

٢ - عصر العلم.

٣ - عصر الكمال العلمي.

أقول: لئن كان الفارق الكيفي بين بعض المراحل وبعض حينما يعتبر طفرة وامتيازاً نوعيّاً في هوية البحث يجعلنا نصطلح على ذلك بالأعصر المختلفة للعلم، فحقّاً إنّ علم الأُصول قد مرّ على يد أُستاذنا الشهيد بعصر جديد، فلو أضفناه إلى الأعصر التي قسّم إليها فترات العلم في (المعالم الجديدة) لكان هذا عصراً رابعاً هو عصر - ذروة الكمال - ترى فيه من الأبحاث القيّمة، والجواهر الثمينة، والدرر المضيئة ما يبهر العقول، وهي تشتمل على مباحث فريدة في نوعها وفيها:

ما تكون تارة جديدة على الفكر الأُصولي تماماً، أي أنّها لم تبحث من قبل.

وأُخرى تكون مغيّرة لما اختاره الأصحاب في أبحاثهم السابقة ببرهان قاطع وأُسلوب فائق.

وثالثة تكون معدّلة لنفس ما اختاره الأصحاب، ومصلحة له ببيان لم يسبق له نظير.

فمن القسم الأوّل : ما جاء به من البحث الرائع لسيرة العقلاء وسيرة المتشرّعة ، فقد تكرّر لدى أصحابنا المتأخّرين التمسّك بالسيرة لإثبات حكمٍ مّا ، ولكن لم يسبق أحد أُستاذنا ﷺ فيما أعلم في بحثه للسيرة ، وإبراز أُسس كشفها ، والقوانين التي تتحكّم فيها ، والنكات التي ينبني الاستدلال بها على أساسها .

ومن هذا القسم ـ أيضاً ـ بحثه القيّم عمّا أسماه بنظرية التعويض ، وهو وإن كان أقرب إلى فن البحوث الرجاليّة منه إلى الأُصول ، ولكنّه قد بحثه بالمناسبة ضمن مباحث حجّيّة خبر الواحد ، ووضّح فيه كيف أنّنا نعوّض ـ أحياناً ـ المقطع السندي المشتمل على الضعف البارز في سند الحديث بمقطع آخر غير بارز لدى الناظر بالنظرة الأوّليّة .

وهذا الأمر وإن وجدت بذوره لدى من تقدّم على الأُستاذ ﷺ ولكن لم أرَ أحداً قبله يتعرّض لهذه الفكرة على مستوى البحث العلمي ويدقّق في أُسس هذا التعويض وأقسامه .

ومن القسم الثاني : بحثه البديع في حجّيّة القطع الذي أثبت فيه أنّ رأس الخيط في البحث إنّما هو مولويّة المولى وحدودها ، وانحدر من هذا المبدأ إلى الآثار التي تترتّب على ذلك ، وانتهى إلى إبطال ما بنى عليه المحقّقون جيلاً بعد جيل من قاعدة (قبح العقاب بلا بيان) ، وآمن بمنجّزيّة الاحتمال ، وأنّ البراءة التي نؤمن بها هي البراءة الشرعيّة ، أمّا البراءة العقليّة فلا .

ومن هذا القبيل إبطاله لحكومة الأُصول بعضها على بعض حينما تكون متوافقة في النتيجة ،كحكومة استصحاب الطهارة على قاعدة الطهارة ، أو الأصل السببي على الأصل المسبّبي الموافق له ، وكذلك إبطاله لحكومة الأمارة على الأصل لدى توافقها في النتيجة .

ومنه أيضاً إبطاله لما اشتهر من جريان أصالة الطهارة في ملاقي بعض أطراف الشبهة المحصورة .

ومنه أيضاً بحثه البديع في الوضع، وإبرازه لنظرية (القَرن الأكيد).

ومن القسم الثالث: بحثه الرائع عن حقيقة المعاني الحرفيّة، حيث يوافق فيه على أصل ما اختاره المحقّقون المتأخّرون من كون المعاني الحرفيّة هي المعاني النسبيّة والمغايرة هوية للمعاني الاسميّة، ولكن مع إدخال تعديل وإصلاح جوهريين على ما أفاده الأصحاب.

ومن هذا القبيل بحثه الذي لم يسبق له نظير عن الجمع بين الأحكام الظاهريّة والواقعيّة، حيث اختار نفس ما أثبته المحقّقون من إمكانيّة الجمع بينهما، وعدم التنافي والتعارض فيما بينهما، ولكن مع التعديل الجوهري لطريقة الاستدلال وكيفية الجمع.

وقبل أن أترك هذه النقطة لا يفوتني أن أُشير إلى أنّ من أبحاثه البديعة أيضاً أبحاثه عن الترتّب، وعن التزاحم، وعن قاعدة (لا ضرر) التي تعارف البحث عنها في الأُصول رغم أنّها قاعدة فقهيّة»

وفي البعد الفقهي من شخصية السيد الشهيد:

«ترى إبداعاته (رضوان اللّه عليه) لا تقلّ عن إبداعاته في علم الأُصول، وقد طبع من أبحاثه الفقهيّة أربعة مجلّدات بإسم «بحوث في شرح العروة الوثقى» فيها من التحقيقات الرشيقة التي لم يسبقه بها أحد ما لا يحصى، وأُشير هنا كمثال إلى بحثين من أبحاثه التي ينبهر بها الفقيه الألمعي:

أحدهما: بحثه الرائع في تحقيق نكات قاعدة الطهارة الواردة في المجلّد الثاني من البحوث المشتمل على عمق وشمول لا تراها في أبحاث أُخرى عن تلك القاعدة.

والثاني: بحثه القيّم في مسألة اعتصام ماء البئر عن كيفية التخلّص من الروايات الدالّة على الانفعال، وهو وارد أيضاً في المجلّد الثاني من البحوث، حيث ساق البحث بأُسلوب فائق لم أره لدى باحثي المسألة قبله.

ولم يوفّق (رضوان اللّه عليه) لكتابة الكثير عن الفقه المستدل ما عدا المجلّدات الأربعة في الطهارة، وما درّسه من الفقه المستدل أكثر ممّا كتبه، كما وقد درّس قسماً

من أبحاث الخمس وغير ذلك.

والذي كان يصبو إليه ﷺ هو تطوير بحث الفقه من عدّة جوانب، وفّق لبعضها بمقدار ما كتب أو درّس، ولم يوفّق للبعض الآخر، وتلك الجوانب هي كما يلي:

١ ـ تعميق دراسته بنحو لم يسبق له مثيل، وقد وفّق لذلك بمقدار ما كتب أو درّس.

٢ ـ تبديل النزعة الفرديّة، والنظرة الموضعيّة، إلى النزعة الاجتماعيّة والنظرة العالميّة في البحوث التي تتطلّب ذلك.

وهاتان النظرتان أو النزعتان لهما الأثر البالغ في كيفية فهم القضايا الفقهيّة. فمثلاً أخبار التقية والجهاد تُفهم بإحدى النظرتين بشكل، وبالنظرة الأُخرى بشكل آخر. وأدلّة حرمة الربا قد تفهم بإحدى النظرتين بشكل يمكن معه تحليل نتيجة الربا ببعض الحيل، وتفهم بالنظرة الأُخرى بشكل آخر لا تؤدّي إلى هذه النتيجة. وما إلى ذلك من الأمثلة الواسعة في الفقه.

٣ ـ توسيع أُفق البحث الفقهي لشتّى أبواب الحياة بالشكل المنسجم مع متطلّبات اليوم، وبأسلوب يتجلّى به أنّ الفقه يعالج كلّ مناحي الحياة ويواكب الوضع البشري الفردي والاجتماعي حتّى النهاية، وبشكل يتّضح أنّ البحث الفقهي متحرّك يواكب حركة الحياة.

وقد شرع ﷺ لتجسيد هذا الجانب في رسالته العمليّة المسمّاة بـ «الفتاوى الواضحة»، إلّا أنّ استشهاده قد حال بينه وبين إكمال الكتاب.

٤ ـ تطوير منهجيّة عرض المسائل وتبويبها بالشكل المنعكس في مقدّمة الفتاوى الواضحة.

٥ ـ وكان ﷺ عازماً على أن يبحث فقه المعاملات بشكل مقارن بين فقه الإسلام والفقه الوضعي؛ كي يتجلّى أنّ الفقه الإسلامي هو الجدير بإدارة الحياة وإسعادها دون غيره، وقد حالت جريمة البعث الكبرى بينه وبين إتحافنا بهذا البحث القيّم..».

وعن البعد الفلسفي في شخصية السيد الشهيد قال:

« ألّف الأُستاذ الشهيد ﷺ كتاب « فلسفتنا » الذي قارع فيه الفلسفات المادّيّة والمدارس الفلسفيّة الحديثة الملحدة، وبالأخصّ الديالكتيكيّة الماركسيّة، بأُسلوب بديع وببراهين قويمة ومناهج رائعة، وهذا الكتاب قد أصدره بجهود تظافرت مدّة عشرة أشهر فحسب.

والرأي الذي اعتنقه ﷺ في فلسفتنا في نظرية المعرفة قد عدل عنه إلى رأي آخر في كتابه المسمّى بـ« الأُسس المنطقيّة للاستقراء »، يختلف عن رأيه الأوّل في عدد مهم من أقسام المعرفة البشريّة.

وقد بدأ أخيراً بتأليف كتاب فلسفي معمّق ومقارن بين آراء الفلاسفة القدامى والفلاسفة الجُدد، وبدأ ببحث تحليل الذهن البشري ولم يوفّق لإتمامه، ولانعلم بمصير ماكتبه في ذلك، ولعلّه صُودر من قبل البعث العميل الكافر ضمن ما صودر من كتبه وممتلكاته.

وفي المنطق تعرّض الأُستاذ الشهيد ﷺ ضمن أبحاثه الأُصوليّة لدى مناقشته للأخباريين حجّيّة البراهين العقليّة إلى نمط التفكير المنطقي الأُرسطي ونقده بما لم يسبقه به أحد، وبعد ذلك طوّر من تلك الأبحاث وأكملها وأضاف إليها فأخرجها بأروع صياغة بإسم كتاب « الأُسس المنطقيّة للاستقراء ».

ومن جملة ما أوضحه في هذا الكتاب عدم بداهة قسم من العلوم التي يقول المنطق الأُرسطي ببداهتها: كالمحسوسات بالحسّ الظاهري، والمتواترات، والتجريبيّات، والحدسيّات، وأنّ هذه العلوم إنّما تبتني على أساس حساب الاحتمالات، وليس على أساس البداهة والضرورة.

وفي الأخلاق: تعرّض الأُستاذ الشهيد ﷺ لأرقى بحث أخلاقي علمي ضمن أبحاثه الأُصوليّة لدى البحث عن الحسن والقبح العقليين بمنهج لم يسبق له نظير.

وفي التفسير تعرّض (رضوان اللّه عليه) في أواخر حياته لأبحاث تفسيريّة قيّمة تختلف في أُسلوبها عن نمط التفاسير التجزيئيّة المتعارفة، أعطاها عنوان (التفسير

الموضوعي) وتلك أبحاث ألقاها في محفل عامّ للبحث، ولم يكن الحضور فيه خاصّاً بفضلاء طلابه أو المحقّقين العلماء؛ ولذا لم يكن من المتوقّع أن يلقي هذه الأبحاث بما هو المأمول منه من مستوى العمق والدقّة، إذ أنّ ذلك يناسب الحضور الخاصّ وليس الحضور العامّ، ومع ذلك ترى في تلك الأبحاث من العمق والتحليل الدقيق ما يبهر العقول، ويدلّ على مدى شموخ المستوى الفكري لهذا المفكّر العظيم.

وفي مجال الاقتصاد: كتب أُستاذنا الشهيد كتاب «اقتصادنا» لنقد المذاهب الاقتصاديّة الماركسيّة والرأسماليّة، وتوضيح خطوط تفصيليّة عن الاقتصاد الإسلامي، ولا أقول: إنّه لم يوجد قبله فحسب كتاب في الاقتصاد الإسلامي بهذا المستوى، بل أقول: لم يوجد حتّى يومنا هذا ـ الذي مضى على تأليف كتاب اقتصادنا حوالي ربع قرن ـ من كتب بمستواه

وفي التاريخ كتب ﷺ تاريخاً تحليليّاً عن قصة فدك، وكان عمره وقتئذٍ حوالي سبع عشرة سنة، وترى في هذا الكتاب الذي يمثّل السنين الأُولى من بلوغه سنّ التكليف ما يعجبك من روعة التأليف وعمق التحقيق والتدقيق. وممّا يزيدك إعجاباً بهذا الكتاب أنّه جاء فيه ببعض المناسبة بعض المناقشات الفقهيّة الدقيقة لما جاء في كلمات أكابر الفقهاء، وهذا ما لا يصدر عادة إلّا من العلماء المحقّقين الكبار في سنين متأخّرة من أعمارهم.

هذا، وبعد ردح من الزمن جاءت لأُستاذنا الشهيد أبحاث في منتهى الروعة في تحليل تاريخ أئمتنا الأطهار عليهم السلام من زاوية عملهم لإعلاء كلمة اللّه على وجه الأرض، كان يلقيها على طلابه في أيام وفيّات الأئمة عليهم السلام كأُطروحة شاملة متناسقة لكلّ أئمة أهل البيت عليهم السلام في المنهج الذي نهجوه لخدمة الإسلام الحنيف.

وجميع أبحاثه (رضوان اللّه عليه) ترى فيها إضافة إلى الدقّة والعمق مع السعة والشمول منهجة فنّيّة رائعة في طريقة العرض»[1].

---

(١) آية الله السيد كاظم الحائري، مباحث الأُصول، ج ١، من القسم الثاني، ص ٥٧ ـ ٦٥.

وهنا أُضيف بعض المعلومات التي تساهم في إلقاء الضوء على هذا الجانب من شخصية السيد الشهيد ﷺ:

١ ـ يعتبر علم أُصول الفقه من أهمّ العلوم وأصعبها في المنهج الدراسي للحوزات العلميّة خاصّة بشكله المعمّق الذي وصل إليه على أيدي علمائنا الأبرار، ووصل إلى ذروة الكمال على يد السيد الشهيد حسب تعبير سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري.

والذي أُريد أن أُثبّته هنا أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) استطاع إكمال الدورة التدريسيّة الأُولى لعلم الأُصول ـ بحث الخارج ـ اعتماداً على ذاكرته فقط، ولم يعتمد على شيء قد أعدّه لهذا الغرض، سوى التحضير اليومي، والمراجعة العادية للمصادر الخاصّة بهذا العلم. ولذلك حينما بدأ بتدريس الدورة الثانية كتب إلى سماحة السيد الحائري ـ وكان قد ترك العراق وهاجر إلى إيران بسبب مطاردة السلطة البعثيّة له ـ أن يصوّر له بعض ما كتبه من تقريرات لأبحاثه ويبعثها إليه، وكان سماحة السيد الحائري قد كتب دورة أُصوليّة كاملة لأبحاث السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه)، فصوّر له القسم الذي طلبه وبعثه إليه فكان قبل أن يذهب إلى البحث يلقي نظرة على الموضوع الذي هو محل حاجته منها كعملية استذكار فقط، وهكذا استمر الحال إلى أن ترك التدريس بسبب حجز السلطة له[1].

واعتقد أنّ المشاكل الصعبة، والظروف القاسية، والضغط الذي مارسته سلطة حزب البعث عليه هي التي جعلته يحتاج إلى عملية الاستذكار هذه، وإلّا فإنّه قادر على تدريس الدورة الثانية ـ لو كانت الظروف طبيعيّة ـ دون حاجة إلى ذلك الاستذكار.

وممّا يؤيد هذه الحقيقة أنّه (قدّس اللّه روحه) ألّف كتاب «دروس في علم الأُصول» ـ وهو كتاب دراسي منهجي دقيق وضعه للتدريس في الحوزة ـ من دون تحضير وإعداد. وهذه الحقيقة يعرفها كلّ من كان قريباً منه.

---

(١) راجع وثيقة رقم (١)، ص٢٣٣.

دخل هذا الكتاب الواقع العملي ليكون أُعجوبةً في العمق والشمول والمنهجة العلميّة الدقيقة.

وفي اعتقادي أنّ الأعجب من عملية كتابة هذا الكتاب أن يستطيع ﷺ تجاوز مستواه العلمي الذي أَلِفَه ليتمكّن من كتابة مادة الأُصول على مستويات مختلفة تبدأ بالطالب المبتدئ في هذا العلم ويتدرج به حتّى آخر مرحلة وهي مرحلة الإعداد (لبحث الخارج).

وهذه الحقيقة تجلّت أيضاً في كتابته للفتاوى الواضحة، وهي رسالته العمليّة الحاوية على فتاواه في بعض المسائل الشرعيّة. فبعد أن تكرّر عليه الطلب الكثير بطبع رسالة عمليّة، وحصلت له قناعة بذلك فكّر في أُسلوب جديد لكتابة رسالته العمليّة واتفق أن كان المرحوم الشيخ محمّد جواد مغنية ﷺ ضيفاً عند السيد الشهيد في تلك الفترة. والشيخ مغنية كاتب إسلامي معروف بقدرته على كتابة المطالب المعقدّة بأُسلوب وعبارة مفهومة للجميع، وكان يُعرف بكاتب الشباب، وكتبه متداولة بينهم ومحبوبة عندهم لهذا الامتياز. فاقترح البعض أن تناط مهمّة كتابة رسالة السيد الشهيد إليه.

وباشر المرحوم الشيخ محمّد جواد مغنية بتكليف من السيد الشهيد كتابة نماذج تجريبيّة للمسائل الشرعيّة والفتاوى بما كان يعتقد أنّها الصياغة المثلى التي تحقّق الغرض المطلوب، وبعد مناقشة السيد الشهيد لها تبيّن للشيخ مغنية خلاف ذلك.

وكرّر الشيخ محاولاته وكان في كلّ مرّة يواجه مشكلات، إمّا لأنّ الصياغة التعبيريّة قاصرة عن إفادة الحكمُ الشرعي المقصود، وإمّا لأنّ الصياغات التعبيريّة لا تخلو من تعقيد ولا تحقّق التبسيط المطلوب.

وبعد فشل تلك المحاولات قرّر السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) تبنّي المهمة بنفسه. وهي محاولة في غاية الصعوبة لمن يعرف طبيعة المادة الفقهيّة التي لا تقبل التساهل والمسامحة، خاصّة أنّه أراد لرسالته العمليّة أن تكون نموذجية ومثالية في

التعبير والمنهجة والتبويب، وخالية من كلّ غموص وتعقيد ينشأ من اصطلاحات الفقهاء وتعبيراتهم المعقّدة. ويتاح لكلّ أحد فهمها واستيعابها. وبعبارة أُخرى رسالة عمليّة تكتب لكلّ طبقات الأمّة على اختلاف مستوياتها، لا للعلماء كما هو شأن الرسائل العمليّة الأُخرى.

فباشر السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) كتابة «الفتاوى الواضحة»، وبدأ عمله فاختار عدّة مواضيع فقهيّة كتبها بصياغات مختلفة، ومستويات متعدّدة، على شكل كراسات، وأمرني أن أعرضْ هذه النماذج التجريبيّة على نخبة مختارة تمثّل مختلف الشرائح الاجتماعيّة وخاصّة طلاب المدارس، وأن أطلب منهم التأشير على العبارات الغامضة، أو التي لا تُفهم بسهولة.

ونفّذنا هذه التجربة، وكرّرناها عدّة مرات، حتّى استطاع أن ينتخب الأُسلوب الأفضل والتعبير الأسهل والأجمل مع الاحتفاظ بمتانة المادة الفقهيّة.

ومَسك اليراع الطاهر بالقلم فانطلق يكتب، فكانت ولادة (الفتاوى الواضحة) الرسالة المثاليّة التي لازالت يتيمة زمانها.

وللميزات التي اختصّت بها (الفتاوى الواضحة) أخذت موقعاً خاصّاً في نفوس المؤمنين والمسلمين، لا في الوسط الشيعي فقط، بل في الوسط السنّي أيضاً. ولتأكيد هذه الحقيقة أقول: إنّ (الفتاوى الواضحة) كانت قد طبعت في القاهرة طبعة خاصّة ونفدت في أسواقها بنفس السرعة التي نفدت فيها في العراق[1].

والحقيقة أنّ من أبلغ الصعوبات أن يستطيع فقيه اعتاد على تعبيرات هي في غاية التعقيد كتابة رسالة عمليّة في غاية الوضوح والبساطة، ولا يحيد في منهجه وخطّه ولا في مورد واحد.

٢ ـ أرسل أحد رؤساء الدول العربيّة مبعوثه الخاصّ للسيد الشهيد ﷺ وكان

(١) راجع وثيقة رقم (٢)، ص ٣٢٣.

المبعوث مصرياً يحمل شهادة الدكتوراه، فأبلغ السيد الشهيد أنّ الرئيس (.....) يطلب مساعدتكم لتقنين الأنظمة والقوانين في بلاده بما يوافق الشريعة الإسلاميّة، وقدّم للسيد الشهيد دعوة رسمية تتضمن ذلك.

وجرى حديث طويل عن هذا الموضوع كان من جملته ما يلي:

قال المبعوث: « سيدي الصدر لا ندري كيف نستطيع أن نطبّق الشريعة الإسلاميّة في هذا العصر الذي يعتبر معظم العقوبات الشرعيّة مخالفة لحقوق الإنسان، فمثلاً الجلد والرجم والقطع وغير ذلك يعتبره العالَم عملاً بشعاً ينافي حقوق الإنسان، وفي نفس الوقت لا يمكننا رفع اليد عن هذه الأحكام لأنّها أحكام ربّانيّة، فهل هناك حلول لمعالجة هذه المشكلة المعقّدة؟ »

فأجابه السيد الشهيد:

«إنّ الإسلام ـ في بعض الموارد ـ يتشدّد في النظرية ويتسامح في التطبيق، فقد ورد مثلاً (إدرأوا الحدود بالشبهات) أي أنّ الإسلام يتشدد في وسائل إثبات الجريمة التي يترتّب عليها الحدّ، فمثلاً يصعب إثبات الزنا على ضوء الشروط المقرّرة لكيفية الشهادة عليه، وهكذا القول بالنسبة لباقي الأُمور التي توجب الحدّ».

وإنّي وإن كنت لا اتذكر تفاصيل هذه الجلسة وأمثالها، لأنّنا نحن الذين كنّا نعيش في كنف السيد الشهيد لم نكن ندوّن هذه الوقائع ونؤرّخها، وهذا ممّا يؤسف له، إلّا أنّي أذكر أنّ هذا المبعوث كان ينبهر بالأجوبة التي كان يتلقّاها من السيد الشهيد.

والشيء المثير في هذه القضية أنّ لهذا الرئيس روابطاً قوية بالأزهر في مصر، وهو على المقاييس المذهبيّة يُعدّ سنّي المذهب وكانت طبيعة الحال هذه تقتضي أن يستعين بالأزهر لا بالنجف، فما هو مبرر هذه المبادرة؟ ولماذا جاء يستعين بالسيد الشهيد دون غيره؟

لقد كفانا هذا المبعوث الجواب، فقد قال للسيد الشهيد: «لقد بحثنا هذا الأمر وبذلنا جهوداً مكثّفة فحصلت للسيد الرئيس قناعة كاملة بأنّ المفكر الإسلامي الوحيد القادر على تحمّل أعباء هذه المسؤولية الخطيرة هو سماحتكم..»

وحادثة أُخرى مشابهة لتلك هي أنّ رئيساً لدولة عربية مجاورة للعراق بعث برسالة شفوية، عن طريق الإمام موسى الصدر طلب فيها من السيد الشهيد أن يسعى عن طريق إرسال مبلّغين من النجف إلى دولته لتغيير البُنية العقائديّة لشعب تلك الدولة وكان ذلك الرئيس منبهراً بكتب السيد الشهيد وأفكاره وطريقة عرضه للفكر الإسلامي بما ينسجم مع متطلبات العصر.

ولا أهدف من ذكر هذه الحوادث إبراز عظمة شخصية السيد الشهيد من خلال انبهار رؤساء دول وحكومات أو شخصيات كبيرة، فليس هذا المقياس الذي نؤمن به في إطار تقييمنا لشهيدنا الصدر، وإنّما استهدف من ذلك الإشارة إلى المدى الذي امتدّ إليه كمفكر إسلامي يستطيع تلبية حاجة الأُمّة الإسلاميّة بمختلف مذاهبها واتّجاهاتها، بل وتجاوز العالم الإسلامي إلى اوروبا والغرب، كما سنعرف ذلك من خلال بعض الأحداث التي سنذكرها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا الامتداد لم يكن نتيجة جهود إعلاميّة، أو نشاطات دعائيّة، فالكلّ يعرف أنّ شهيدنا الصدر أرفع من ذلك، وإنّما بسبب العمق والعبقرية التي عُرف بها من خلال كتاباته وتأليفاته التي تبهر العقول في عمقها وأصالتها ووضوحها.

وفي عام ١٩٧٨ م حينما كنت برفقة السيد الشهيد في مكة المكرمة لأداء العمرة اتفق أن كنّا بقرب مكتبة تقرب من المسجد الحرام وقف السيد الشهيد يتصفّح بعض كتبها فوجد كتاب (اقتصادنا) في مقدّمة الكتب المعروضة للبيع فسأل صاحب المكتبة: بكم تبيع هذا الكتاب؟ فقال: بكذا ريال، ثمّ قال للسيد الشهيد بلهجته الحجازية: «يا حاج اشتري هذا الكتاب، إنّه كتاب زين، هذا كتاب الصدر، هذا ضد

الشيوعية ». ومن المؤكّد أنّ العمر والفرصة لو كانا اتيحا لسيدنا الشهيد لاتحف العالِم الإسلامي بروائع وآيات زاهرة من الفكر الإسلامي الأصيل، والأحكام الإسلاميّة المقدّسة مقارنة بالأفكار والقوانين الوضعيّة، ولأثبت من خلال البحث العلمي وبالدليل القاطع أنّ الرسالة الإسلاميّة هي خيار الإنسانيّة الوحيد، وأنّ سعادتها لا تتحقّق إلّا بها. ولكنّ ما نقول لنظام همجي عميل جعل العالم الإسلامي يتكبّد هذه الخسارة الفادحة التي لا تعوض.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود المفكّر المصري الشهير على ما نقلته صحيفة (كيهان العربي) في عددها (٦٩١) نقلاً عن صحيفة (الأهرام) المصريّة:

« إنّ إعدام مفكّر ساهم في تنمية العقل العربي الإسلامي تثير لدينا مشاعر التقزّز والاشمئزاز. فالدول المتقدّمة تكرّم أفذاذها، أمّا العراق فيعدم مفكريه ».

٣ـ وفيما يتعلّق بكتب السيد الشهيد ومؤلّفاته، والنتائج التي حقّقها على الصعيد العالمي أذكر الحادثة الطريفة التالية، وهي أيضاً تلقي الضوء على هذا الجانب من شخصية السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه).

في عصر صائف من أيام النجف الحارة، طرق الباب رجل كبير السن وبعد ان فتحه خادم السيد الحاج عباس الذي كان يقوم ببعض الخدمات كتحضير الشاي للضيوف، أو توفير بعض احتياجات المنزل، سأل الرجل الكبير: هل هذا منزل الشيخ محمّد باقر الصدر؟ فقال له الحاج عباس: نعم.

فقال: هل يمكن أن ألتقي بسماحة الشيخ الصدر؟

فقال له: نعم، تفضّل أُجلس، سوف أُخبر السيد بذلك وأستأذنه لكم.

وكان السيد الشهيد لا ينام الظهيرة رغم الجو الحار الذي ينهك القوى فقد كان من عادته أن يصلّي الظهر والعصر ثمّ يتغدى وبعد ذلك يذهب الى مكتبته يطالع أو يكتب حتّى المساء تقريباً[1].

---

(١) راجع وثيقة رقم (٣)، ص ٣٣٤.

وكان هذا حاله دائماً وفي كل يوم إلّا في حالات استثنائيّة قليلة ، وكان الحاج عباس يعرف ذلك ، فصعد إلى غرفة المكتبة ، وأخبر السيد الشهيد بأنّ ضيفاً من مصر يطلب اللقاء بكم ، فاستجاب السيد وأذن له بزيارته ، وكانت هذه الزيارة هي الأُولى له ، ولم يكن رأى السيد الشهيد قبل ذلك .

لم يكن أحد يعرف أنّ الزائر هو الدكتور محمّد شوقي الفنجري[1] رغم أنّه كان قد بعث إلى السيد الشهيد رسائل عديدة عبّر فيها عن إعجابه الشديد بمؤلّفات السيد الشهيد (اقتصادنا ، وفلسفتنا) ، وكانت هذه الرسائل قمّة في الثناء والإطراء .

صعد الدكتور الفنجري إلى الطابق الأعلى حيث تكون مكتبة السيد الشهيد ، والسيد جالس في الزاوية التي اعتاد الجلوس فيها ، وهنا حدثت المفاجأة ، وكشف الدكتور الفنجري عمّا كان يخالج نفسه من شكّ في حقيقة ما يرى ، فهل الصدر الذي عرفه من خلال اقتصادنا وفلسفتنا هو هذا الرجل المتواضع البسيط الذي يعيش في مقبرة عائليّة من المقابر المتعارفة في النجف ؟ هل الصدر هو هذا الجالس هنا بتواضع ، في مكتبة متواضعة جداً ؟ كانت مشاعر من الشك والارتياب تخالج الدكتور الفنجري في حقيقة ما يرى .

فوقف عند باب الغرفة والدهشة ملأت كيانه كلّه ، وأذهلته حتّى عن التحية ، فخاطب السيد الشهيد :

باللّه عليك أنت الشيخ محمّد باقر الصدر ؟

فأجابه السيد الشهيد والابتسامة تعلو وجهه : نعم ، تفضّل ، أهلاً وسهلاً .

الفنجري : مش معقول ! !

وكرّر سؤاله مرّة ثانية وثالثة ، ويتكرّر الجواب نفسه . وأراد أن يقطع الشكّ باليقين فقال : أنت الشيخ الصدر مؤلّف كتاب اقتصادنا وفلسفتنا ؟

---

(١) الدكتور الفنجري يحمل شهادة الدكتوراه في الاقتصاد وكان مستشاراً اقتصادياً للرئيس المصري أنور السادات وأُستاذاً في عدد من الجامعات المصريّة والعالميّة .

فقال السيد الشهيد : نعم ، تفضّل .

عندها دخل الدكتور الفنجري إلى المكتبة محيّياً السيد الشهيد بأجمل التحيات ، ويردّ عليه شهيدنا بأرقّ منها ، وقد هدأت نفسه ، واطمأن قلبه وأيقن أنّ هذا الذي أمامه هو ذلك الصدر الذي يريد اللقاء به . وهنا قال للسيد الشهيد :

جئت مدّعواً لحضور مؤتمر في بغداد يعقد من قبل حكومة العراق ، وكنت في الطائرة أفكر في أن استغلّ هذه الفرصة الوحيدة التي يمكن أن ألتقي فيها بفضيلتكم ، وكنت أقول لنفسي كم يجب عليّ أن انتظر حتّى أحصل على موعد خاصّ للقائكم ، بل هل يمكن أن يتحقّق ذلك ؟ أمّا أن آتي إلى النجف وألتقي بكم بهذه البساطة وخلال عشرة دقائق ، فهذا ما لم يكن يخطر ببالي .

هنا حدّثه السيد الشهيد ﵀ عن حياة الطلبة والعلماء في النجف الأشرف ، وما تتّسم به من بساطة وتواضع ، وزهد في المظاهر والزخارف ، وقال أنا أحد هؤلاء الطلبة ، وهذه هي حياتنا .

بعد ذلك حاول الدكتور الفنجري أن يتعرّف على الوضع العلمي والدراسي لشهيدنا الصدر ، وفي أيّ جامعة من جامعات العالم تلقّى دراساته وعلومه ، وكيف وصل إلى هذا المستوى العلمي الرفيع فقال :

سماحة الشيخ ، أنّ كتبكم تعتبر آية في عمقها ودقّتها العلميّة ، وفي محتواها الفكري ، فقد نالت إعجابي وإعجاب عدد كبير من أصدقائي الأساتذة ، ومنهم المفكّر الفرنسي روجيه غارودي الذي يرغب هو أيضاً بزيارتكم ، فأين تلقيتم دراساتكم ؟ وفي أيّ جامعة من جامعات العالم ؟

فقال السيد الشهيد : لم أدرس في أيّ جامعة من جامعات العالم التي تقصدها ، لا في العراق ولا في غيره ، بل لم أخرج من العراق في حياتي إلّا مرّتين ، مرّة إلى حجّ بيت اللّه الحرام ، والأخرى إلى لبنان لزيارة بعض أرحامنا هناك .

الفنجري : إذاً أين درستم ؟

الشهيد الصدر : في المساجد ، الطلبة والعلماء هنا في النجف يدرسون في المساجد .

قال الفنجري : وقد أُصيب بالذهول والحيرة :

واللّه ،إنّ مساجد النجف أفضل من جامعات اوروباكلّها ، وأظنّه قال : أفضل ألف مرّة من جامعات اوروبا .

ثمّ قال : لقد اطلعت صديقي المفكّر الفرنسي روجيه غارودي على مضمون كتبكم ، وأعطيته صورة عن أفكاركم في كتابي اقتصادنا وفلسفتنا ، فنالت إعجابه ، ووقع تحت تأثيرها وهو يرغب أن يلتقي بكم ويتعرّف عليكم ،كما أنّ لديه مناقشات أو استفسارات عن بعض الأفكار فيها ، فهل يمكن تحديد وقت لذلك ؟

فقال السيد الشهيد :كما ترى الوقت مفتوح ، ومتى ما أحبّ أو اتيحت له الفرصة فأهلاً به .

الفنجري : سوف أنقل له جوابكم .

ثمّ اقترح الدكتور الفنجري على السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) أن يسعى لترجمة كتاب الأُسس المنطقيّة للاستقراء ، وقال : لو ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الانجليزيّة ترجمة دقيقة فسوف يُحدث (ثورة) في اوروبا . واقترح أن يقوم بالترجمة الدكتور زكي نجيب محمود .

وطلب أيضاً ترجمة كتب السيد الشهيد الأُخرى ، وكان يعتقد أنّها لو ترجمت فسوف تأخذ مكانتها المرموقة في العالم الأُوروبي الذي لا يعرف شيئاً عن الفكر الإسلامي بالمستوى الموجود في كتب السيد الشهيد .

وعلى كلّ حال فقد امتدّت الجلسة والدكتور الفنجري يرغب بالمزيد ، وهو لا يكاد يصدّق أنّ الشهيد الصدر ـ الفكر والعبقريّة والنبوغ ـ هو هذا الرجل المتواضع الزاهد .

بعد مضي شهر تقريباً على هذا اللقاء وصلت منه رسالة يخبر فيها السيد الشهيد

أنّه أبلغ روجيه غارودي بكلّ ذلك ووعدني بأنّه سيبعث لكم رسالة حول موضوع زيارته لكم، وسيكون على صلة مستمرة بكم من خلال الرسائل.

وما هي إلّا أيام قلائل حتّى وصلت رسالة من روجيه غارودي أخبر فيها السيد الشهيد بأنّه سيصل إلى العراق بدعوة من الحكومة العراقيّة لحضور مؤتمر سيعقد هناك، وحدّد تاريخ ذلك، وقال: أودّ أن ألتقي بكم خلال هذا التاريخ.

كان الذي يترجم الرسائل من الفرنسيّة إلى العربيّة وبالعكس هو المرحوم الشيخ يوسف الفقيه وهو أحد طلاب الشهيد الصدر.

بعث السيد الشهيد برسالة جوابيّة رحبّ فيها بقدومه، وروجيه أيضاً أجاب برسالة شكر أُخرى، وتمنّى أن يتحقّق اللقاء في أقرب وقت.

وجاء الموعد، بل وانتهى أيضاً ولم نرَ المفكّر الفرنسي غارودي، فهل أخلف وعده، أمّ أنّ شيئاً مّا قد حدث؟

بعد أيّام وصلت السيد الشهيد رسالة منه تحمل في طيّاتها العجب، وتكشف عن خُلق حكّام البعث وخبثهم، بل تكشف عن خوفهم ورعبهم من السيد الشهيد، فقد كان مضمون رسالة غارودي كالتالي:

«وصلت في الموعد المقرّر إلى بغداد، وفي قاعة الاستراحة في مطار بغداد سألني رئيس لجنة التشريفات عمّا إذا كنت أرغب بوضع جدول لزيارة أماكن معيّنة، فقلت: أرغب بزيارة الأُستاد محمّد باقر الصدر. فتحيّر الرجل ولم يتكلّم بشيء وقد أُصيب بالدهشة والذهول. بعد ذلك أبلغني مسوول في وزارة الخارجيّة العراقيّة أنّ شخصاً بهذا الاسم لا يوجد في العراق. فقلت له: بل هو موجود بالتأكيد في النجف الأشرف، فقد راسلته وراسلني! فقال: سوف نخصّص لكم زيارة إلى النجف ونسأل هناك عن هذا الشخص. وفعلاً بعد أن انتهى المؤتمر جاءوا بي إلى النجف للبحث عنكم، وفي كليّة الفقه أحضروا لي عدداً من طلاب الكليّة وقالوا لي أسأل هؤلاء عن ذلك الشخص، فلمّا سألتهم عنكم قالوا: لا يوجد في النجف شخص بهذا الاسم!!!

وهذا أثار استغرابي وحيرتي، وتساءلت في نفسي: هل ما يحدث أمامي حقيقة أم خيال؟».

وفي ختام رسالته اعتذر من السيد الشهيد عن عدم حضوره في الموعد المقرّر، وأعرب عن أسفه لذلك.

وهنا أترك التعليق للقارئ الكريم ليستنتج ما يشاء من هذه الوقائع.

٤ ـ وتعتبر محاولة ترجمة «الأُسس المنطقيّة للاستقراء» من النقاط الجديرة بالذكر؛ لأنّها تشير إلى العمق العلمي لشهيدنا الصدر (رضوان اللّه عليه). فلك أن تتصوّر القاهرة بما تمتلك من أرصدة علميّة وعلماء عُرِفوا بالعمق والدقّة تعجز عن ترجمة كتاب لأحد علماء النجف يعيش في زقاق من أزقتها بكلّ بساطة وتواضع وترابيّة.

وهو أيضاً لم يتلقَّ دراساته في جامعات العالم الحديثة التي تهتم بهذا النوع من الدراسات والأبحاث المعمّقة والدقيقة، بل كان معتمداً على إمكاناته الخاصّة، وجهده الشخصي، وما يتمتّع به من ذكاء خارق ونبوغ متميّز مكّنه من تجاوز كلّ المستلزمات الضروريّة لمثل هذه الدراسات والأبحاث التخصّصية.

وقصّة هذه المحاولة بدأت حينما اقنع الدكتور محمّد شوقي الفنجري شهيدنا الصدر ﵀ بضرورة ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الانجليزيّة، فتمّ الاتصال بالدكتور زكي نجيب محمود، وعرضت عليه الفكرة.

طلب الدكتور زكي نجيب فرصة لمطالعة الكتاب ليقرّر بعد ذلك طبيعة الردّ، ولكنّه بعد أن قرأ الكتاب اعتذر عن تحمّل أعباء هذه المسؤولية بسبب ظروفه الصحيّة وكبر سنه، والكتاب يحتاج إلى جهد كبير لا تسمح به كلّ تلك ا لأمور، إلّا أنّه وعد السيد الشهيد بتكليف أحد أفضل وأذكى تلاميذه وهو أيضاً يحمل شهادة الدكتوراه وكانت رسالته الجامعيّة التي منح على أساسها شهادة الدكتوراه في الاستقراء، وتعهد هو بالإشراف على الترجمة فحسب[1]

(١) راجع وثيقة رقم (٤)، ص ٣٣٥.

وتمّ الاتفاق مع الأُستاذ الذي رشّحه الدكتور زكي نجيب ـ وللأسف لا أتذكّر اسمه ـ واتفقا على مبلغ من المال أزاء الترجمة ، وعلى الفترة الزمنيّة التي كان من المفروض أن ينجز فيها ترجمة الكتاب .

وكان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) في هذه المرحلة يفكّر بالطريقة التي يمكن أن يتأكّد من خلالها باستيفاء الترجمة لمادة كتاب الأُسس المنطقيّة للاستقراء ، وهل تعبّر عن محتواه تعبيراً دقيقاً ، وذلك لأنّه يعلم أنّ مطالب كتاب الأُسس المنطقيّة بدرجة من العمق والتعقيد بحيث لا يتسنّى فهمها إلّا للأفذاذ من العلماء ، فهل يتمكّن هذا الأُستاذ من تحقيق ذلك ، وينجز هذه المهمّة الكبيرة .

إلّا أنّ الحيرة لم تدم طويلاً ، فقد وصلت رسالة من هذا الأُستاذ اعتذر فيها عن ترجمة بقية الكتاب ، بعد أن ترجم ما يقرب من مائة صفحة ، وذكر في رسالته أنّه بحاجة ـ قبل أن يمضي في ترجمة الكتاب ـ إلى دراسته عند السيد الشهيد لفهم واستيعاب مطالبه العلميّة كي يتمكّن من ترجمة الكتاب فيما بعد .

وهكذا عجزت القاهرة بما تزخر به من علم ومعرفة عن ترجمة كتاب الأُسس المنطقيّة للاستقراء .

ومن الجدير بالذكر أنّ نشير إلى كتاب « مجتمعنا » الذي لم يرَ النور ولم تسمح ظروف السيد الشهيد بكتابته ، وبقيت المكتبة الإسلاميّة تعاني فراغاً كبيراً في هذا المجال ، فهل هي إرادة اللّه عزّ وجلّ التي حالت بينه وبين تأليف كتاب « مجتمعنا » ليكون ذلك تحدّياً عمليّاً للمعاهد العلميّة وللمفكّرين الكبار ، وللحوزات العلميّة . فلماذا ترك أصحاب الفكر والمعرفة هذا المجال مَواتاً لا تحرثه أقلامهم كما فعل السيد الشهيد في مجال الفلسفة والاستقراء والاقتصاد وغير ذلك ؟ وهل أراد اللّه تعالى أن يكون هذا الفراغ التحدي الذي يشير إلى تلك العبقرية الفريدة ؟

٥ ـ القضية التي سأذكرها هنا اقتضت طبيعة الموضوع ذكرها ؛ لاستدلّ من خلالها على حقيقة مهمّة هي أنّ الوهج العلمي للشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) امتدّ

بتأثيره حتّى على ألدّ أعدائه وهم البعثيون، فوقعوا تحت تأثيره وإن كان الحقد والحسد يحول بينهم وبين الاعتراف بذلك على الملأ العام.

وفي هذا المجال أذكر بعض الحقائق التي تشير إلى ذلك:

الأولى: كان أحمد حسن البكر رئيس الجمهوريّة العراقيّة آنذاك يرغب أن يضيف إلى رصيده الكبير من الألقاب والصفات، صفة العالِم والمفكّر، وكان بإمكان البكر أن يمنح نفسه أعلى المناصب والرتب الحكوميّة والعسكريّة؛ وذلك لأنّ القانون في العراق -كما يعلم الجميع- بيد الرئيس يصرّفه كيف يشاء، فما أيسر أن يطبّق مادّة قانونيّة يمنح نفسه من خلالها أكبر الرُتب، أو المناصب الحكوميّة، أو العسكريّة، إنّ ذلك لا يحتاج إلى أدلّة وبراهين؛ لأنّها أُمور اعتباريّة جعليّة لا قيمة لها.

أمّا أن يدّعي أنّه مفكّر كبير، وعالِم ضليع، فهذا ما يحتاج إلى برهان قاطع، ودليل بيّن، وهنا لا تستطيع (المراسيم الجمهوريّة) أو التلاعب بالقانون منح البكر ذلك.

وهنا حاول البكر -وهي محاولة تدلّ على غباء مفرط- أن يستفيد من طاقات السيد الشهيد العلميّة فبعث إليه السيد علي بدر الدين ليستكشف إمكانيّة ما إذا كان السيد الشهيد مستعدّاً لتأليف كتاب بمستوى كتبه العلميّة الرائعة ويطبع بإسم أحمد حسن البكر.

بالطبع رفض السيد الشهيد ذلك، وباءت هذه المحاولة بالفشل الذريع، فحاول مرّة أُخرى، ولكن هذه المرّة كان مبعوثه مدير الأمن العامّ فاضل البرّاك. ويعتبر إرسال فاضل البرّاك تلويحاً باستعمال القوّة والعنف وإن لم يصرّح بذلك؛ لأنّ البرّاك رئيس أكبر مؤسسة إجراميّة في العالم، فماذا سيكون ردّه -لو رفض السيد الشهيد الاستجابة لطلبه- غير القوّة والإرهاب.

قال البرّاك: إنّ السيد الرئيس يرغب بتأليف كتاب، إلّا أنّ انشغاله الدائم بإدارة شؤون البلاد يحول دون ذلك، فاختاركم للقيام بهذه المهمّة على أن تبقى سريّة، والسيد الرئيس مستعدّ لتقديم أي مبلغ من المال تطلبونه، وأضاف -على سبيل

الإغراء ـ أنّ هذه الخطوة إن تمّت فسوف تحقّق لكم موقعاً خاصّاً عند القيادة ، وتخلق صداقة وثقة تكون فوق الشبهات والاتهامات والشكوك التي تدور حولكم .

إلّا أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) لم يستجب لطلبه ورفض كلّ العروض الأُخرى المشابهة التي جاءت بعد هذا العرض .

أمّا السيد الشهيد بنفسه الكريمة ، وروحه السامية ، وذوبانه في المبادئ التي آمن بها ونذر نفسه لها ، وسخّر كلّ طاقاته من أجلها ، وفي النهاية قدّم نفسه قرباناً لها فهو كما يروي سماحة السيد الحائري حيث يقول :

« حدّثني ﵀ ذات يوم : أنّه حينما كتب كتاب فلسفتنا أراد طبعه بإسم جماعة العلماء في النجف الأشرف بعد عرضه عليهم متنازلاً عن حقّه في وضع اسمه الشريف على هذا الكتاب . إلّا أنّ الذي منعه عن ذلك أنّ جماعة العلماء أرادوا إجراء بعض التعديلات في الكتاب ، وكانت تلك التعديلات غير صحيحة في رأي أُستاذنا الشهيد ، ولم يكن يقبل بإجرائها فيه ، فاضطرّ أن يطبعه بإسمه »[1] .

ويتجلّى هذا السموّ الروحي ، والترفّع عن طلب المكانة والابتعاد عن الشهرة فيما عُرف عن السيد الشهيد من خلوّ جميع كتبه من التعابير المتعارفة الدالّة على مكانتة العلميّة ، وكان يكتفي بكتابة اسمه فقط مجرّداً ، ولا يسمح لأحد بإضافة أيّ صفة لاسمه ممّا تعارف لدى الأوساط العلميّة .

وأتذكّر أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) حينما أكمل كتابه (الفتاوى الواضحة) وأردنا إرساله إلى المطبعة كَتبتُ على الدفتر الأوّل منها عبارة (تأليف سماحة آية اللّه العظمى السيد محمّد باقر الصدر) فلمّا رأى ذلك شطب على عبارة (سماحة آية اللّه العظمى) وقال لي :

---

١ ـ مباحث الأُصول، ج١، ص ٤٥.

«لا حاجة إلى ذلك، قدّمها إلى الطبع بهذا الشكل».

الثانية: في زيارة من زيارات فاضل البرّاك مدير الأمن العامّ للسيد الشهيد ﵀ طلب وبشكل خاصّ ـ وسري ـ أن يشرف سماحته على رسالته العلميّة التي كتبها وأخذ عليها شهادة الدكتوراه من جامعة روسيّة، وكان شديد الرغبة في أن يتحقّق ذلك تمهيداً لطبعها.

كان الشيء الطبيعي بالنسبة لفاضل البرّاك أن يستعين بميشيل عفلق الذي كان حيّاً يباشر أعماله يومئذٍ في بغداد، وهو ـ حسب المُدّعى ـ مفكّر الحزب، وعبقري التنظير، وقمّة المعرفة، وفاضل البرّاك أقرب إليه من السيد الشهيد الصدر، فما الذي دفع فاضل البرّاك إلى تجاوز «مفكّر الحزب!» الذي يؤمن بأفكاره ويعتنق مبادئه، إلى الشهيد الصدر الضد العنيد، والعدو اللدود؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ الوهج العلمي، لشخصية السيد الشهيد، وما يمتلك من خصائص ومقوّمات استثنائيّة في مجال المعرفة العامّة جعلت فاضل البرّاك وغيره يقع تحت تأثير هذا الوهج، ويتجاوز (مفكّر الحزب) إلى (عدو الحزب)، ولقد قال البرّاك يوماً للسيد الشهيد: «إنّنا سوف نقتلك ونبكي عليك» مشيراً بذلك إلى هذه الحقيقة. وصدق في الجزء الأوّل من كلمته، وكذب في الجزء الثاني منها، فقد قتلوه ولم يبكوا عليه، بل دعاهم حقدهم إلى إخفاء قبره وقبر شقيقته، ألا لعنة اللّه على الظالمين.

الثالثة: في الفترة التي اضطرّت فيها السلطة إلى إعطاء الحزب الشيوعي العراقي نوعاً من الحرّية على أساس الاتّفاق الجبهوي بين حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي، نَشِط الحزب الشيوعي في شنّ حملة ثقافيّة قويّة هدّدت كوادر وقواعد حزب البعث العميل.

واستطاعت كوادر الحزب الشيوعي أن تهدّد كيان حزب البعث الحاكم، ووقع الحزب في حرج كبير، بعد أن فشلت أدبيّات الحزب وأفكاره، وعجز قائده ومفكّره ميشيل عفلق من الوقوف بالمستوى المطلوب أمام هجمة الحزب الشيوعي الفكريّة.

لقد كان بإمكان السلطة قمع التحرّك الشيوعي ، بل واجتثاث الحزب نفسه عن طريق القوّة ، وهو ما حصل فيما بعد ، إلّا أنّ الظروف لم تكن مناسبة في تلك الفترة ، وكانت الخطة تقتضي الاستمرار بالسماح للحزب الشيوعي في نشاطه الفكري والثقافي ، أمّا بسبب ضعف السلطة في ذلك الوقت ، أو بسبب ضغط الاتحاد السوفياتي عليها .

ومن المؤكّد أنّ السلطة فتّشت كلّ ما عندها من أرصدة ثقافيّة وعلميّة فلم تجد كتاباً يستطيع الوقوف بوجه الهجمة الشيوعيّة ، فلجأت إلى كتاب (فلسفتنا) ، وكان من الكتب الممنوعة في ذلك الوقت [1].

وكتاب (فلسفتنا) بالقدر الذي يفنّد الفكر الماركسي يفنّد الفكر الاشتراكي الذي يؤمن به حزب البعث الحاكم ، فكان من غير المنطقي أن تسمح السلطة بتداول كتاب (فلسفتنا) بشكله الحالي من دون إجراء تعديلات عليه تنسجم مع طبيعة متبنّياتها الفكريّة . فبعثت مدير الأمن العام فاضل البرّاك ليبحث مع السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) فكرة السماح بطبع كتاب فلسفتنا بعد إجراء تعديلات عليه . وكان السيد الشهيد يعلم بالمأزق الذي وقعت السلطة فيه ، إلّا أنّه تجاهل ذلك أمام فاضل البرّاك ، وأخبره بأنّه لا يشعر بضرورة لطبع كتاب (فلسفتنا) ، إلّا أنّ فاضل البرّاك أصرّ على طبع كتاب (فلسفتنا) ، مبرّراً ذلك بأنّ الفكر الإلحادي بدأ يتفشّى في العراق ، ولابدّ من مواجهته بكلّ الوسائل المتاحة . وقد تحدّث البرّاك عن أهميّة هذا الموضوع ، وعن اهتمام (القيادة) به .

وأحسّ السيد الشهيد ﵀ بأنّ السلطة مصمّمة على تنفيذ هذه الفكرة ، وسواء أقَبِلَ بذلك أم لا فإنّها ماضية في عزمها . ولكن هل الأفضل أن يترك السلطة تتصرّف بالكتاب كيف تشاء ، أو أن يختار بنفسه الجزء الذي سيُحذف والذي لا يؤثّر كثيراً على ما

---

(١) راجع وثيقة رقم (١٣)، ص ٣٤٩.

استهدفه كتاب (فلسفتنا) من حقائق ؟

ووجد أنّ الخيار الثاني هو الأفضل ، وعلى هذا الأساس جرى الحديث مع البرّاك على المقدار الذي سيحذف من الكتاب ، وأنّ الإشراف على طبع الكتاب يجب أن يكون للسيد الشهيد .

ووافق فاضل البرّاك على هذه الشروط ، وطبع الكتاب في مطبعة الميناء في بغداد ، وقد أمرني ﷺ بالإشراف على طباعته احتياطاً منه على أن لا يحذف منه إلّا المقدار الذي حدّده .

وما أعنيه من ذكر هذه الحادثة هو أنّ حكّام البعث العميل بكلّ ما يحملونه من غرور وكبرياء ، ورغم أنّ السيد الشهيد يعتبر عدّوهم اللدود ، ومع ذلك فإنّهم رضخوا لحقيقة البعد العلمي العظيم ، والعبقريّة الفذّة في شخصيّة السيد الشهيد ﷺ فخضعوا له مرغمين ، وأذلّوا أنفسهم مكرهين . ونحن نعلم أنّ هؤلاء الحكّام بما يحملون في أنفسهم من كبرياء وغرور ، ومن تأثّر بكرسّي الحكم وقوّة السلطان يصعب عليهم هذا القدر من الاعتراف بعظمة عدّو لهم يعيش في ظلّ سلطانهم وهو مجرّد من كلّ قوّة ماديّة يمكن أن تخيفهم .

٦ ـ كان للسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) مجلس عام يلتقي فيه بالناس والمراجعين قبل ظهر كلّ يوم ، وفي يوم من الأيام دخل رجل وقور فسلّم على السيد الشهيد ﷺ فردّ عليه السلام ورحّب به أحسن ترحيب ، وبعد دقائق تكلّم الضيف الجديد ، فقال للسيد : أُعرّفكم بنفسي ، أنا الدكتور عبد الفتاح عبد المقصود . فرحّب به السيد الشهيد ترحيباً آخر واسترّ به ، وأثنى على كتاب له عن الإمام علي عليه السلام بما يستحق .

وبدأت بشائر الفرح والسرور تلوح في وجه الأُستاذ عبد الفتاح عبد المقصود ، فقد فهم من هذا الكلام أنّ السيد الشهيد قد قرأ كتابه ، فسأله عن رأيه بالكتاب :

فقال : كتاب رائع ، ومحاولة مباركة ، وأثنى عليه كثيراً ، ثمّ قال : ولنا عليه

ملاحظات ، وأخذ السيد الشهيد يذكر له ملاحظاته على كتابه ـ والكتاب مكوّن من عدّة أجزاء ـ والأُستاذ عبد الفتاح عبد المقصود يستمع بانبهار وتعجّب ، ويُسلّم له بكلّ ملاحظاته على الكتاب ووعده بإجراء التعديلات اللازمة على ضوء هذه الملاحظات في الطبعة الجديدة للكتاب .

ولشدّة انبهار الأُستاذ عبد الفتاح بشهيدنا الصدر ، قام إليه وقبّل يده تعبيراً عن تقديره للسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) .

والغريب أنّ السيد الشهيد لم يكن يتوقّع زيارة الأُستاذ عبد الفتاح عبد المقصود لكي يتهيئ لمناقشة ما في كتبه من أفكار ، أو نقاط ضعف ، أو يسجّل ما عنده من ملاحظات عليه ، وإنّما كانت زيارته مفاجأة بمعنى الكلمة . والأغرب من ذلك أنّ مكتبة السيد الشهيد تخلو من كتاب الأُستاذ عبد الفتاح عبد المقصود ، ولم أره يوماً فيها ، وإذا كان قد طالعه فإنّ الفاصلة الزمنيّة بين مطالعته للكتاب ولقائه بمؤلّفه لا تقلّ عن عشر سنوات على أقلّ تقدير .

ولعلّ الأُستاذ عبد الفتاح عبد المقصود قد أدرك من طبيعة مناقشة السيد الشهيد لكتابه والتي تدلّ على استحضار كبير لمادّة الكتاب ، أنّ هذا ليس بإمكان كلّ أحد ، بل هو شأن العلماء الأفذاذ ، ممّا أثار إعجابه وانبهاره .

٧ ـ ومن الوقائع الخالدة في الذاكرة ما حدث للدكتور عصمت سيف الدولة ، مؤسس النظرية الاشتراكيّة المصريّة ، وهو محامي مرموق ، وشخصية مصريّة كبيرة .

لقد دُعي الدكتور المذكور لحضور مؤتمر للمحامين العرب في بغداد ، وكان أحد المحامين العراقيين من عائلة نجفيّة معروفة هم السادة آل الخرسان قد شجّع الدكتور عصمت سيف الدولة على زيارة السيد الشهيد باعتباره مفكّر معروف ، وكان هدفه من ذلك إثبات أنّ الاشتراكيّة بكلّ صيغها وأشكالها تواجه معضلات فكريّة كبيرة ، ولا تستطيع أن تصمد أمام النقد ، بل ليست هي الأُطروحة الصحيحة القادرة على حلّ مشاكل الإنسان الاقتصاديّة ، وأنّ النجف تملك من المفكّرين ما لا نظير له في

العالم، ولكن يا ترى من يستطيع أن يُثبت ذلك بالوضوح الذي لا يدع مجالاً للنقاش ، ومن يستطيع أن يجلي هذه الحقيقة كالشمس في رابعة النهار لرجل يعتبر مؤسس نظريّة في الاشتراكيّة . ؟

لا شكّ أنّه الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) بما يحمل من عبقرية فذّة ، ونبوغ فريد .

وجاء وفد كبير يضمّ نخبة من المحامين ، كان في مقدّمتهم الدكتور عصمت سيف الدولة ، وتمّ اللقاء الذي استمر ما يقرب من ساعتين والسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) يجيب على كلّ سؤال يرد منهم بالدقّة المعروفة عنه ، والعمق المعهود فيه . ثمّ عرّج على الاشتراكيّة يقطّع أوصالها ، ويُهدّم أركانها حتّى رأى الجميع الهزال والخواء في كلّ حلقاتها ومفاصلها بعد ان جرّدها من كلّ ماكان يسترها من شعارات برّاقة تغري الفقراء والضعفاء فيتأثرون بوهجها وبريقها .

ثمّ أثبت لهم أنّ الإسلام الشريعة الربّانيّة الخالدة ، القادر الوحيد على إنقاذ البشريّة ، وتخليصها من مأزق الفقر ، لو أنّ البشريّة آمنت به ، وتمسّكت بعروته ، وكان (رضوان اللّه عليه) يقدّم الدليل بعد الدليل ، والحجّة بعد الحجّة ، والكلّ في حالة من الانبهار والإعجاب .

وفي هذا اللقاء لم يتمكّن أحد من مواجهة سيل الأدلّة التي قدّمها الشهيد الصدر لإثبات ما ادّعاه ، أو دحض بها الأفكار الاشتراكيّة التي يحملها هؤلاء ومنهم الدكتور عصمت سيف الدولة .

وانتهى هذا اللقاء ، وأخذ الواحد منهم بعد الآخر يودّع السيد الشهيد ، وكان آخرهم المحامي العراقي الذي أشرت إليه ، فقد قبّل يد السيد الشهيد وخاطبه قائلاً :

« لقد بيّضت وجوهنا ، بيّض اللّه وجهك يا سيدي » .

كانت هذه الأحداث وأمثالها تثيرني ، وكنت أسعد بها ، ولكن بمرور الزمن ، ولكثرة التكرار أصبحت ظاهرة طبيعيّة ، ففي كلّ يوم جديد يضاف إلى الرصيد السابق

ممّا أسميه بالكرامات العلميّة لسيدنا الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه).

يا ترى ما هو السرّ وراء تلك العبقرية، وما هي خلفيّة ذلك العمق العلمي والفكري الذي تميّزت به شخصية الشهيد الصدر؟

لا يمكن أن نُعزي ذلك إلّا لأمرين:

الأوّل: الإخلاص المنقطع النظير للّه ـ تعالى ـ في طلب العلم والمعرفة، وتسخير ذلك لخدمة الدين الحنيف، والشريعة المقدّسة، بنيّة خالصة لا تشوبها مصالح شخصية أو منافع مادّيّة.

لا أقول ذلك اعتباطاً أو مدحاً، فإنّ الرجل الذي أبى أن يتنازل للسلطة، وضحّى بحياته من أجل الرسالة التي آمن بها، والمبادئ التي حملها، مفضّلاً أن يتعرّض لأقسى وأشد ألوان التعذيب من أجلها على أن يعيش مُنعمّاً سعيداً لا يحتاج إلى أن نبرهن على إخلاصه وذوبانه في اللّه ـ تعالى ـ.

وهو الرجل الذي أراد أن يطبع كتاب (فلسفتنا) بإسم جماعة العلماء لا بإسمه، وكتاب فلسفتنا وحدّه يمكن أن يعطي لمؤلّفه ـ أيٍّ كان ـ مكانة اجتماعيّة وعلميّة لا نظير لها.

ويسبب هذا الانقطاع والإخلاص كانت الرعاية الربّانيّة تسدّده وترعاه.

وفي السنوات الأخيرة من عمر السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) بدأتُ بمشروع لكتابة وتنظيم أجوبة السيد الشهيد على الأسئلة التي ترد عليه، سواءاً في مجلسه اليومي في بيته من قبل المراجعين، أو عن طريق الرسائل التي ترسل إليه، وكنت أسعى لكتابة أغرب وأهم تلك الأسئلة على أمل طباعتها في المستقبل.

ورغم غرابة بعض الأسئلة، أو اختلافها في العمق أو البساطة فإنّ السيد الشهيد كان يجيب عليها بالدقّة العلميّة المعروفة عنه، وبالوضوح المعهود منه، ولم أعهد السيد الشهيد تلكأ في جواب، أو حار في ردّ طيلة مرافقتي له.

وكنت أعجب، بل تأخذني الدهشة وأنا أسمعه يُجيب، بإسهاب وتفصيل على

أسئلة لا تخطر ببال بشر دون استعداد أو تحضير.

وكنت أنظر إلى مكتبته الخاصّة فتتعمّق حيرتي وتزداد دهشتي؛ لأنّها مكتبة متواضعة، صغيرة ومحدودة لا تتناسب مع مستوى صاحبها، حتّى كان (رضوان اللّه عليه) يستعين في بعض الأحيان بمكتبة قريبة من بيته هي مكتبة الحسينيّة الشوشتريّة لمراجعة بعض المصادر فيها؛ لأنّ مكتبته فقيرة لمعظم المصادر الكبيرة والمهمّة.

فإذن كيف استطاع ﷺ أن يمتلك كلّ هذا الرصيد العلمي الهائل، والمعرفة الشاملة وهو لا يمتلك ما يمكن أن نعتبره ـ الرصيد المادّي للمعرفة ـ المتمثّل بالكتاب.

وفي يوم من الأيام حرّضني الانبهار لاكتشاف هذا الأمر فسألته عنه، فقلت له: سيدي، أنّ هذه الكتب التي أراها لا تقوى على إثراء أحد من العلماء للإجابة على كلّ هذه الأسئلة المعقّدة والمتنوّعة، فكيف يتسنّى لكم الإجابة على كلّ هذه الأسئلة المختلفة في موضوعاتها ومستوياتها، والتي بعضها لا يخطر على بال؟

فقال: وأنا أعجب من ذلك ـ في بعض الأحيان ـ فحينما يبدأ السائل بسؤاله قد لا يحضرني الجواب حتّى اللحظات الأخيرة من سؤاله، ولكن ما أن ينتهي حتّى يحضر الجواب أمامي وكأنّي قد أعددته قبل ذلك.

نعم، إنّه تلميذ باب مدينة علم رسول اللّه ﷺ فلا عجب ولا استغراب إذا كان العلم ينبع من عينه الصافية ليصبّ في هذا القلب الطاهر الذي حمل هموم محمّد وعلي عليهما السلام.

فقد حدّثتني والدة السيد الشهيد (رحمها اللّه) بهذه القضيّة العجيبة التي تؤكّد صحّة ما أقول:

«كان السيد الشهيد في بداية حياته العلميّة مواظباً على الذهاب في كلّ يوم إلى حرم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، فكان يؤدّي الزيارة والصلاة ثمّ يجلس يفكّر بالمسائل العلميّة المعقّدة، مستلهماً من باب مدينة العلم حلّها، وكان يقول: ما

استعصى عليّ حلّ لمسألة في حرم أمير المؤمنين.

وقد انقطع السيد الشهيد ﷺ عن الذهاب إلى الحرم الشريف فترة من الزمن، ولم يكن أحد يعلم بذلك كلّه إلى أن كشف هذا الأمر رجل كان خادماً لوالد السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) ثمّ بعد وفاته بقي على خدمته وعمله متبرّعاً بذلك، فقد رأى في عالم الرؤيا أمير المؤمنين ﷺ فقال له: قل لولدي السيد محمّد باقر الصدر لماذا انقطعت عن حضور درسنا».

وحينما استيقظ من النوم أخبر بما رأى، وقصّ ذلك للسيد الشهيد. وهنا كشف ﷺ عمّا كان قد اعتاده من الجلوس خلف الضريح والتفكير بالمسائل العلميّة هناك.

وعاد (رضوان اللّه عليه) إلى ما كان عليه واستمر عليه حتّى آخر يوم قبل احتجازه.

الثاني: اتّخذ السيد الشهيد منهجاً خاصّاً لتربية نفسه من الناحية العلميّة، فقد كان ـ وكما سمعت منه ـ يقتطف أكثر من عشرين ساعة من الليل والنهار للتحصيل العلمي، وكان يقسّمها بين المطالعة والكتابة والتفكير، ولعلّ التفكير كان يأخذ أكثرها، وقد يكون هذا أحد أسباب الإبداع في انتاجاته العلميّة، وما يرى فيها من تميّز ظاهر. فهو لم يجعل نفسه وعاءاً لأفكار الآخرين يستنسخها في ذاكرته فقط، بل يمحّص كلّ شيء بموضوعيّة ودقّة منقطعة النظير، فما هو حقّ منها يستدلّ له، وما هو باطل يستدلّ عليه، وهكذا. ولقد سمعت سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري ينقل عنه أنّه (رضوان اللّه عليه) كان يستطيع نسف الفلسفة الإفلاطونيّة، بل كان قد بدأ بذلك على مستوى الأحاديث والأبحاث الخاصّة بينه وبين بعض طلابه، ولم يُبرز ذلك على شكل كتاب؛ لأنّ قسماً من الناس يؤمنون باللّه من خلال هذا الطريق فلم يجد ضرورة أو حاجة تستلزم الخوض في هذا الموضوع. ومن المؤكّد أنّ عمله هذا ـ لو حقّقه ـ فسوف يجعله على رأس قمّة فلاسفة العالم، ولكانت مكانته الاجتماعيّة والعلميّة قد تتجاوز

العالم الإسلامي إلى العالم كلّه، ومع ذلك فقد قدّم المصلحة الدينيّة على ما كان سيحصل عليه من شهرة لو أنّه حقّق ذلك المشروع الفلسفي.

ولقد ذكرت آنفاً حالة السيد الشهيد أثناء التفكير أو المطالعة، فقد كان ينقطع عن العالم من حوله بشكل كامل، وهي حالة ليس من السهل لكلّ أحد أن يربّي نفسه عليها.

وابتعد عن كلّ ما من شأنه شغل وقته بما فى ذلك الحياة الزوجيّة، فلم يتزوّج إلّا بعد أن وصل إلى أعلى مراتب الاجتهاد، وحتّى بعد هذه المرحلة ظلّ على نفس المنهج تقريباً، ولم أعهد السيد الشهيد ﷺ يخلد إلى النوم حتّى في أشدّ أيّام الصيف حرارة، فكان حتّى في هذا الوقت لا يفارق كُتبه، وقد قارب الخمسين من عمره، وفي وقت كان فيه الشاب القويّ النشط لا يستطيع مقاومة إغراء النوم في تلك الفترة [١].

نعم، في العام الأخير من عمره الشريف وبعد أن ضعفت قواه كان يستلقي على فراشه أقلّ من ساعة وكان يقول لي: إذا رآني نائماً: لم أعوّد نفسي على النوم؛ لأنّ العمر قصير، فلِمَ تعوّد نفسك على ذلك وأنت لا زلت شاباً.

ومن الغريب ما سمعته منه ﷺ من أنّ حرارة جسمه الطبيعيّة كانت أكثر من الطبيعي بنصف درجة أيام شبابه، وكان المتصوّر أنّ سبب ذلك حالة مرضيّة مجهولة، إلّا أنّ الفحوصات أثبتت سلامته من أي مرض، وفسّر الطبيب ذلك بأنّ الزيادة عبارة عن طاقة إضافيّة في جسمه. وبمرور الزمن وكلمّا تقدّم العمر كانت الزيادة في درجة الحرارة تنخفض حتّى أصبحت في السنوات الأخيرة من عمره الشريف بالمستوى الطبيعي.

وكتب تلميذ آخر من تلاميذ السيد الشهيد سماحة آية اللّه السيد محمود الهاشمي (دام ظله) عن السيد الشهيد باعتباره مدرسة علميّة ذات خصائص تنفرد بها ما يلي:

(١) راجع وثيقة رقم (٣)، ص ٣٣٤.

« والحقيقة أنّ استيعاب أبعاد عظمة هذا العالم الربّاني العامل لا يتيسّر لأحد في مثلِ هذه الدراسة العاجلة ، ولكنّ ذلك لا يعفينا من التعرّض لأبرز معالم مدرسته العلميّة والفكريّة التي أنشأها وخرّج على أساسها جيلاً من العلماء الرساليين والمثقفين الواعين والعاملين في سبيل اللّه المخلصين .. رغم قصر حياته الشريفة التي ابتلاه اللّه فيها بما يبتلي به العظماء من الصدّيقين والشهداء والصالحين ..

وفيما يلي أهم مميزات هذه المدرسة التي ستبقى رائدة وخالدة في تاريخ العلم والإيمان معاً .

١ ـ الشمول والموسوعيّة :

اشتملت مدرسة شهيدنا الراحل على معالجة كافة شُعب المعرفة الإسلاميّة والإنسانيّة ، فهي متعدّدة الأبعاد والجوانب ، ولم تقتصر على الاختصاص بعلوم الشريعة الإسلاميّة من الفقه والأُصول فحسب ، رغم أنّ هذا المجال كان هو المجال الرئيس والأوسع من إنجازاته وابتكاراته العلميّة . فاشتملت مدرسته على دراسات في الفقه ، وأُصول الفقه ، والمنطق ، والفلسفة ، والعقائد ، والعلوم القرآنيّة ، والاقتصاد ، والتاريخ ، والقانون ، والسياسة الماليّة والمصرفيّة ، ومناهج التعليم والتربية الحوزويّة ، ومناهج العمل السياسي ، وأنظمة الحكم الإسلامي ، وغير ذلك من حقول المعرفة الإنسانيّة والإسلاميّة المختلفة .

وقد جاءت هذه الشمولية نتيجة لما كان يتمتّع به إمامنا الشهيد من ذهنيّة موسوعيّة وعملاقة يمكن اعتبارها فلتة يحظى بها تاريخ العلم والعلماء بين الحين والآخر ، والتي تشكّل كلّ واحدة منها على رأس كلّ عصر منعطفاً تاريخيّاً جديداً في توجيه حركة العلم والمعرفة وترشيدها .

فلقد كان ﷺ آية في النبوغ العلمي واتساع الأُفق والعبقرية الفذّة ، وقد سطعت منذ طفولته وبداية حياته وتحصيله العلمي كما شهد بذلك أساتذته وزملاؤه وتلامذته ، وكلّ من اتّصل به بشكل مباشر ، أو التقى به من خلال دراسة مصنّفاته

وبحوثه القيمة.

٢ ـ الاستيعاب والإحاطة:

من النقاط ذات الأهميّة الفائقة في اتّصاف النظرية، أيّة نظرية، بالمتانة والصحّة مدى ما تستوعبه من احتمالات متعدّدة وما تعالجه من جهات شتى مرتبطة بموضوع البحث. فإنّ هذه الخصيصة هي الأساس الأوّل في انتظام الفكر والمعرفة في أيّ باب من الأبواب، بحيث يؤدّي فقدانها إلى أن تصبح النظرية مبتورة، ذات ثغرات ينفذ من خلالها النقد والتفنيد. وهذه الميزة أيضاً كان يتمتع بها فكر السيد الشهيد ﷺ بدرجة عالية، فإنّه لم يكن يتعرّض لمسألة من المسائل العلميّة سيما في الأصول والفقه إلّا ويذكر فيها من الصور والمحتملات ما يبهر العقول. وهذا هو جانب الاستيعاب والإحاطة المعمّقة في فكره.

وقد ظهرت هذه السمة العلميّة، وهذه الخصيصة حتّى في أحاديثه الاعتيادية، فكان عندما يتناول أيّ موضوع، ومهما كان بسيطاً واعتيادياً يصوغه صياغة علميّة، ويخلع عليه نسجاً فنّيّاً، ويطبعه بطابع منطقي مستوعب لكلّ الاحتمالات والشقوق، حتّى يخيّل لمن يستمع إليه أنّه أمام تحليل نظرية علميّة تستمد الأصالة والقوّة والمتانة من مبرّراتها وأدلّتها المنطقيّة.

٣ ـ الإبداع والتجديد:

إنّ حركة العلوم والمعارف البشريّة وتطوّرها ترتكز على ظاهرة التجديد والإبداع التي تمتاز بها أفكار العلماء والمحقّقين في كلّ حقل من حقول المعرفة.

وقد كان سيدنا الشهيد ﷺ يتمتّع في هذا المجال بقدرة فائقة على التجديد وتطوير ما كان يتناوله من العلوم والنظريات، سواء على صعيد المعطيات، أو في الطريقة والاستنتاج.

ولقد كان من ثمرات هذه الخصيصة أنّه استطاع أن يفتح آفاقاً للمعرفة الإسلاميّة

لم تكن مطروقة قبله ، فكان هو رائدها الأوّل ، وفاتح أبوابها ، ومؤسس مناهجها ، وواضع معالمها وخطوطها العريضة ، وستبقى المدرسة الإسلاميّة مَدينة لهذه الشخصية العملاقة في هذه الحقول ، وخصوصاً في بحوث الاقتصاد الإسلامي ، ومنطق الاستقراء ، والتاريخ السياسي لأئمة أهل البيت عليهم السلام .

٤ ـ المنهجيّة والتنسيق :

ومن معالم فكر سيدنا الشهيد منهجيّته الفريدة والمتماسكة لكلّ بحث كان يتناوله بالدرس والتنقيح . ومن هنا نجد أنّ طرحه للبحوث الأُصوليّة والفقهيّة يمتاز عن كافة ما جاء في دراسات وبحوث المحقّقين السابقين عليه من حيث المنهجيّة والترتيب الفنّي للبحث ، فتراه يفرز الجهات والجوانب المتداخلة والمتشابكة في كلمات الآخرين ، خصوصاً في المسائل المعقّدة التي تعسر على الفهم ، ويكثر فيها الالتباس والخلط ، ويوضّح الفكرة وينظّمها ويحلّلها بشكل موضوعي وعلمي لا يجد الباحث المختص نظيره في بحوث الآخرين .

كما كان يتميّز بدقّة طريقة الاستدلال في كلّ موضوع ، وهل أنّها لابدّ منها وأن تعتمد على البرهان ، أو أنّها مسألة استقرائيّة ووجدانيّة ؟ ولم يكن يقتصر على دعوى وجدانيّة المدّعى المطلوب إثباته فحسب ، بل كان يستعين في إثارة هذا الوجدان وإحيائه في نفس الباحثين من خلال منهج خاصّ للبحث ، وهو منهج إقامة المنبّهات الوجدانيّة عليه .

٥ ـ النزعة المنطقيّة والوجدانيّة :

ومن معالم فكر سيدنا الشهيد نزعته المنطقيّة والبرهانيّة في التفكير والطرح ، في الوقت الذي كانت تلك المعطيات البرهانيّة تنسجم وتتطابق مع الوجدان ، وتحتوي على درجة كبيرة من قوّة الإقناع وتحصيل الاطمئنان النفسي بالفكرة ، فلم يكن يكتفي بسرد النظرية بلا دليل أو كمصادرة ، بل كان يقيم البرهان مهمّا أمكن على كلّ فرضية

يحتاج إليها الباحث العلمي ، حتّى ما يتعسّر صياغة برهان موضوعي عليه ،كالبحوث اللغويّة والعقلائيّة والعرفيّة ، وهذه السمة جعلت آراء ومعطيات هذه المدرسة الفكريّة ذات صبغة علميّة ومنطقيّة فائقة يتعذّر توجيه نقد إليها بسهولة ،كما جعلتها أبلغ في الإقناع والقدرة على إفهام الآخرين ، وتفنيد النظريات والآراء الأُخرى ، وجعلتها أيضاً قادرة على تربية فكر روّادها وبنائه بناءاً منطقيّاً وعلميّاً ، بعيداً عن مشاحة النزاعات اللفظيّة ، أو التشويش والخبط واختلاط الفهم ، الخطر الذي تُمنى به الدراسات والبحوث العلميّة والعقليّة العالية في أكثر الأحيان .

وفي الوقت نفسه لم يكن يتمادى هذا الفكر البرهاني المنطقي في اعتماد الصياغات والاصطلاحات الشكليّة التي قد تتعثّر على أساسها طريقة تفكير الباحث فيبتعد عن الواقع ويتبنّى نظريات يرفضها الوجدان السليم ، خصوصاً في البحوث ذات الملاك الوجداني والذاتي ، التي تحتاج إلى منهج خاصّ للاستدلال والإقناع . فكنتَ تجده دوماً ينتهي من البراهين إلى النتائج الوجدانيّة ، فلا يتعارض لديه البرهان مع مدركات الوجدان الذاتي السليم في مثل هذه المسائل ، بل على العكس يصوغ البرهان لتعزيز مدركات الوجدان . وكان يدرك المسألة أوّلاً بحسّه الوجداني والذاتي ثمّ كان يصوغ في سبيل دعمها علميّاً ما يمكن من البرهان والاستدلال المنطقي . ومن هنا لا يشعر الباحث بثقل البراهين وتكلّفها أو عدم تطابقها مع الذوق والحسّ الوجداني للمسألة الأمر الذي وقع فيه الكثير من الأُصوليين والفقهاء المتأخّرين بمناهج العلوم العقليّة الأُخرى .

وقد استطاع هذا المفكّر العملاق على أساس التوفيق بين خصيصته المنطقيّة والعلميّة في الاستدلال وبين مراعاة المنهجيّة الصحيحة المنسجمة مع كلّ علم أن يتناول في كلّ حقل من حقول المعرفة المنهج العلمي المناسب مع طبيعة ذلك العلم من دون تأثّر بالمناهج الغريبة عن ذلك العلم وطبيعته .

٦ ـ الذوق الفنّي والإحساس العقلائي:

الذوق حاسة ذاتيّة في الإنسان يدرك على أساسها جمال الأمور وتناسقها. والذهنيّة العقلائيّة هي الأخرى التي يدرك بها الإنسان الطباع والأوضاع والمرتكزات التي ينشأ عليها العرف والعقلاء، ويُبنى على أساس منها الكثير من النظريات والأفكار في مجال البحوث المختلفة كالدراسات التشريعيّة والقانونيّة والأدبيّة. وهي في الأعم الأغلب مجالات للبحث لا يمكن إخضاعها للبراهين المنطقيّة أو الرياضيّة أو التجريبيّة، وإنّما نحتاج إلى حاسّة الذوق الفنّي والذهنيّة العقلائيّة والحسّ العرفي الأدبي.

ونحن نجد في مدرسة السيد الشهيد ﷺ التميز الكامل بين هذه المجالات وغيرها في العلوم والمعارف، ونجد أنّه ﷺ كان يتناول المسائل في المجال الأوّل بالاعتماد على الذوق الموضوعي والإدراك العقلائي المستقيم، حتّى استطاع أن يضع المنهج المناسب في هذه المجالات، وأن يؤسّس طرائق الاستدلال الذوقي العقلائي، ويؤصّل قواعدها ومرتكزاتها، خصوصاً في البحوث الفقهيّة التي تعتمد الاستظهارات العرفيّة، أو المرتكزات العقلائيّة، فأبدع نهجاً فقهيّاً موضوعيّاً في مجال الاستظهار الفقهي خرجت على أساسه الاستظهارات من مجرّد مدّعيات ومصادرات ذاتيّة إلى مدّعيات ونظريات يمكن تحصيل الإقناع والاقتناع فيها على أسس موضوعيّة.

وتحسن الإشارة إلى أنّه قلّما تجتمع النزعة البرهانيّة المنطقيّة في الاستدلال مع الذوق الفنّي والحسّ العقلائي والذهنيّة العرفيّة في شخصية علميّة واحدة، فإنّنا نجد أنّ العلماء الذين مارسوا المناهج العقليّة والبرهانيّة من المعرفة تفاعلوا مع تلك المناهج وطرائق البحث قد لا يحسّون بدقائق النكات العرفيّة والذوقيّة والعقلائيّة، ولا يبنون معارفهم وأنظارهم إلّا على أساس تلك المصطلحات البرهانيّة التي اعتادوا عليها في ذلك البحث العقلي. وكذلك العكس، فالباحثون في علوم الأدب والقانون

وما شاكل نجدهم لا يجيدون صناعة البرهان والاستدلال المنطقي ، ولكن نجد أنّ مدرسة سيدنا الشهيد قد امتازت بالجمع بين هاتين الخصيصتين اللتين قلّما تجتمعان معاً ، وتمكّنت من التوفيق الدقيق فيما بينهما ، واستخدام كلّ منهما في مجاله المناسب والسليم دون تخبّط أو إقحام ما ليس منسجماً .

٧ـ القيمة الحضاريّة لمدرسة السيد الشهيد الصدر :

لقد كان سيدنا الشهيد الصدر تحدّياً حضاريّاً معاصراً ، وكان من مميّزات مدرسته أنّها استطاعت التصدّي لنسف أُسس الحضارة المادّيّة لإنسان العصر الحديث ، وأن يقدّم الحضارة الإسلاميّة شامخة على أنقاض تلك الحضارة المنسوفة ، وعلى أُسس قويمة ، وضمن بناءٍ شامل ومتماسك ومتين استطاع سيدنا الشهيد من خلاله أن ينزل إلى معترك الصراع الفكري الحضاري كأقوى وأمكن من خاض غمار هذا المعترك ، ووفّق لتفنيد كلّ مزاعم ومتبنّيات الحضارة المادّيّة المعاصرة ، وأن يخرج من ذلك ظافراً وبانياً لصرح المدرسة الأصيلة العتيدة والمستمدّة من منابع الإسلام الأصليّة والمتّصلة بوحي السماء ولطف اللّه بالإنسان .

هذه نبذة مختصرة عن معالم مدرسة هذا المرجع والفيلسوف والعارف الربّاني ، والمجاهد الشهيد التي أسسها وأشادها لبنة لبنة بفكره ، ونمّاها مرحلة مرحلة بجهوده العلميّة المتواصلة ، وهي تعبّر بمجموعها عن البعد العلمي ، الذي هو أحد أبعاد هذه الشخصية العظيمة الفريدة في تاريخنا المعاصر . . . »[1].

والحقيقة أنّ كلّ ما كُتب أو قيل عن هذا الجانب من شخصية شهيدنا الغالي رغم أهمّيته لا يُعبّر إلّا عن جزء من عبقريّته ونبوغه العلمي ، ومن أراد اكتشاف الحقيقة فعليه أن يبحث عنها فيما تركه من مؤلّفات قيّمة ستظل تزهر في سماء العلم والمعرفة .

---

(١) بحوث في علم الأُصول ج ١ ، ص ٧ ـ ١٢ .

النشاط التدريسي:

كان للسيد الشهيد (رضوان اللّٰه عليه) مجلسان للتدريس :

الأوّل : بحث الأُصول ، وكان يلقيه في مسجد الجواهري بعد أذان المغرب بساعة في الأيام الدراسيّة من الأُسبوع .

الثاني : بحث الفقه ، وكان يلقيه في جامع الطوسي في الساعة العاشرة صباح كلّ يوم من الأيام الدراسيّة .

وكان للسيد الشهيد ـ قبل فترة التصدّي للمرجعيّة ـ محاضرات رائعة كان يلقيها في مناسبات وفيّات الأئمة عليهم السلام على طلابه ، سُجّل بعضها بصوته وطبعت فيما بعد باسم «أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف» ولا زال بعضها طي الإهمال .

كما أنّ أبحاثه فقهاً وأُصولاً معظمها بصوته وقد صادرتها السلطة العفلقيّة بعد استشهاده ، ولم يُحفظ من هذه التسجيلات إلّا القليل عند بعض طلابه ، وهذا أيضاً في طريقه إلى الضياع ، حيث لا يوجد من يهتم اهتماماً حقيقيّاً بتراث السيد الشهيد ، وهذه واحدة من مظلوميّاته الكثيرة التي لا أُريد أن أتحدث عنها .

مؤلفات السيد الشهيد:

١ ـ غاية الفكر في علم الأُصول .

وهو عشرة أجزاء طبع منها الجزء الخامس فقط وفقدت الأجزاء الأُخرى .

٢ ـ فدك في التاريخ .

٣ ـ فلسفتنا .

٤ ـ اقتصادنا .

٥ ـ المدرسة الإسلاميّة .

٦ ـ المعالم الجديدة للأُصول .

٧ ـ البنك اللاربوي في الإسلام .

٨ـ الأُسس المنطقيّة للاستقراء.

٩ـ بحوث في شرح العروة الوثقى.

١٠ـ موجز أحكام الحج.

١١ـ الفتاوى الواضحة.

١٢ـ دروس في علم الأُصول.

١٣ـ بحث حول الولاية.

١٤ـ بحث حول المهدي.

١٥ـ تعليقة على رسالة بُلغة الراغبين.

١٦ـ تعليقة على منهاج الصالحين.

١٧ـ سلسلة أبحاث (الإسلام يقود الحياة).

١٨ـ محاضرات في التفسير الموضوعي للقرآن.

وللسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) مؤلّفات أُخرى صادرتها السلطة، منها كتاب كُنت أراه يؤلّفه في فترة الحجز، لم يضع له اسماً، وقد سألته عن موضوعه فقال: إنّه في أُصول الدين [١].

وله كتاب آخر عن تحليل الذهن البشري، لم يتمّه، وقد صادرته السلطة بعد استشهاده.

وقد يسأل البعض عن كتاب «مجتمعنا» هل كتبه السيد الشهيد؟ والحقيقة أنّ هذا الكتاب لم يُكتب، وإنّما أفكاره وهيكليّته العامّة كانت قد سُجلت كرؤوس نقاط ولم تتهيّأ الظروف لكتابته.

---

(١) راجع وثيقة رقم (٥) و (٦)، ص ٣٣٦ و ص ٣٣٧.

الفصل الثاني

الشهيد الصدر كما رأيته

الشهيد الصدر كما رأيته

قد ينجذب إنسان إلى شخص مّا متأثّراً ببعض الخصائص فيه ، فينشدّ إليه ويقوّي صلته به ، ويحدث غالباً أن تضعف هذه العلاقة حيث تنتهي مادّة الجذب ، أو يضعف الوهج الذي كان سبباً للانجذاب .

إلّا أنّني اعتقد ـ لو أردت أن أتحدث عن تجربتي ، أو تجربة بعض الأُخوة الذين عايشوا السيد الشهيد ـ أنّ الإنسان كلّما انشدّ إليه ، ازداد حبّاً له وتعلّقاً به ، وكلّما طالت مدّة التعايش كلّما توطّدت العلائق ؛ وذلك لما يجد فيه من جميل الخصال ، ومكارم الأخلاق ، وطهارة السريرة .

لقد جمع الشهيد الصدر من الصفات والخصال ما جعل حالة الجذب فيه عامّة يتأثّر به البعض لما يجد فيه من إبداع وعمق علمي ، وقد يتأثّر آخرون بما تتمتّع به أبحاثه من عمق ومنهجيّة ودقة منقطعة النظير ، ويتأثّر البعض بما يجد فيه من خُلق محمّدي ، أو ترابيّة علويّة وهكذا .

ولنا أن نفهم الظرف الذي حدث فيه ذلك الانجذاب والعلاقة ، إذ من خلاله نستطيع أن نقيّم تلك العلاقة ، هل هي عاطفيّة بحتة ، أم أنّها قائمة على أُسس مبدأيّة .

لقد انبثق فجر عبقريّة الشهيد الصدر ﵀ في أظلم فترة من تاريخ العراق وأقساها ، في زمن تسلّط فيه ما يسمّى بحزب البعث العربي الاشتراكي ، مع ثلّة من الحكّام المتخلّفين أخلاقيّاً ونفسيّاً وحضاريّاً ، فكان الإرهاب والقسوة والعنف في التعامل مع

كلّ ظاهرة حضاريّة وعلميّة منهجهم الثابت وطريقتهم المُثلى .

حاول هؤلاء تمزيق كلّ القيم في العراق ، وأرادوا اجتثاث ما تعوّد عليه أبناء هذا الشعب من طيبة ومحبّة وصدق وكرم ، فكان لهم في كلّ يوم صولة على هذا الجانب أو ذاك . يهدمون بمعاولهم الصليبيّة تلك القيم متستّرين بشعارات مفضوحة ، فبنوا السجون ونصبوا المشانق ، واستوردوا أخطر وسائل التعذيب وأضافوها إلى ما عندهم من وسائل إرهاب وتنكيل ، يكمّون بها أفواه أبناء العراق ، أو يزهقون بها أرواحهم .

وكان منهجهم هذا عامّاً ، لكلّ العراقيين باستثناء ثلّة ماثلتهم في سوء الخلق وخبث السريرة ، وكان للنجف لما تشير إليه من معنى ، وللشهيد الصدر ﵀ لما يمثّله من فكر وعقيدة السهم الأوفر من الإرهاب والتنكيل .

ما أقسى وأشد هذه المحنة ، لقد امتلأت قلوبهم حقداً عليه ، وتطايرت نفوسهم شرراً للتنكيل به ، فكانت منظّماتهم الإرهابيّة (مديريات الأمن والمخابرات العامّة ومنظمة حزب البعث) له بالمرصاد ، تعدّ أنفاسه في الليل والنهار حتّى يبدو للناظر أن لا همّ للسلطة إلّا هذا الرجل المجرّد من كلّ سلاح وقوّة ، إلّا الإيمان وسلاح الفكر والعلم والمعرفة .

وصار واضحاً للجميع أنّ إقامة علاقة بالشهيد الصدر تعني حكم الإنسان على نفسه بالإعدام ، أو السجن ، أو التشريد ، فبالأمس سقط السيد عماد شهيداً وهو من طلابه ، وبالأمس سقط القبنجي شهيداً وهو من طلابه . وما أكثر الطلبة والعلماء والمؤمنين الذين اعتُقلوا أو سُجنوا بسبب علاقتهم به حتّى وصل الأمر إليه ، فكان هو المرجع الوحيد في تاريخ النجف الذي يُعتقل عدّة مرّات ، ثمّ يُحتجز ويُعدم .

لم تكن العلاقة بالشهيد الصدر في كلّ مراحل حياته المرجعيّة ، وخاصّة في السنوات الأخيرة من عمره الشريف تعني الرفاه والدعة ، أو الأمن والأمان ، يشهد لذلك كلّ من عاصره ، أو عاش بقربه ، وخاصّة طلابه والمقرّبين منه .

ولازلت أتذكر تلك الأجواء الرهيبة التي تخيّم على المرتبطين بالشهيد الصدر

والمقرّبين منه، ومطاردة قوّات الإرهاب (الأمن) لهم في المساجد والمدارس والأزقّة والأماكن العامّة والخاصّة، ولازلت أتذكّر ذلك العالم الجليل الذي التقى بي صدفة في زقاق قريب من مسجد الجواهري في النجف الأشرف عام (١٩٧٥ م) تقريباً فأخذني جانباً بعد أن التفت يميناً وشمالاً ليطمئنّ إلى عدم وجود رقيب للسلطة، فقال لي: إنّك تلعب بالنار، هل تعلم إنّ حياتك في خطر، إنّك مراقب من قِبل الأمن، قلّل من ذهابك إلى منزل السيد الصدر.

وهذا الرجل كان مخلصاً في نصحه لي، فأنا أعرفه حقّ المعرفة، إلّا أنّه لم يكن يدرك من الأُمور إلّا أبعادها المادّيّة فقط، فلست أجهل أخلاقيّة السلطة ونقمتها وغضبها، وكنت أعلم أنّ العاقبة المادّيّة لهذا الطريق لا تصبّ في مصلحتي، فمن المحتمل أن أُعتقل وأُعدم في أيّ لحظة، ومع ذلك كنت أشعر أنّ المسؤولية الشرعيّة تُحتّم عليَّ أن أُواصل المسيرة مهما كانت النتيجة، ومهما كان الثمن، ولأنّي كنت أرى الصدر يجسّد قيم علي عليه السلام وإخلاصه، وفنائه في اللّه، وزهده وتقشّفه وتفانيه في الإسلام، فكنت أقول لنفسي: إنّ التراجع خيانة، وخاصّة في هذه الظروف القاسية والعصيبة.

كان هذا التفكير يُطمئن قلبي ويُريح مشاعري وأحسّ بالاطمئنان أكثر وأكثر حينما أرى السيد الشهيد رحمه الله يصارع تلك المحن والمصائب صراع الأنبياء لها، فكان لا يخشى ولا يخاف، حتّى توّج صراعه هذا بالعاقبة الحسنة فاختار الشهادة راضياً (رضوان اللّه عليه).

أقول: إنّ هذه الظروف تجعل من غير المنطقي ـ بحسب الموازين المادّيّة ـ أن يربط الإنسان حياته بحياة من هو في نظر السلطة الشرسة عدوها اللدود، وهو يعلم أنّ المشانق تنتظره والسجون والمعتقلات أسهل عقوبة إن نجى من غيرها، فهل يا ترى يمكن أن نفسّر ـ على ضوء ذلك ـ هذا التعلّق الشديد بالسيد الشهيد قدس سره والارتباط به على أنّه تعلّق عاطفي أو مصلحي؟

فيا ترى ما هي نقاط الجذب في شخصية السيد الشهيد ، وما هي الخصائص التي تجعل الإنسان يتعلّق به حتّى التضحية ؟

وإنّي اعترف بالعجز والتقصير ، واعتذر عن ذلك ، فكلّ ما سوف أذكره لا يعبّر إلّا عن جزء يسير من الواقع ، وهو على نحو الإشارة فقط .

عواطف السيد الشهيد ومشاعره

إنّ من سمات شخصية المرجع الشهيد ﵀ تلك العاطفة الحارّة ، والأحاسيس الصادقة ، والشعور الأبويّ تجاه كلّ أبناء الأُمّة .

تراه يلتقيك بوجه طلق ، تعلوه ابتسامة تُشعره بحبّ كبير وحنان عظيم ، حتّى يحسب الزائر أنّ السيد الشهيد لا يحبّ غيره ، وإن تحدّث معه أصغى إليه باهتمام كبير ورعاية كاملة ، وإن سأله أجابه بمقدار استيعابه وتحمّله ، فتحصل حالة يحسّ الزائر من خلالها بحبّ وعاطفة تملك قلبه .

كانت السمة العاطفيّة في شخصية السيد الشهيد ﵀ تشكّل نقطة ضعف في نظر البعض ، وكان يُلام على ذلك ، ويُنتقد ـ ومن العجيب أن يُنتقد الإنسان على حسناته ـ بل استغلّ البعض هذه السمة ممّن أرهبهم شموخ السيد الشهيد وامتداده في الأُمّة ، بعد أن عجزوا عن العثور على سلبيّة في شخصيته أو سلوكه ، فشنّوا حملات كبيرة من الانتقاد والتشهير تثير العجب ، وكانوا يقولون : « إنّ السيد الصدر عاطفي لا يصلح للمرجعيّة وقيادة الأُمّة » ؟!

واعتقد أنّ هؤلاء الذين ينتقدونه على ذلك ، ويعتبرون هذه السمة نقطة ضعف فيه ـ أيّاً كانوا ـ لا يعرفون حقيقة الشهيد الصدر، بل لا يعرفون ما يجب أن يتوفّر في القائد من سمات ومقوّمات وصفات ، بل لعلّهم لا يفهمون سيرة نبينا محمّد ﷺ وأئمتنا ﵈ مع المؤمنين والمسلمين على امتداد التاريخ الإسلامي ، رغم أنّهم يردّدون مقاطع من تلك السيرة ويستشهدون بها في أحاديثهم وخطبهم .

إنّنا نعتزّ ونفتخر حينما نقرأ في كتب السيرة أنّ الإمام الحسين عليه‌السلام بكى في يوم العاشر من محرّم حينما رأى الجيش الذي حشّده بنو أُميّة لقتاله، وعندما سئل عن سبب بكائه أجاب: أنّ هؤلاء سيدخلون النار بسببي، إنّنا نفتخر بذلك، ومن حقّنا أن نفتخر لأنّ أئمتنا يمتكلون هذا القدر الكبير من العاطفة الهادفة.

كما أنّنا نبكي حينما نقرأ أنّ الإمام الحسين عليه‌السلام هدّه مقتل ولده علي الأكبر عليه‌السلام فعجز عن حمله، فقال لأصحابه: احملوه فلا طاقة لي على حمله. وكذلك حاله مع أخيه العباس عليه‌السلام. أو نتأثّر حينما نقرأ أنّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله رقّ لولده إبراهيم فعاتبه البعض على ذلك، فقال لهم: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ.

فلماذا يا ترى يُنتقد من يقتدي بأخلاقه وسلوكه بمن أمرنا اللّه ـ تعالى ـ بالاقتداء بهم؟ ثمّ ما هي الضرورة التي تفرض أن يكون المرجع غليظ القلب مع شعبه، يعيش معهم بلا أحاسيس ولا مشاعر ولا عواطف؟

إنّ العاطفة المذمومة هي تلك التي تؤثر على مواقف الإنسان الدينيّة والعقائديّة بما يسخط اللّه تعالى ﴿**لا تَجدُ قوماً يُؤمِنون باللّه واليومِ الآخر يُوادّون مَن حادّ اللّه ورسولهَ ولو كانوا آباءَهم أو أبناءهم أو إخوانَهم أو عشيرتَهم أُولئك كتبَ في قُلوبِهمُ الإيمانَ وأيّدَهُم بروح منه ..**﴾[1]. أمّا العواطف التي يُطلب بها وجه اللّه تعالى، العاطفة الهادفة المسخّرة لخدمة الرسالة والأهداف المقدّسة، فهي الحسنة التي لا يجوز أن يزهد فيها قائد ﴿**ولو كُنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانفظّوا من حولِكَ**﴾[2]

وكان (رضوان اللّه عليه) يتألّم حينما تبلغه تلك الانتقادات، لا لأنّها تمسّه شخصيّاً، فما أكثر المواقف والانتقادات التي استهدفته فتجاهلها وكأنّها لم تكن أو كأنّه لم يسمع بها لأنّها شخصيّة، بل لأنّ هذه الانتقادات كانت تصبّ في إطار تهديم الحوزة

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

والمرجعيّة، وهو ما كانت تستهدفه السلطة.

لقد سمعته يقول: ماذا يريد هؤلاء منّي، هل يريدون أن أتعامل مع الناس بجفاء وخشونة، هل يريدون أن لا أمنحهم حبّي، إذ كيف يمكن للأبّ أن يربّي أبناءه بقلب لا يحبّهم، أليس هؤلاء هم الذين سيحملون راية الإسلام ويدافعون عن كرامة القرآن، إذا كنّا لا نسع الناس بأموالنا فلماذا لا نسعهم بأخلاقنا وقلوبنا وعواطفنا؟

وعلى كلّ حال أجدُ لزاماً عليّ أن أُشير إلى الملاحظات التالية فيما يتعلّق بهذا الموضوع؛ لأنّها تلقي الضوء على حقيقة عواطفه ومشاعره.

١ـ أنّ عاطفة السيد الشهيد ﷺ وأحاسيسه صادقة بمعنى الكلمة، فهو لا يعرف التصنّع والتمثيل، إذا تألّم لأحدٍ تألّم من أعماقه، وإذا أحبّ أحداً أحبّه من قلبه، ومن عاش مع السيد الشهيد يدرك ذلك بسهولة من خلال تصرفاته وانفعاله مع الحالة، ومن تأثير ذلك على وجهه وملامحه، وسوف نرى في طيّات هذا الكتاب ما يشهد لذلك.

٢ـ أنّ هذه العاطفة للّه، طلباً لمرضاته، وتقرّباً اليه عزّ وجلّ، وليست حالة فطريّة جُبل عليها فقط، نعم، إنّه استطاع أن يربّيها وينمّيها حتّى يراها الرائي وكأنّه جُبِل عليها، ثمّ سخّرها لخدمة الأهداف العظيمة والمبادئ السامية، وكان يتحكّم بها بالشكل الذي تقتضيه مصلحة الإسلام.

ولي على ذلك الكثير من الشواهد: فقد رأيته في مواقف مع بعض أرحامه وأعزّ الناس عليه حينما تصرّفوا تصرّفاً مباحاً لكنّه ينافي الخط الذي رسمه للمرجع والمرجعيّة، رأيته وكأنّه قد مسخت عنه العاطفة ولم يعرف لها معنىً. وإذا كان لا يحقّ لي أن اتحدّث عن الآخرين فلا ضير من أن اتحدّث عن نفسي فيما يتعلّق بهذا الموضوع.

فمثلاً في يوم من الأيام حاولت أن اشتري جهاز تكييف من دون إذنه لأنّ والدته ـ حليفة الورع والتقوى ـ مصابة بمرض في جهازها التنفسي، وكان الدكتور المشرف على علاجها (وهو الدكتور ضياء العبيدي) قد أخبرني بأنّ حالتها ستستمر بالتدهور إلّا

إذا استبدل جهاز تبريد الغرفة المائي بجهاز تكييف غازي .

وفي اليوم التالي ذهبت إلى السوق لأسأل عن سعر الجهاز كي استأذن السيد الشهيد في شرائه ، ولم أكن أخبرته برأي الطبيب ، وأنّ علاج والدته منحصر بهذا ، ولكني أخبرته بأمر ذهابي إلى السوق لغرض معرفة سعر جهاز التكييف ، وهنا كانت المفاجأة ، لقد غضب غضباً شديداً ، وتغيّرت ملامح وجهه ، وأعتقد أنّي لو كنت ابنه الصلبي لضربني في تلك الساعة ، ثمّ خاطبني منفعلاً بقوله :

«هل مات إحساسك ؟ هل تريد أن أنعم بالهواء البارد وفي الناس من لا يملك حتّى المروحة البسيطة ؟ ألم تعلم بأنّي أُريد لهذه المرجعيّة حياة البساطة والاكتفاء بأبسط مظاهر العيش بل الضروري منه ؟».

فواللّه العظيم لقد أذهلتني الصدمة وأنا أرى السيد الشهيد قد بلغ به الانفعال والغضب أشدّه وكأنّه لم يعرف للعاطفة والمحبّة محلاً في قلبه .

فقلت له : لقد ذهبت بمفردي إلى السوق ولم يعلم بذلك أحد .

فقال : الناس يعلمون أنّك معي وتصرّفك يُحسب عليَّ .

قلت : الطبيب نصح بذلك ، ويمكنكم الاستفسار منه ، ثمّ أخبرته بتفاصيل ما قاله الطبيب ، هنا عاد (رضوان اللّه عليه) إلى وضعه الطبيعي ، وبدأ يخفّف ممّا أحسّه في نفسي من تأثّر ، وقال :

«أنا يا ولدي أُريد أن أُغيّر هذا الواقع بقولي وفعلي ، وعليك أن لا تنسى هذه الحقيقة في كلّ تصرّفاتك وأعمالك في المستقبل ».

وأتذكر أيضاً أنّ السلطة الظالمة حينما شنّت حملتها القاسية عام (١٩٧٤ م) لاعتقال الطلبة والمؤمنين ، وانتهت بإعدام الشهداء الخمسة (رضوان اللّه عليهم)[١] والحكم بالسجن المؤبّد على عدد كبير منهم ، وقد بلغ السيد الشهيد ـ قبل أن تظهر

---

(١) وهم المرحوم السيد عماد التبريزي، والمرحوم الشيخ عارف البصري، والمرحوم السيد عزّ الدين القبانجي، والمرحوم عبد الأمير جلوخان، والمرحوم السيد نوري طعمة.

نتائج الحملة ـ أنّ المعتقلين يعانون من ضغوط كثيرة منها حرمانهم من الطعام مع ما يتعرّضون له من تعذيب شديد، فتألّم وتأثّر لذلك كثيراً، فأخذ يفكّر في طريقة تساعد المؤمنين في محنتهم، وتعينهم على الصبر والصمود، فدعاني في ظهر يوم من أيام تلك المحنة إلى مكتبته، وقال لي: لقد بلغني أنّ المؤمنين يتعرّضون إلى مجاعة مع ما يلاقون من تعذيب، وتحدّث عن ضرورة مساعدتهم بأيّ ثمن، وظلّ يتحدّث حتّى فهمت أنّ لديه رغبة في أن أقوم بهذه المهمة. فقلت له: أنا مستعد لذلك إن شاء اللّه. فقام وأتى بمبلغ في حدود اربعمائة دينار، وقال: وزّع هذا المبلغ عليهم أو وفّر لهم الطعام في السجن من دون علم السلطة بمصدر المال، وفي عصر نفس اليوم ذهبت إلى سوق النجف الكبير وهناك تمّ اعتقالي مع جماعة من الطلبة وكان المتوقّع أن أُنقل إلى بغداد، إلّا أنّ ذلك لم يحصل بسبب امتلاء سجون مديريّة الأمن العامّة بالمعتقلين، وبعد مضي شهر تقريباً وبعد التحقيق تمّ الإفراج عنّا جميعاً بكفالة، وكنّا نحن سجناء مديريّة أمن النجف آخر من أُفرج عنهم تقريباً[1].

أمّا في بغداد، فإنّ السلطة استقرّ رأيها على إعدام الشهداء الخمسة ﷺ والحكم بالحبس المؤبّد على مجموعة أُخرى، واعتقدت السلطة بأنّ هذه الضربة ستقضي على التحرّك الإسلامي في العراق، أو تشلّه ولو لأمد من الزمن، وعلى هذا الأساس اتخذ التحقيق طابعاً آخر، فتقرّر أنّ كلّ من يعترف ـ ولو اعترافاً صوريّاً ـ بانتمائه لحزب

---

(١) من صور الفداء والتضحية أنّ المرحوم الشهيد حجّة الإسلام الشيخ عبد الأمير محسن الساعدي وهو أحد وكلاء السيد الشهيد كان معي في نفس المعتقل وكان ضابط الأمن يأخذه يومياً للتعذيب والتحقيق من دوننا، وبعد التحقيق يعود وقد تلقّى أنواع التعذيب ولم يكن أحد منّا يعرف سبب ذلك، إلّا أنّه كان يقول لي على سبيل المزاح: أنت السبب في كلّ هذا العذاب وأنت المسؤول عنه، ولم أكن أعرف ما يقصده بكلمته هذه حتّى كان اليوم قبل الآخير من تاريخ الإفراج عنّا إذ دعيت مرّة أُخرى إلى التحقيق، فقد تبيّن لي أنّ السلطة وقعت في اشتباه بيني وبينه، فكان ﷺ يُعذّب بدلاً منّي، وكان يعلم بالاشتباه ولكنّه لم يعترف لهم بالحقيقة، بل ولم يخبرني خشية أن اعترف لهم بالحقيقة. وبعد أن عُدت من التحقيق والتعذيب خاطبني بعين ترقرق بالدمع وقال: واللّه كان بودّي أن استمر على هذا الحال ولا يكشف أمرك، أما وقد عرفوك فالمعذرة إلى اللّه.

الدعوة الإسلاميّة يفرج عنه في نفس اليوم ، فوقع تحت تأثير هذا الإغراء الكثير منهم وتمّ الإفراج عنهم .

لقد علم السيد الشهيد بذلك فتألّم كثيراً ، ولكن ما عساه يفعل وقد انتهى كلّ شيء ، وكان ﷺ يظنّ أنّ الإفراج عنّي كان لنفس السبب .

علم ﷺ بوصولي إلى بيته ، فتوقّعت منه استقبال الأب لابنه ، خاصّة وأنا أعرف كريم خُلقه ، وصفاء قلبه ، ونقاء روحه . لم يكن ما كُنت اظن ، فقد جاء وعلامات الانفعال والتأثّر ظاهرة عليه ، وقال : إن كنت قد اعترفت فلا تدخل بيتي بعد اليوم ، ولا تعرّض هذه المرجعيّة للخطر .

والحقيقة كانت مفاجأة كبيرة لم أكن اتوقعها ، بل كانت صدمة هدّت كياني ، وكدت اسقط أرضاً من وقعها ، إذ لم أعلم بما جرى في مديريّة الأمن العامّة في بغداد ، ولم أعلم بقصّة الاعترافات .

أكّدت له (رضوان اللّه عليه) بأنّي ومعظم الإخوة الذين كانوا معي في المعتقل لم نعترف بشيء ، وتحمّلنا في سبيل اللّه حتّى اللحظة الآخيرة ألوان التعذيب ، وشرحت له مسار التحقيق بأكمله ، عندها تفتّحت أساريره ، وطفح السرور على وجهه وقال لي : يا ولدي ، إنّ اعترافك يختلف عن اعتراف الآخرين ، إنّ السلطة تعرف موقعك منّي ، واعترافك يحسب عليّ ، ويجب علينا أن نحمي المرجعيّة ولا نعرّضها للخطر .

وكان (رضوان اللّه عليه) يسعى للابتعاد بالمرجعيّة عن الأُطر الحزبيّة التي كانت السلطة جادّة في تثبيتها على مرجعيّته ، وإلصاقها بها تمهيداً للقضاء عليها .

وفي فترة الاحتجاز قدّم مدير أمن النجف المجرم (أبو سعد) عدّة اعترافات خطيّة للسيد الشهيد وقال له : هذه الأدلّة التي تثبت أنّ منزلك وكراً لحزب الدعوة ، وأنّ بعض أصحابك من أعضائه ، وهذه الوثائق تكفي وحدها لإعدامك .

أقول أين ذهبت تلك العاطفة وهو يستقبلني بهذه الشدّة والحدّة وهو يرى آثار التعذيب على جسمي ، أليس ذلك الانفعال كلّه من أجل مصلحة الإسلام ، ومن أجل

مرضاة اللّه سبحانه وتعالى .

٣ ـ من سمات هذه العاطفة أنّها عامّة شاملة لكلّ الناس ، فليست هي لأهله وذريّته وأرحامه ، ولا لطلابه والمقربّين منه فحسب ، بل لكلّ أبناء الأُمّة .

وللّه أشهد بأنّني رأيت السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) في مواقف تشهد على ما أقول حيث يصبح الإنسان حائراً أمام تلك العظمة ، وعند ذلك الشموخ وتبعثه إلى التساؤل عن أنّه كيف استطاع ﷺ أن يربّي نفسه إلى حدٍ يتساوى في حبّه وعاطفته تجاه ابنه الصلبي مع حبّه وعاطفته تجاه ابنه في الإسلام ، بل قد يفضّل ابنه في الإسلام على ابنه الصلبي إذا كان عطاؤه للإسلام وتفانيه فيه أكثر أهمية وموقعه في العمل الإسلامي أهم وأخطر

فمن تلك المواقف العجيبة ما رأيته حينما صدر حكم الإعدام على الشهداء الخمسة في عام (١٩٧٤ م) أذ تأثّر ﷺ غاية التأثّر ، كان الحزن يخيّم عليه ، وكان الأسى يملأ قلبه ، لا يقرّ له قرار ، ولا يهدأ له حال وكأنّه قد ثُكل بأعزّ ولده ، وأُصيب بما يشبه الشلل . دخلت عليه في يوم من أيام حادثة إعدام الشهداء الخمسة ﷺ في حدود الساعة الثالثة بعد الظهر فوجدته يبكي والدموع تجري وكأنّه فقد أعزّ عزيز عليه ، فقلت له : سيدي إذا كنت أنت تفعل هكذا فماذا يجب أن أفعل أنا وأمثالي ؟

كفكف دموعه ثمّ قال لي :

« واللّه لو أنّ البعثيين خيّروني بين إعدام أولادي الخمسة وبين إعدام هؤلاء لاخترت إعدام أولادي وضحّيت بهم ، إنّ الإسلام بحاجة إلى هؤلاء لا إلى أولادي » .

وواللّه لقد كان صادقاً ، لقد رأيته خلال فترة الاحتجاز يضحّي بسعادة عائلته وأولاده من أجل الإسلام ، كان كلّ شيء في البيت يدعو السيد الشهيد إلى فكّ الحجز حيث والدته المريضة طريحة الفراش تشكو بأنينها مصاعب المرض وحرمانها الدواء ، وبدأ الجوع تظهر آثاره على وجوه أولاده الصغار في تلك الفترة من الاحتجاز ،

والجو الكئيب الملتف بالإرهاب قتل الابتسامة في وجوههم، وقد طالت المدّة وتمادت، ومع ذلك أبى قبول أبسط شروط السلطة لفكّ الحجز، وقدّم مصلحة الإسلام والمرجعيّة على مصلحته الخاصّة، وسترى تفاصيل ذلك فيما بعد.

من المؤكّد أنّ السيد الشهيد ﷺ كان يعرف موقع الشهداء الخمسة في التحرّك الإسلامي في العراق، ودورهم الخطير والكبير في خدمة الإسلام لو استمر بهم العمر. فمثلاً المرحوم الشيخ عارف البصري كان من كبار علماء بغداد، وفي مركز من أهمّ مراكزها وهو الكرّادة، وكان محوراً كبيراً، تغلغل في قلوب الناس وأعماقهم، وكان من المتوقع أن يؤدّي دوراً كبيراً في بعث حركة الوعي الإسلامي في بغداد.

وقد لا يصدّق البعض إذا قلت: إنّ صلة المرحوم الشيخ عارف البصري بالسيد الشهيد كانت ضعيفة جداً، فلم يتّفق أن زار السيد الشهيد ولا مرّة واحدة طيلة المدّة التي قضيتها مع السيد الشهيد، ولم يكن من وكلائه أو المحسوبين عليه، ومع ذلك فإنّ القيم التي يتعامل على أساسها شهيدنا العظيم مع الأشخاص والمواقف أسمى بكثير من الاعتبارات الذاتيّة والملاكات الشخصيّة ذات الاتجاه العاطفي الأناني، فهو يبكي على الشيخ عارف لا على أساس صلته الشخصيّة به، بل على أساس صلته بالإسلام ودوره في مسيرة الجهاد نحو خدمة الرسالة.

وكنت خلال فترة الاحتجاز أخبر السيد الشهيد بإعدام أشخاص من المؤمنين - وكان لا يعرفهم - فكان يبكي ويقول:

«بأبي أنتم وأُمي أيّها السعداء جزاكم اللّه عن الإسلام، وعن أبيكم، هنيئاً لكم، لقد سبقتموني إلى لقاء اللّه».

وحينما بلغه نبأ إعدام الشهيد آية اللّه السيد قاسم شبّر، والسيد المبرقع، وعشرات آخرين من العلماء والمؤمنين، قبض على شيبته الكريمة ورفع رأسه إلى السماء وقال:

«إلهي بحق أجدادي الطاهرين، ألحقني بهم سريعاً، واجمع

بيني وبينهم في جنّاتك».

وقد حدّثني (رضوان اللّه عليه) في فترة الحجز ـ وكنت أتحدث معه عن إمكانية الفرار وإنقاذه من أيدي الظالمين ـ بأنّه مصمّم على الشهادة – وذكر الأسباب – وقال:

«حتّى لو أنّ السلطة فكّت الحجز عنّي فسوف أبقى جليس داري؟ فليس منطقيّاً أن أدعو الناس إلى مواجهة السلطة حتّى لو كلّفهم ذلك حياتهم، ثمّ لا أكون أوّلهم سبقاً إلى الشهادة في الوقت الذي يستشهد فيه الشاب اليافع والشيخ الكبير من أمثال الشهيد المرحوم السيد قاسم شبّر الذي جاوز التسعين من عمره».

ومن العجيب أن تمتدّ هذه العاطفة حتّى إلى أعدائه، ففي فترة الحجز كانت قوات الأمن تطوّق منزل السيد الشهيد تطويقاً تامّاً وكأنّهم ذئاب يتربّصون فريسة لينقضّوا عليها، فكانت هذه العاطفة تمتدّ حتّى إلى هؤلاء. ففي ظهر أحد أيام الاحتجاز كنت نائماً في غرفة المكتبة فاستيقظت على صوت السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وهو يقول:

«لا حول ولا قوة إلّا باللّه العلي العظيم، وظننت أنّ حدثاً مّا قد وقع، فسألته: هل حدث شيء؟ فقال: كلا، بل كنت أنظر إلى هؤلاء – ويقصد قوات الأمن – من خلال فتحة في الكسر الصغير في زجاجة النافذة فرأيتهم عطاشى ينصبّ العرق من وجوههم في هذا اليوم من أيام الصيف الحار.

فقلت: سيدي أليس هؤلاء هم الذين يطوّقون منزلكم، ويعتقلون المؤمنين الأطهار من محبّيكم وأنصاركم، هؤلاء هم الذين روّعوا أطفالكم وحرموهم من أبسط ما يتمتع به الأطفال ممّن هم في أعمارهم؟

فقال: ولدي، صحيح ما تقول: ولكن يجب أن نعطف حتّى على هؤلاء، إنّ هؤلاء إنّما انحرفوا لأنّهم لم يعيشوا في بيئة إسلاميّة صالحة،

ولم تتوفّر لهم الأجواء المناسبة للتربية الإيمانيّة، وكم من أمثال هـؤلاء شملهم اللّه تعالى بهدايته ورحمته، فصلحوا وأصبحوا من المؤمنين».

ثمّ نزل إلى الطابق الأرضي وأيقظ خادمه الحاج عباس وأمره أن يسقيهم الماء.

وشهد اللّه، لم أتمالك نفسي وأنا أراه يرقّ حتّى لهؤلاء، وتذكّرت جدّه الحسين عليه‌السلام يوم سقى الحرّ بن يزيد الرياحي وعسكره في طريق كربلاء، ويوم جلس يبكي في نهار عاشوراء وهو ينظر إلى الألوف المؤلّفة، فيُسأل ممَّ بكاؤك يا بن رسول اللّه، فيجيبهم بأنّ بكائي لهؤلاء الذين سيدخلون النار بسببي.

فما أشبه اليوم بالبارحة، وما أشبهك بأجدادك الطاهرين يا أبا جعفر، فلقد أحييت بمواقفك مواقف أجدادك الطاهرين وجعلتنا نعيشها حيّة ماثلة في شخصك، فسلام عليك حيّاً وميتاً.

ومن العجيب أنّ هذه المشاعر الحيّة، والعواطف الصادقة أثّرت حتّى على هؤلاء الذين كانوا يطوقّون منزل السيد الشهيد من قوات الأمن. وأتذكّر أنّ أحدهم وكان (ضابط أمن) وكان يرأس هذه القوات بعث رسالة شفهيّة إلى السيد الشهيد قال فيها: «سيدي لا تتنازل لهؤلاء الجبناء ـ يقصد حكّام البعث ـ إنّهم يرتجفون خوفاً منك، إنّ حذاءك أشرف منهم جميعاً...».

وقد قام هذا الضابط بخدمات كبيرة خلال فترة الحجز أذكر منها القضية التالية:

في فترة حجز السيد الشهيد قسّمت السلطة البعثيّة المجرمة القوات الخاصّة بمراقبة منزل السيد الشهيد إلى مجموعات ثلاثة تتناوب في مراقبتها للمنزل، وكانت كلّ مجموعة مكلّفة بالمراقبة مدّة ثماني ساعات، وكان يرأس كلّ مجموعة ضابط من قوات الأمن يتحمّل مسؤولية الإشراف المباشر على عملية الاحتجاز، وكان الضابط المتعاطف مع السيد الشهيد يباشر عمله في فترة ما بعد الظهر وحتّى المساء تقريباً.

ولمّا سمحت السلطة ـ بسبب الضغوط الجماهيريّة عليها ـ لعائلة السيد الشهيد رحمه‌الله بالخروج من البيت لقضاء بعض حوائجهم الضروريّة كان أحد أفراد الأمن

يلاحق من يخرج من البيت من اللحظات الأُولى وحتى العودة ، وكانت الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) أكثرهم تحرّكاً ، فكانت تخرج في كلّ يوم تقريباً وفي ساعة محدّدة بتكليف من السيد الشهيد ، وكانت هذه المراقبة تشكّل حرجاً كبيراً لها ، ولكن ماكان ذلك يثني الشهيدة بنت الهدى بطلة المهمّات الصعبة ورسولة السيد الشهيد في كلّ ما يعجز عنه الرجال ، فقد أخبرته أمامي بأنّها مستعدة لتنفيذ أي مهمّة ، أو أداء أي دور يأمر به السيد الشهيد ولو كلّفها ذلك حياتها .

ولم يكن له (رضوان اللّه عليه) من خيار إلّا القبول بهذا العرض التضحوي ، فقد كان بحاجة إلى معرفة الكثير من المعلومات والأُمور ، ودراسة الأوضاع وما يجري على الساحة بدقّة تامّة ، والشهيدة هي أفضل من يتحمّل مسؤولية ذلك .

وبدأت (رضوان اللّه عليها) بتنفيذ مسؤوليتها الصعبة ، فقد اتّفقت مع الأُخت الصالحة أُمّ فرقان[1] أن تلتقي بها في كلّ يوم تقريباً في حرم الإمام علي عليه السلام ، فكانت تخرج من البيت عصراً في ساعة معيّنة فيتبعها أحد أفراد الأمن على حسب عادته أداءاً لمهمة المراقبة الموكولة إليه ، فتدخل الحرم الشريف ، ويبقى رجل الأمن ينتظرها عند (الكشوان) الذي أودعت حذاءها عنده وهو يظنّ أنّ الشهيدة داخل الحرم الشريف ، وحينئذٍ تتمكّن الشهيدة مع الأُخت أُمّ فرقان من الخروج من إحدى الأبواب الأُخرى للحرم مستفيدة من حذاء آخر كانت قد وفّرته لها صاحبتها ، وبعد أن تكمل مهمّتها تعود إلى الحرم ، وتخرج من الباب الأوّل الذي يقف عنده رجل الأمن منتظراً خروج الشهيدة ، وهو يعتقد أنّها لم تخرج من الحرم خلال تلك المدّة ، واستمر الوضع على هذا الشكل لفترة لا بأس بها .

كان ذلك الضابط قد رصد الساعة التي تخرج فيها الشهيدة في كلّ يوم ، فكان قبل موعد خروجها يستدعي قوات الأمن المحيطة بمنزل السيد الشهيد إلى زقاق قريب

---

(١) الأُخت أُمّ فرقان من المؤمنات الصالحات ، ومن خواصّ الشهيدة بنت الهدى ، وهي زوجة الأخ العلامة الشيخ عباس الحكيم ، لها دور مهمّ أيام الاحتجاز وقبله ، جزاها اللّه خير الجزاء .

منه بحجّة توجيههم أو إبلاغهم ببعض المعلومات والأوامر بحيث يخلو الزقاق منهم ، وحينئذٍ تتمكّن الشهيدة من الخروج والذهاب حيث تشاء من دون مراقبة أو مضايقة ، ثمّ يكرّر نفس العملية تقريباً قبل عودتها ، وهكذا كان يفعل في أغلب الأحيان في خطوة تعاطف مع السيد الشهيد .

وكان السيد الشهيد مسروراً لذلك ، وكان يقول :

«إنّ الحجز نعمة كبيرة ، لقد جعل هؤلاء وأمثالهم يتعاونون معنا ونحن في هذه الظروف» .

وشاء اللّه عزّ وجلّ أن يُكرم هذا الرجل بالشهادة مع عدد من قوات الأمن الذين كانوا معه ، فقد عثرت السلطة على منشورات ضدّها كان يكتبها بالآلة الطابعة العائدة إلى مديرية أمن النجف ويوزعها في أهمّ مراكز السلطة التي كان من المستحيل أن تصل إليها يد المجاهدين .

ولمّا بلغ السيد الشهيد خبر إعدامهم قال لي :

«أُنظر ، كيف اهتدى هؤلاء ، يجب أن تسع قلوبنا حتّى هؤلاء» .

وممّا يذكر أيضاً أنّ حادثة وقعت خلال فترة الاحتجاز كانت لها أهمية خاصّة ، وهي تعبّر عن نفس الروح في القضية السابقة ، فقد وصلتنا رسالة بواسطة الحاج عباس خادم السيد الشهيد كانت تتضمن بيان عواطف ومشاعر وتألّم على ما يجري على السيد الشهيد من محن ومصائب ، كتبت بعبارات خليطة من الكلمات الفصحى والعامية ، وكان أهمّ ما فيها أنّ الموقّعين فيها عاهدوا السيد الشهيد على اغتيال قوات الأمن المحاصرين لمنزله ، وحدّدوا يوماً وساعة معينين ، وضمّنوا الرسالة مبلغاً بسيطاً من المال هدية للسيد الشهيد واعتذروا من قلّته .

قرأت الرسالة ، ثمّ اطلعت السيد الشهيد عليها ، وأخبرته بأنّ بعض هؤلاء غير معروفين بالتديّن ، ومن المحتمل أن تكون هذه العملية مدبّرة من قبل السلطة لمعرفة

ما إذا كان لنا اتّصال أو تعاون مع جهات أو أشخاص خارج البيت، فقال ﷺ فلننتظر الموعد الذي حدّدوه في رسالتهم فمن خلال ذلك يتبيّن الحال

ترقّبنا الأحداث حتّى حان الوقت المعيّن حيث كنّا ننتظر ما يحدث، فإذا بمجموعة من الشباب الملثّمين يهجمون على قوات الأمن وينهالون عليهم طعناً بالسكاكين بعد أن حاصروهم من طرفي الزقاق، وكان السيد الشهيد ينظر إليهم من خلال فتحة صغيرة في النافذة.

بعد هذه العملية شدّدت السلطة من إجراءاتها الأمنيّة، وزوّدت رجالها بالرشاشات والقنابل، وأجهزة اللاسلكي، ومنعوا الناس لفترة طويلة من المرور خلال الزقاق خوفاً من عملية مشابهة.

علّق (رضوان اللّه عليه) على هذا الحادث فقال:

«لو قدّر للحجز أن يفكّ عنّا، وتعود الأُمور إلى طبيعتها، فسوف أصرف قسماً كبيراً من الحقوق الشرعيّة على تربية هؤلاء، إنّهم يملكون الشجاعة التي نحتاجها في مسيرتنا الجهاديّة، هؤلاء أفضل عند اللّه من الذين تخلّوا عنّا، أو الذين اتّهمونا ببعض التهم، ونحن نعاني ما نعاني في الحجز».

ولا أُريد أن أتعرّض لهذا الجانب المؤلم ولمواقف البعض خلال تلك الفترة، والمعاناة الرهيبة التي كان يعانيها (رضوان اللّه عليه) من هؤلاء الذين كانوا مع سلطة البعث في مواقفهم وتوجّهاتهم، وإنّما أذكر فقط نموذجاً واحداً ليتصوّر القارئ الكريم من خلاله حجم المعاناة وعظيم المحنة، وبلاغة المظلوميّة التي كانت تحوط بالسيد الشهيد.

في تلك الفترة العصيبة والسيد الشهيد يعيش تلك المشاكل الكبيرة، ويتحمّلها بروح الصابرين المؤمنين. يبعث أحدهم إليه برسالة مضمونها كما يلي:

«إنّنا نعلم أنّ الحجز مسرحية دبّرها لك البعثيون، وأنت تمثّل دور

البطل فيها، والغرض منها إعطاؤك حجماً كبيراً في أوساط الأمّة، إنّنا نعلم إنّك عميل لأمريكا، ولن تنفعك هذه المسرحية»!؟

لقد رأيت السيد الشهيد قابضاً على لحيته الكريمة وقد سالت دمعة ساخنة من عينه وهو يقول:

«لقد شابت هذه من أجل الإسلام، أفؤتّهم بالعمالة لأمريكا وأنا في هذا الموقع ؟!!».

ومن المواقف الرائعة التي لا زال لها وقع في نفسي قصّة ذلك الشاب الذي فُجع في لحظة واحدة بجميع أهله بحادث سيارة.

كان هذا الشاب في غاية التأثر، يكاد قلبه يتقطّع من هول المصيبة التي حلّت به، يبكي بلا انقطاع بزفرات تُبكي الصخر الأصم، ولا يستطيع أحد وهو يرى هذه الحالة إلّا أن يواسيه بدمعة حارة، سألني صديقه عن إمكانيّة اللقاء بالسيد الشهيد في هذه الساعة من الليل، فوجدت أنّ من المناسب أن يُواسى هذا الشاب المصاب، وكنت أظنّ أنّ أحداً لا يستطيع أن يخفّف من هول الصدمة التي يعاني منها، وكنت أحسب أنّه سوف يخرج بنفس الحالة التي جاء بها.

جاء السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) فأجلس الشاب المفجوع إلى جانبه، وبدأ بعاطفته الحارّة، وبكلماته الرقيقة يخفّف عليه من معاناته ويهوّن عليه من مصيبته، ولمّا أن تمكّن من قلبه بدأ يشرح له حقيقة الموت، وأنّه بداية الطريق إلى حياة أسعد وأجمل من حياتنا هذه، وقرأ له بعض الآيات والروايات، ثمّ قال له: إذا كنت قد فقدت أباك فأنا أبوك، وإن كنت فقدت إخوتك فهذا ولدي جعفر أخوك -كان جعفر واقفاً عند الباب - بل جميع هؤلاء إخوتك.

كان هذا الشاب يُصغي للسيد الشهيد وقد أخذت هذه الكلمات الموشّحة بأرقّ العواطف والمشاعر مأخذاً من قلبه، وبدأت ابتسامة ترتسم على وجهه، فأحسّ بالراحة والاطمئنان.

ثمّ أمر (رضوان اللّه عليه) بإحضار العشاء، وأظنّ أنّه اشترك معنا، وبعد ذلك خرج الشاب وقد اطمأنّت روحه وسكنت نفسه، وكأنّه لم ينكب بمصيبة كبيرة.

وفي ختام هذا الموضوع الذي لم أقصد به إلّا ذكر بعض الإثارات عن هذا الجانب من شخصية السيد الشهيد أودّ أنّ أُسجّل النص التالي الذي كتبه ﷺ وهو يتعلّق بموضوعنا هذا باعتباره وثيقة هامّة للدارسين والباحثين.

لمّا توفي المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي بحادث سيارة في إيران تأثّر ﷺ تأثّراً بالغاً، وكان في تلك الفترة مشغولاً بتأليف كتابه «دروس في علم الأُصول» فأهدى ثواب كتابه إليه، وحسب علمي لم أرَ أُستاذاً وهو بهذه المكانة والمنزلة قد فعل مثل ذلك، فكتب في مقدّمة الحلقة الأُولى ما يلي:

«يا إلهي وربّي، يا عالماً بضري وفاقتي، يا موضع أملي ومنتهى رغبتي، أي ربّ وتقرباً إليك بذلت هذا الجهد المتواضع في كتابة الحلقات الثلاث، لتكون عوناً للسائرين في طريق دراسة شريعتك، والمتفقّهين في دينك، فإن وسعته برحمتك وقبولك ـ وأنت الذي وسعت رحمتك كلّ شيء ـ فإنّي أتوسّل إليك يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، أن توصل ثواب ذلك هدية منّي إلى ولدي البار وابني العزيز السيد عبد الغني الأردبيلي الذي فُجعت به وأنا على وشك الانتهاء من كتابة هذه الحلقات، فلقد كان له (قدّس اللّه روحه الطاهرة) الدور البليغ في حثّي على كتابتها وإخراجها في أسرع وقت، وكانت نفسه الكبيرة وشبابه الطاهر الذي لم يعرف مللاً ولا كللاً في خدمة اللّه والحقّ، الطاقة التي أمدتني ـ وأنا في شبه شيخوخة متهدّمة الجوانب ـ بالعزيمة على أن أُنجز جلّ هذه الحلقات في شهرين من الزمن، وكان يحثّني باستمرار على الإسراع، لكي يدشّن تدريسها في حوزته الفتية التي أنشأها بنفسه وغذّاها من روحه من مواطن آبائه الكرام، وخطط لكي تكون حوزة

نموذجيّة في دراستها وكلّ جوانبها الخُلقية والروحيّة.

ولكنّك يا ربّ دعوته فجأة إليك فاستجاب طائعاً، ووالله ما عرفته خلال العشرين عاماً التي تتلمذ عليّ وترعرع إلى جانبي إلّا سريعاً إلى إجابتك، نشطاً في طاعتك، لا يتردّد ولا يلين، ولا يتلكّأ، ووالله ما رأيته طيلة هذه المدّة غضب لنفسه، وما أكثر ما رأيته يغضب لك، وينسى ذاته من أجلك..

أي ربّ، إنّي إذا كنت قد عجزت عن مكافأة هذا الولد البار، الذي كان بالنسبة لي وبالنسبة إلى أبيه معاً مثالاً للولد المخلص الذي لا يتردّد في الطاعة والتضحية والفداء، وإذا كنت قد فجعتنا به وأنا في قمة الاعتزاز به وبما تجسّدت فيه من عناصر النبل والشهامة والوفاء والإيثار، وما تكاملت فيه من خصال التقوى والفضل والإيمان.

وإذا كان القدر الذي لا رادّ له قد أطفأ أملي في أن أمتدّ بعد وفاتي، وأعيش في قلوب بارّة كقلبه، وفي حياة نابضة بالخير كحياته فإنّي أتوسّل إليك يا ربّي بعد حمدك في كلّ يسر وعسر أن تتلقّاه بعظيم لطفك، وتحشره مع الصدّيقين من عبادك الصالحين، وحَسُن أُولئك رفيقاً، وأن لا تحرمه من قربي ولا تحرمني من رؤيته بعد وفاته ووفاتي بعد أن حُرمت من ذلك في حياته، وأرجو أن لا يكون انتظاري طويلاً للاجتماع به في مستقرّ رحمتك، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين».

هذا ما كتبه عن أحد طلابه الأبرار.

وكتب أيضاً بنفس الروح الشفّافة والعاطفة الصادقة رسالة إلى خادمه الوفي المخلص محمّد علي المحقّق الذي عُذّب بأيدي الظالمين في بيت السيد الشهيد أثناء الاعتقال الأوّل الذي تعرّض له (رضوان اللّه عليه)، فقد كتب له رسالة

عاطفيّة تعبّر عن روح أبويّة، تجدها بخطّه الشريف في صفحات الكتاب الأخيرة[1]:

الشهيد الزاهد

قد يطول الحديث لو أردت أن أكتب عن هذا الجانب من حياة السيد الشهيد ﵀ فلقد كان المثل الرائع في الزهد بمفهومه الإسلامي الصحيح.

أمّا السبب الذي دفعني للكتابة عن هذا الجانب من حياته ﵀ فهو ما لمسته فيه من تجسيد رائع للفكر الأخلاقي الإسلامي الرفيع، ونهج حقيقي لطريق أهل البيت ﵈، فكان الزاهد الحقيقي الذي يعتبر قدوة صالحة لمن أراد أن ينهج هذا الخط ويمثّله.

ولم يكن الشهيد الصدر يتزهّد في حطام الدنيا؛ لأنه لا يملك شيئاً منها، أو لأنّه فَقدَ أسباب الرفاهية في حياته فصار الزهد خياره القهري، ولو كان كذلك لأغفلت الكتابة عن هذا الجانب من حياته، بل زهد في الدنيا وهي مقبلة عليه، وزهد في الرفاه وهو في قبضة يمينه، وكأنّه يقول (يا دنيا غرّي غيري).

وأيضاً لو كان زهده في الدنيا، وفي رفاه العيش فيها بسبب تحرّجه من صرف الحقوق الشرعية على نفسه لكان موقفي أيضاً غير هذا، باعتبار أنّ ذلك من أولى واجبات الفقيه النموذجي، ولكن أن يكون بإمكان الشهيد الصدر ﵁ أن يحيى أفضل حياة، ويعيش أسعد عيش بماله الخاصّ الحلال الطيّب، ومع ذلك يزهد في مأكله وملبسه، وشراء دار أو سيّارة، أو غير ذلك، فهو الزهد الحقيقي الذي يجعل الإنسان يُكبر هذه الشخصية العملاقة.

والزهد بذاته حسنة يتقرّب بها الإنسان إلى باريه عزّ وجلّ ويكسب بها رضاه، والشهيد الصدر أحد الأعلام في سماء التقوى يتوهّج نوراً مع الزاهدين من علمائنا الأبرار، إلّا أنّي اعتقد أنّه استهدف بزهده أيضاً ما هو أكبر من مسألة تربية النفس وتطهيرها، إنّه أراد أن يجسّد النموذج المثالي للمرجع الربّاني، وينشئ مرجعيّة ترابيّة

---

(١) راجع الوثيقة رقم (٧)، ص ٣٣٨.

زاهدة تجسّد مفهوم القيادة العلويّة المضحيّة، تكتفي بطمرين وقرصين، كما كان علي عليه السلام يفعل، فكانت سيرته وسلوكه أبلغ داعٍ للإسلام، ومبلّغ له

لقد أدرك الشهيد الصدر قدس سره أنّ المرجعيّة بما هي كيان قيادي للمسلمين مستهدفة من قِبل السلطة الحاكمة، في ظرف كانت تواجه فيه انتقادات خطيرة من بعض قواعدها الشعبية يتعلّق ببعض القضايا الماديّة، فكان لابدّ من حمايتها؛ لأنّ في ذلك حماية الإسلام، فكان الهدف إذن هو الدفاع عن الإسلام.

فهو زُهد جمع بين حسنتين، التقرّب إلى اللّه تعالى بذات الفعل، والدفاع عن دينه بتجسيده سلوكيّاً.

وهنا أُسجّل بعض النماذج ممّا بقي في ذاكرتي لعلّ القارئ العزيز يتمكّن أن يحيط من خلالها بعظمة هذا الفقيد العزيز.

١ ـ كان قدس سره زاهداً في ملبسه بالمقدار الذي تسمح به الظروف الاجتماعيّة، في الوقت الذي كان بإمكانه لبس أرقى الأقمشة. ويعلم اللّه أنّي ما رأيته لبس عباءة يزيد سعرها عن خمسة دنانير في الوقت الذي كانت تصله أرقى أنواع الملابس والأقمشة ممّن يحبّونه ويودّونه.

وكان (رضوان اللّه عليه) قد أمرني بالاحتفاظ بجميع الهدايا من الأقمشة وغيرها لتوزيعها على الطلبة فيما بعد، وكان إذا حضر في مجلسه العامّ المنعقد قبل ظهر كلّ يوم لاحظ أوضاع الطلبة الحاضرين، فإن رأى أنّ ملابس أحدهم غير لائقة ومناسبة لشأن طالب العلم يأمرني بإيصال قطعة قماش له مع أُجرة خياطتها.

بل رأيت العجب في يوم ممن الأيام، وذلك بعد جريمة إعدام الشهداء الخمسة عليهم السلام حيث أُصيب بخدر شديد في رجله أعجزه عن الحركة عدّة أيام، فلمّا أراد الاستحمام طلب منّي مساعدته، فلمّا دخل الحمام رأيت ما نسمّيه بـ(الفانيلة) وفيها أكثر من مزق، فقلت له: سيدي هذه (الفانيلة) ممزّقة، فهل أشتري لكم غيرها؟ فقال: كلا، هذه لا يراها أحد. ولقد رأيته مراراً يصلح ملابسه بنفسه.

٢ـوفي يوم من الأيام دخل عليه خادمه الوفي (محمّد علي المحقّق) في وقت لم يتوقّع دخول أحد عليه، وكان ﷺ جالساً في مكتبته فوجده يأكل خبزاً يابساً وبيده قدحاً من الماء، ولم يكن يتوقّع صعود الأخ محقّق في تلك الساعة، فخجل ﷺ خجلاً شديداً، وأدار وجهه إلى الحائط وهو لا يدري ما يفعل.

وحدّثني الأخ محقّق (حفظه الله) أنّه سمع السيد الشهيد يخاطب خادمة كانت عندهم تعرف بأُمّ صالح بقوله: «إذا بعثتي بوجبة الغداء لآغاي محقّق، فابعثي معه الخبز الحار، واتركي لنا الخبز البارد».

٣ـرغم تحسّن الوضع المالي للسيد الشهيد في السنوات الأخيرة فقد بقي حال منزله من ناحية التأثيث وما فيه من لوازم منزليّة على حاله، وكنت في فترة الاحتجاز أُحدّث نفسي فأقول لو أنّ السلطة البعثيّة أرادت مصادرة محتويات هذا المنزل فهل ستجد شيئاً ماديّاً يستحقّ المصادرة؟ ومع ذلك فبعد استشهاده سلبت السلطة جميع ما فيه من أشياء بسيطة لتؤكّد خبثها ودناءتها.

وقد سمعت السيد الشهيد يقول:

«يجب عليَّ وأنا في هذا الموقع ـ يعني المرجعيّة ـ أن أكون ـفي مستوى العيش ـبمستوى الطلبة الاعتيادي».

وكان ﷺ كذلك، فإنّ ما في بيته بمستوى ذلك إن لم يكن أدنى.

فمحتويات منزله عبارة عن غرفة الاستقبال وفيها سجّادة لا أعلم هل أُهديت له أم قد اشتراها؛ لأنّها قديمة، وعلى يسار غرفة الاستقبال غرفة أُخرى مفروشة هي مقبرة آل المامقاني ﷺ ليس للسيد الشهيد فيها قليل أو كثير.

وإذا صعدت إلى المكتبة وجدتها مفروشة بقطعتين ممّا نسمّيه بـ(البسطة) وهي جزء من صداق والدة السيد الشهيد.

وفي الداخل ـمسكن العائلة ـتوجد غرفة هي للنوم وللضيوف ولجلسة العائلة الاعتياديّة لا تحتوي إلّا على أبسط المفروشات.

وتوجد غرفة فوقها خاصّة بالسيد الشهيد ﷺ مفروشة بما نسمّيه بـ(الكنبار) مع منادر للنوم، وهذه الغرفة أقرب إلى المخزن من غرفة الاستراحة والنوم.

وأتذكر أنّ السيد الشهيد ﷺ فوجيء يوماً بعددٍ من الضيوف، واقتضت الظروف بقاءهم لما بعد الظهر، فكان لابدّ من تقديم الغداء لهم، ورغم أنّ عددهم كان لا يزيد على خمسة عشرة شخصاً، فلم يكن ما في البيت من لوازم يكفي لهذا العدد، وأحسّ بذلك أحد أصدقاء السيد الشهيد، وكان صدفة في ذلك الوقت في البيت فذهب إلى السوق واشترى ماكان يلزم من صحون وملاعق.

وهكذا استمرّ وضعه إلى آخر يوم من حياته، وسوف تجد تفاصيل عن هذا الموضوع في كتاب: «مذكّراتي عن الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه)».

٤ـ وكان حاله في مأكله كذلك، إذ يحاول الاكتفاء مع عائلته بأبسط ما يمكن، ويحرص على الاحتفاظ بمستوىً مقبول من العيش، وكانت زوجته الطاهرة تكتب في كلّ يوم ورقة صغيرة باحتياجات البيت وتسلّمها (لآغاي محقّق) ليوفّرها لهم، وهي الاحتياجات البسيطة المتعارفة. فأمرني (رضوان اللّه عليه) بالإشراف على تلك الورقة خشية أن يكون فيها من الطلبات أكثر من المألوف، بل كان في بعض الأحيان يشرف عليها بنفسه، وسمعته يقول: لا أرضى بشراء الفواكه مهماكان المبرّر، حتّى لو كان ذلك من أجل الضيوف، ويجب أن ننتظر إلى الوقت الذي يتمكّن جميع الناس من شرائها.

وأتذكر أنّي كنت في السوق وكان معي ولده السيد جعفر وكان طفلاً، فرأى الموز بلونه الأصفر الجميل يباع في السوق فأحبَّ أن يأكل منه فاشتريت له كيلوغرام واحد من مالي الخاصّ، فأكل منه وأعطى لأخته الصغيرة أيضاً وانتهى كلّ شيء، وحسبت أنّ الأمر قد انتهى، ولكن بعد ساعة من ذلك جاء السيد الشهيد يلومني على ما فعلت عندما لاحظ قشور الموز في سطل النفايات فعرف الأمر، ثمّ دعا ولده ينصحه بكلمات جميلة ورقيقة أحفظ منها هذه العبارة:

«ولدي إنّ موز الجنّة أطيب وألذّ من هذا الموز».

ولا أُغالي إذا قلت: إنّ الزهد من سمات هذه العائلة المظلومة، وخلق من أخلاقها، فقد تعوّدوا على العيش والاكتفاء بما هو موجود، بل كانوا لا يحبّون التمايز والتفاخر على غيرهم.

وأذكر أنّي حينما كنت معه في الحجاز لأداء العمرة وكانت العائلة برفقته أيضاً لم نذق اللحم خلال كلّ تلك المدّة، وكان معظم طعامنا الخبز والبيض واللبن، ولمّا مازحته ﷺ عن هذا الأمر قال لي: «**جئنا لنعتمر لا لنأكل**».

٥ ـ استشهد (رضوان اللّه عليه) وهو لا يملك وسيلة للنقل (السيارة) وكان أحد الأخيار قد أوصى بسيارته (التويوتا) للسيد الشهيد ولمّا استلمها أمر ببيعها ليضيف قيمتها إلى أموال الرواتب والمساعدات، في وقت كان بأمسّ الحاجة إلى وسيلة للتنقّل، فمن ناحية كان يواجه ﷺ حرجاً من أخلاق بعض السواق وتصرّفاتهم، ومن ناحية أُخرى كانت الأوضاع الأمنيّة تتطلّب ذلك، ورغم إلحاحنا عليه بعدم بيعها، إلّا أنّه أصرّ على ذلك، وظلّ (رضوان اللّه عليه) إلى آخر يوم من حياته مكتفياً في تنقّله بسيارات الأُجرة أو سيارات الأصدقاء.

٦ ـ استشهد (رضوان اللّه عليه) وهو لا يملك داراً ولا عقاراً، ولم أره يفكّر إلّا بشراء مقبرة له ولطلابه وسوف أتحدّث عنها.

لقد شهدت عدّة عروض قدّمت له لشراء دار له من أموال خاصّة وليست حقوقاً شرعيّة، ومن ذلك عرض تقدّم به تاجر من أهل البصرة، وكان محبّاً للسيد الشهيد فقد علم بأنّ داراً تقع إلى جانب منزل السيد الشهيد معروضة للبيع فحاول شراءها وأخبره بأنّ مال الشراء مال شخصي وليس حقوقاً شرعيّة، فرفض السيد الشهيد قبول هذا العرض وقال له:

«إذا اشتريت هذه الدار فإنّي سوف أُوقفها لسكن الطلاب ولن أسكنها أبداً».

فقال المتبرّع: أُريدها داراً خاصّة لكم.

فقال السيد الشهيد:

«أنا لن أمتلك داراً حتّى يتمكّن كلّ الطلبة من شراء دور لهم، وحينئذٍ سأكون آخر من يشتري».

وهنالك رسالة بخط السيد الشهيد ﷺ تتعلّق بهذا الجانب تغني عن الكثير ممّا يجب أن يُكتب عن هذا الجانب من حياته[1].

وكان (رضوان اللّه عليه) يربّي أطفاله على هذا السلوك، وأتذكر حينما كنت أُساعده في فرز المال وتقسيمه في آخر كلّ شهر، كان بعض أطفاله ـ وهم صغار ـ يحضرون معنا تلك الجلسات فيرون أكوام المال فيتعجبون، فكان يترك العمل ويتحدّث معهم فيقول:

«أبنائي، هذا المال ليس لي، هذه أموال صاحب الزمان (عجّل اللّه فرجه)، هذه أموال المسلمين أمانة بيدي .. أولادي، المال ليس مهمّاً، وهذه الدنيا لا قيمة لها، إنّنا نريد الآخرة، والآخرة خير لنا وأبقى».

ويتحدّث معهم بأمثال هذه العبائر والمفاهيم.

٧ ـ في فترة الحجز جمع (رضوان اللّه عليه) كلّ ما بحوزته من أموال، سواء كانت من الحقوق الشرعيّة أو من أمواله الخاصّة، وبعثها إلى سماحة آية اللّه السيد محمود الهاشمي (حفظه اللّه) ولم يبقِ إلّا القليل.

وأتذكر أنّي حينها قلت له (رضوان اللّه عليه): «نحن لا ندري إلى متى سيستمر الحجز، فماذا سنفعل لو نفد هذا المال».

فقال:

---

(١) راجع وثيقة رقم (٨)، ص ٣٤٠.

«أحبّ أن ألقى اللّه تعالى وأنا كذلك، لا شيء في ذمّتي، أمّا رزقنا فإنّ اللّه يكفينا وهو وليّنا. أنا لا أُريد أن تقع هذه الأموال بيد السلطة بعد استشهادي، وإن شاء اللّه لنا السلامة فسوف أصرفها في مواردها الشرعيّة».

وكان الإمام الراحل سماحة آية اللّه العظمى السيد الخميني ﷺ قد بعث بمبلغ مائة ألف دينار للسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وهو في الحجز فأمر أيضاً بتسليمها لسماحة السيد الهاشمي، ورفض أن تبقى عنده تحرّجاً من المسؤولية الشرعيّة.

وعلم اللّه لقد كان السيد الشهيد بأمسّ الحاجة إلى المال وهو محتجز، منقطع عن الدنيا، وواللّه لا أدري كيف استطاعت عائلته توفير أُجرة السيارة التي نقلتهم إلى بغداد بعد استشهاده (رضوان اللّه عليه)، حيث أعلم وخاصّة في الأيام الآخيرة من الحجز أن لا قليل ولا كثير بقي عندهم.

٨ـ في الشهر الأوّل من الحجز منعت السلطة الظالمة دخول المواد الغذائيّة إلى منزل السيد الشهيد، وقطعت الماء والكهرباء والهاتف في محاولة لقتل جميع من في البيت، وكان وضعاً محرجاً، لقد كنت في خدمة السيد الشهيد جالساً في مكتبته وكانت آثار الجوع بادية عليه، والشحوب يغطي وجهه، وكان يتحدّث معي فمرّت من أمامنا طفلة من أطفاله فرقّ لها قلبه، وسالت دمعة من عينه، وقال:

«سيقتلون هؤلاء جوعاً بسببي، ليتهم يحجزوني وحدي ويطلقون هؤلاء».

لقد نفد كلّ ماكان موجوداً من طعام، وبدأنا نعاني معاناة لا يعلمها إلّا اللّه، ولم تبقَ إلّا قطع قليلة من الخبز اليابس والتالف، فكانت العائلة تهيّئه لنا كطعام شعبي من الأطعمة المعروفة في العراق، فكان (رضوان اللّه عليه) يأكل منه وهو يقول:

«إنّ ألذّ طعام ذقته في حياتي هو هذا؛ لأنّه في سبيل اللّه عزّ وجلّ».

٩ ـ في الوقت الذي كانت فيه العروض تتوالى من هذا وذاك لشراء دار للشهيد السعيد، كان ﷺ يرفض ذلك، ويسعى لشراء مقبرة له ولطلابه، ففي السنوات الأخيرة من عمره الشريف بدأ بالبحث عن قطعة أرض قريبة من الصحن الشريف خالية من كلّ شبهة ليجعلها مقبرة، وقد كلّف الأخ حجّة الإسلام السيد محمود الخطيب بالبحث عن المكان المناسب لهذا الغرض.

وكان أمله أن يُدفن مع طلابه في مكان واحد، وقد قال مراراً: إنّه سيجعلها خاصّة به وللذكور من ذرّيته ولطلابه. وكان (رضوان اللّه عليه) قد جمع مقداراً من المال لهذا الغرض، ولولا أحداث رجب، وما تبعها من احتجازه لنفّذ هذا الأمر.

هذه نماذج مقتضبة أردت بذكرها الإشارة إلى ما كانت نفسه الكبيرة تتمتع به من زهد وإعراض حتّى عن أبسط مظاهر الحياة المادّيّة، وهذه الحالة السامية أراد بها أيضاً الحفاظ على قدّسية المرجعيّة، وخدمة الإسلام.

السيد الشهيد في عبادته

من الجوانب الرائعة في حياة السيد الشهيد ﷺ الجانب العبادي، ولا يستغرب أحد إذا قلت: إنّه ﷺ كان يهتمّ في هذا الجانب بالكيف دون الكمّ، فكان يقتصر على الواجبات والمهم من المستحبّات.

كانت السمة التي تميّز تلك العبادات هي الانقطاع الكامل للّه سبحانه وتعالى، والإخلاص والخشوع التامّين، قال اللّه (تعالى) ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنونَ الَّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**﴾[1]. كان ﷺ لا يصلّي، ولا يدعو، ولا يمارس أمثال هذه العبادات إلّا إذا حصل له توجّه وانقطاع كامل، وكان متكتّماً على أمره هذا، ومتخفيّاً في عبادته، ولا يعرف أقرب الناس منه شيئاً عن هذا الأمر.

الأمر الذي يثير الدهشة أن يتمكّن الإنسان، وخاصّه من هو في مثل موقع السيد

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ١ ـ ٢.

الشهيد ﵀ والذي يعيش الكثير من المشاكل والهموم الكبرىٰ أن يتجرّد منها في ثلاثة أوقات على الأقلّ، بحيث تحصل له حالة من الانقطاع والخشوع التامّين في كلّ يوم وعلى مدى العمر. إنّ هذا الأمر من الأُمور الشاقّة جداً، والتي لا يتمكّن إلّا النوادر من تحقيقها على هذا المستوى الرفيع.

ولم أكن مطّلعاً على وضعه هذا إلى أن وقعت بعض الأُمور التي أثارت انتباهي، وحفّزتني على الاستفسار منه، وعندها كشف لي عن أمره هذا.

كانت المرّة الأُولى التي أحسست فيها بهذه الظاهرة حينما طلب منه عدد كبير من العلماء والمؤمنين الصلاة بهم إماماً في الحسينيّة الشوشتريّة، وكان بعض أهل الرأي، ومنهم المرحوم آية اللّٰه الشيخ مرتضى آل ياسين ﵀ يرون ضرورة هذا العمل؛ لأنّه يشكّل حصانة للسيد الشهيد من بطش السلطة واعتدائها، ويجعل وجوده الديني والاجتماعي أمراً واقعياً يصعب تحدّيه.

وبعد أن عرضت الفكرة عليه رفض قبولها، ولم أكن أعرف السبب الحقيقي للرفض، وكنت أظنّ أنّ هذا العمل سيكون من الأعمال الإضافيّة التي تُحَمّل عليه لتضاف إلى جدول أعماله اليومي الكبير، خاصّة أنّ صلاة الجماعة تتطلّب التزاماً يوميّاً مستمراً.

وفيما بعد أصرّ عليه خاله المرحوم الشيخ مرتضى آل ياسين، وألحّ عليه كثيراً، فاضطر إلى الاستجابة، فصلّى بالناس إماماً صلاتي الظهر والعصر في الحسينيّة الشوشتريّة.

وحدث أن جاء قبل تلك الفترة ضيف ذو شأن كبير من لبنان، وكان وصوله بعد أذان الظهر بقليل، وكان السيد الشهيد ﵀ جالساً على مصلّاه، فأخبرته بوصول ـ فلان ـ فأمرني باصطحابه إلى الغرفة، وقام ﵀ فجلس فى الزاوية التي أعتاد الجلوس فيها من الغرفة متهيّئاً لاستقبال ضيفه.

وبعد دقائق صعدت إلى الغرفة مع الضيف وإذا بي أرى السيد الشهيد قد وقف

يصلّي وهو في حالة من الانقطاع والخشوع العجيبين وكأنّه لم يكن على موعدٍ مع أحد.

وكنت فيما سبق من الأيام أتربّص الفرص لأُصلّي خلفه جماعة في البيت، فكان في أحيان كثيرة يجلس في مصلاه فكنت أجلس خلفه، وقد دخل وقت الصلاة، بل قد يمضي على دخول وقتها أكثر من نصف ساعة والسيد الشهيد جالس مطرق برأسه يفكّر، ثمّ فجأة ينهض فيؤدّي الصلاة.

هذه الأُمور وغيرها دفعتني في يوم من الأيام للاستفسار منه عن سبب هذه الظاهرة، فقال (رضوان اللّه عليه):

«إنّي آليت على نفسي منذ الصغر أن لا أُصلّي إلّا بحضور قلب وانقطاع، فأضطر في بعض الأحيان إلى الانتظار حتّى أتمكن من طرد الأفكار التي في ذهني، حتّى تحصل لي حالة الصفاء والانقطاع، وعندها أقوم للصلاة».

ولم تكن هذه الحالة خاصّة بالصلاة فقط، بل كانت تمتدّ إلى كلّ أشكال وصور العبادة الأُخرى، ولقد سمعته خلال فترة الحجز ـ ولم أسمعه قبل ذلك ـ يقرأ القرآن في أيام وليالي شهر رمضان بصوت حزين وشجي، ودموع جاريّة، يخشع القلب لسماعه، وتسمو النفس لألحانه، وهو في حالة عجيبة من الانقطاع والذوبان مع معانى القرآن، إنّه مشهد عجيب يعجز القلم عن وصفه، وما فيه من معنويات كبيرة.

ومن المشاهد الخالدة في ذاكرتي والتي تتعلّق بهذا الموضوع ما حدث في سفرنا لأداء العمرة قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بقليل، فقد كان (رضوان اللّه عليه) يذهب إلى المسجد الحرام يصلّي الظهر والعصر، ثمّ يعود إلى الفندق لتناول وجبة الغداء، ثمّ يعود مرّة أُخرى في حدود الساعة الثانية ظهراً إلى المسجد حيث يقلّ الزحام بسبب شدّة الحرّ. وكانت أرض المسجد الحرام مغطّاة بالمرمر الطبيعي ـ وهو غير المرمر الموجود حالياً ـ فكان لا يتمكن أحد من شدّة الحرّ من الطواف في تلك الفترة،

فكان ﷺ يذهب في ذلك الوقت إلى المسجد حافي القدمين ، وكنت أطوف معه ، فواللّه ما تمكّنت من إكمال شوط واحد ، حتّى قطعت طوافي وذهبت مسرعاً إلى الظل ، فقد شعرت أنّ باطن قدمي قد التهب من شدّة الحرّ ، وما طفت في تلك الساعة إلّا منتعلاً .

فكنت أعجب من حال السيد الشهيد ﷺ وهو يطوف ويصلّي ، وكأنّه في الجوّ الطبيعي الملائم ، فسألته يوماً بعد عودتنا من المسجد الحرام عن هذه القدرة العجيبة من التحمّل ، فقال :

«ما دمت في المسجد الحرام لا أشعر بالحرارة ، نعم بعد أن أعود إلى الفندق أحسّ بألم في قدمي» .

ولم يكن ذلك إلّا بسبب انقطاعه وتوجّهه إلى اللّه تعالى ، وإلّا فإنّه (رضوان اللّه عليه) كان يتضايق من الحرّ في الظروف الطبيعيّة .

وذهبت معه في المدينة المنوّرة إلى البقيع لزيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام ، فدخل من الباب حافي القدمين بخشوع وخضوع ، فاقترب من قبور أجداده الأطهار وبدأ بزيارتهم وكأنّهم أمامه يراهم ويرونه ، والدموع تنهمر من عينيه دون انقطاع ، وقد حلّق إلى عالم آخر في مشهد فريد من الولاء والحبّ لأهل البيت عليهم السلام[1] .

وكان لهذا الصفاء آثاره ، وكان لهذا الانقطاع دوره في وقوع بعض الكرامات ،

---

(١) في هذه السفرة حشّدت السلطة عدداً كبيراً من قوات الأمن - رجالاً ونساءاً - لمراقبة السيد الشهيد ، بدأوا مسيرتهم معنا من مطار بغداد ، فكانوا معنا في الطائرة ، وفي الفندق ، وفي كلّ مكان . ولم نكن بحاجة إلى جهود كبيرة لكشفهم ، فهم ومن خلال تصرّفاتهم وأسئلتهم كشفوا عن هويّتهم منذ اليوم الأوّل .

وقد اضطربت السلطة في تلك الفترة بسبب توهّمها بأنّ السيد الشهيد ﷺ يحاول الخروج من الحجاز إلى لبنان ، وكان سبب ذلك أنّنا سحبنا جوازات السفر التي كانت مودعة عند إدارة الفندق لغرض تصريف بعض المال في البنك ، فظنّوا أنّ هذه مقدّمة للهروب ، فاتّصلوا ببغداد ، فحضر مساعد مدير الشعبة الخامسة المعروف بـ(فيصل) ، وهو من أهل الفلوجة ، مجرم معروف بالوحشية والعنف ، فكان يشرف بنفسه على مراقبتنا حتّى اللحظة التي وصل فيها السيد الشهيد إلى مطار بغداد .

فمن تلك الكرامات:

١ ـ دخل السيد الشهيد ﷺ إلى حرم الإمام علي ﷺ لزيارته، وكان أمامه أحد خدّام الحرم الشريف، ولم يكن يعلم بوجود السيد الشهيد، ولّما بدأ (رضوان اللّه عليه) بالزيارة فقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين، التفت الخادم مذهولاً إلى السيد الشهيد وقال له: اُدخل يا سيدي فواللّه لقد سمعت الإمام يقول: اُدخل يا ولدي، ولم أكن أعلم بوجودك هنا.

٢ ـ وجاء رجل من أهل القرنة في محافظة البصرة، وكان معروفاً بحبّه وولائه لأهل البيت ﷺ ويشهد الجميع بصدقه، فحدّث السيد الشهيد بهذه الكرامة، فقال:

اُصبت بمرض في بطني، وبعد إجراء الفحوصات في مدينة الطب في بغداد قرّر الأطباء إجراء عملية جراحيّة لي، قال: فاُصبت بالخوف والرعب، فتوسّلت بالإمام موسى بن جعفر ﷺ الذي كنت أرى قبّته الشريفة من نافذة غرفتي في مدينة الطب أن يعينني في محنتي.

وفي الليلة نفسها رأيت في عالم الرؤيا الإمام موسى بن جعفر ﷺ فتوسّلت به إلى اللّه من أجل شفائي فقال لي: إذهب إلى السيد محمّد باقر الصدر، فهو الذي يعالجك.

قال: فجئت إلى مكان آخر فوجدتك فيه، وأخبرتك بقول الإمام ﷺ فكشفت عن بطني وأخرجت حصاة أو غدّة ـ والترديد منّي ـ ثمّ مسحت عليها، ثمّ قلت لي: قد شفيت من علّتك.

استيقظت من النوم سليماً معافى من كلّ علّة، وقد استغرب الأطباء وتعجّبوا ممّا حدث.

وكان يحمل معه بعض الصور (الشعاعيّة) والتحاليل التي اُجريت له قبل أن يرى رؤيته والتي كانت تثبت صحّة كلامه.

٣ ـ وفي عقيدتي أنّ أهمّ تلك الكرامات ماكنت أحسّه منه، ففي الاُمور الصعبة

والحرجة والتي يصعب على العقل أن يستنتج أو يقرّر أرى الشهيد الصدر وفي لحظة واحدة يعطي الموقف الصحيح والمناسب . وقد قال لي :

«إنّ حالة من الوضوح تحصل لي في مثل هذه الموارد» .

وإذاكانت ـ الأمانة ـ لاتسمح لي بتسجيل تلك الذكريات بتفاصيلها الدقيقة ؛ لأنّها تتعلّق بآخرين فلا ضير من ذكر حالة إجماليّة واحدة من مشاهداتي فيما يتعلّق بهذا الموضوع .

كان السيّد الشهيد ﷺ ينهج أُسلوب الشورى فى أُموره الهامّة ، فكان يجمع أهل الرأي والخبرة ممّن يثق بهم ، ثمّ يطرح عليهم ما هو المهمّ من الأُمور ، وكان لا يخالف الأكثريّة حتّى لو كان رأيهم يغاير قناعاته الخاصّة ، وأتذكر أنّه في السنوات الأخيرة من عمره الشريف ـ تقريباً ـ دعا من يثق به إلى اجتماع من هذا القبيل وعرض عليهم فكرة دعم إحدى المرجعيات التي سمّاها لهم بكلّ ما يملك من طاقات .

والحقيقة لم تكن فى تلك الفترة مبرّرات واضحة لهذا الدعم الكبير ، لذا كان موقف الأكثريّة سلبيّاً من هذه الفكرة وكانت قناعة السيد الشهيد إيجابيّة منها فلم يسعه مخالفتهم .. ثمّ سألته في وقت آخر عن هذه القضية وعن سبب ذلك ، فقال :

«إنّي أرى صحّة موقفي كما أراك ، إنّ لديّ وضوحاً كالشمس يدعوني إلى دعم تلك المرجعيّة» .

ومرّت الأيّام ، وشاء اللّه أن يتألّق نجم تلك المرجعيّة في سماء الإسلام ، عندها قال لي : **«هل أيقنت بصحّة رؤيتي ؟»** .

٤ ـ ومن الكرامات التي لا أشكّ فيها ما حصل له قبل الاعتقال الأوّل الذي تعرّض له ، فقد كان (رضوان اللّه عليه) مصاباً بمرض ضغط الدم ، وفي ذلك اليوم الأسود وقبل اعتقاله بساعة تقريباً أخرج علبة أو كيس الأقراص فابتلع عدة أقراص وهو لا يشعر. وكان هذا يشكّل خطورة حقيقية على حياته ، فنقل إلى المستشفى مغشياً عليه ، وبعد نقله إلى المستشفى اقتحم جلاوزة المجرم ناظم گزار ـ مدير الأمن

العامّ في تلك الفترة ـ البيت لاعتقاله ، ثمّ علموا بتدهور حالته الصحيّة ، فذهبوا إلى المستشفى للقبض عليه ، وكادوا أن يفعلوا لولا أنّ الأطباء منعوهم من ذلك بسبب حالته الصحّية الحرجة ، وكان هذا سبب نجاته منهم ، وسوف يأتي تفصيل ذلك في فصل الاعتقالات التي تعرّض لها إن شاء اللّه تعالى[1]

أخلاق السيد الشهيد

سمة اُخرى من سمات هذا العالم الربّاني ، ضرب بها أروع الأمثلة ، وهي دروس عمليّة في الأخلاق جسّد بها قيم أهل البيت وأخلاقهم السامية .

إنّ معظم الذين التقوا به ، أو حضروا مجلسه العام ، من عامّة الناس وخاصّتهم أحسّوا بتلك السمة ،كان يقوم احتراماً لكلّ وافد عليه ، ويحترم كلّ أحد ويستبشر بكلّ زائر ، يحبّ النّاس من قلبه وأعماقه ، ويكفي لكي يدخل هذا الرجل إلى قلبك أن تلتقيه أو تجالسه مرّة واحدة ، فسوف تشعر وقد امتلأ كيانك بحبّه .

وما من شكّ في أنّ أهمّ المقوّمات التي يجب أن تتوفّر في القائد هو هذه الروح الأخلاقيّة العالية ، وهذه الشفافيّة الكبيرة **﴿فَبِما رَحمَةٍ مِن اللّه لِنتَ لَهُم وَلو كُنتَ فَظّاً غَليظَ القَلبِ لانفَضّوا مِن حَولِكَ﴾** ، وكان شهيدنا الصدر كذلك رحيماً بالمؤمنين ، ليّناً لهم ، ينبع حبّه من أعماق قلبه .

لقد عشت مع الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) أمداً طويلاً ، فكنت أعجب من حلمه وصبره وصفحه ،كان يتلقّى ما يُوجّه إليه بصبر تنوء منه الجبال ، ويصفح عمّن أساء إليه بروح محمّديّة .

---

(١) في هذا الاعتقال تعرّض خادمه الوفي (محمّد علي محقّق) إلى التعذيب ، فقد كان في البيت أثناء اقتحامه من قبل رجال الأمن فطلبوا منه أن يدلّهم على السيد الشهيد ﵀ فأبى ذلك فانهالوا عليه بالضرب الشديد ، والتعذيب الوحشي ،فلّما علمت زوجة السيد الشهيد بذلك جاءت وأخبرتهم بأنّ السيد الشهيد في المستشفى ، وبذلك أنقذته من أيديهم .

ولا أريد هنا إلّا تسجيل بعض النماذج ممّا كان من خلقه، وهي تَقصُر عن التعبير الكامل عمّا كانت تحمله روحه من سمو وعلو.

١ ـ طلب أحد (الطلبة) اجتماعاً خاصّاً بالسيد الشهيد ﷺ، وفي هذا اللقاء طلب مساعدة ماليّة ليتمكّن من إجراء عمليّة جراحيّة لزوجته، وكان وضعها حرجاً من هذه الناحية.

كان الوضع المالي للسيد الشهيد في تلك الفترة يعاني ضيقاً وشدّة، ومع ذلك أخرج مائة دينار وسلّمها إيّاه، واعتذر من قلّته. أخذها الرجل حامداً شاكراً، وكان هذا المبلغ في ذلك الحين مبلغاً لا بأس به.

تحدّث هذا الرجل في مجلس من مجالس النجف عن كرم السيد الشهيد وأريحيّته، وذكر قصّته معه، فتحفّز أحد الحاضرين ـ طمعاً في المال لا لحاجته إليه ـ ليكرّر ما يشبه تلك القصّة فجاء يطلب المال لحاجة ذكرها، واعتذر السيد الشهيد بعدم توفّر المال لديه، وأوعده أنّه متى ما توفّر فسوف يحقّق له ما يريد.

ظنّ هذا الرجل أنّ هذا الاعتذار تبرير لحرمانه ومنعه من العطاء، وليس عذراً واقعيّاً فانهال على السيد الشهيد يكيل التهم والشتائم، فقال له: إنّكم تصرفون الحقوق الشرعيّة لشراء الذهب لنسائكم وبناتكم، تبنون القصور، وتشترون السيارات، قبل يومين جاء فلان فأعطيته مائة دينار، وأنا اليوم أطلب منكم فلا تعطيني.

أمّا السيد الشهيد فظلّ صامتاً يستمع إليه وحاول تهدئته بما يمكن، لكن لم تجِد معه تلك المحاولات.

كنت قد قرّرت وأنا أسمع إلى وقاحته أن أُلقّنه درساً فقد تملّكني الغضب والانفعال. وكان السيد الشهيد قد لمح ذلك في وجهي.

فلّما أراد الخروج خرجت معه إلى باب المكتبة، فأمرني (رضوان اللّه عليه) بالجلوس، وظلّ ساكتاً حتّى سمع صوت غلق باب المنزل حيث تأكّد من خروجه، هنا قال لي:

«ماذا كنت ستفعل؟ فأخبرته بما كنت عزمت عليه.

فقال: لا بأس عليك، إنّني أسمع أكثر وأقسى ممّا سمعت، ويجب عليك أن ترتفع بأخلاقك وصبرك إلى مستوى المسؤولية، فإنّي بالرغم ممّا سمعت من هذا الرجل من تهم وشتائم، فإنّي لا أحمل عليه حقداً ولا كرها؛ لأنّه لو اطّلع على أوضاعي لما صدر منه ما صدر، وسوف يأتي اليوم الذي يندم فيه، ويصلح خطأه».

وشاء اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يأتي هذا اليوم، وجاء الرجل يعتذر يقبّل يد السيد الشهيد ورجله، وعندها ذكّرني بما نصحني به وقال: هكذا يجب أن نتعامل مع الناس.

٢ ـ بلغه أنّ أحد أبناء المراجع قال لمدير أمن النجف: «ماذا تنتظرون بالصدر، هل تريدونه خمينيّاً ثانياً في العراق، لماذا لا تعدمونه..».

فقال (رضوان اللّه عليه) لمّا بلغه ذلك:

«غفر اللّه لك يافلان، إن قتلوني اليوم، قتلوكم غداً...»

ولم يزد على ذلك شيئاً.

٣ ـ كان السيد الشهيد ﷺ قد أطلعني مع أحد الإخوة الأعزاء على أمر هامّ يتعلّق بمستقبل العمل الأسلامي في العراق، ومنشأ الأهميّة نابع من الظروف الأمنيّة القاسية، فحدث أن ظهرت بعض خيوط هذا الأمر في مدينة النعمانيّة بين أصدقاء لي هناك، منهم المرحوم الشهيد الحاج نعيم النعماني، وهو أحد الكوادر القياديّة لحزب الدعوة الإسلاميّة.

علم السيد الشهيد بذلك، فكان مفاجأة قوية له، إذ كيف يتسرّب ذلك من دائرة محدودة جداً.

ومن العجيب أنّ كلّ الظروف كانت ضدّي، وكلّ الدلائل كانت تشير إليّ، فقد صادف أن زارني الموحوم الحاج نعيم بعد يوم واحد من اطلاعي على ذلك الأمر، ثمّ إنّ الأمر انتشر في مدينة النعمانيّة بواسطة الحاج نعيم، فكان من المنطقي أن أكون

مورداً للظنّ القوي..

فدعاني (رضوان اللّه عليه) لجلسة خاصّة فقال لي: ولدي، إنّي أثق بك ثقة تامّة؛ ومن الطبيعي أن تشتبه أو تخطأ، ولو حدث هذا فإنّه لن يغيّر من موقعك في نفسي، إنّ الأمر الخاصّ الذي اطلعتك عليه انتشر في النعمانيّة، فهل أخبرت به أحداً؟

أكّدت له بأنّي لم أُخبر أحداً على الإطلاق، ويمكن التأكّد من ذلك ممّن أفشى الخبر هناك.

بعث ﷺ أحد الإخوة إلى مدينة النعمانيّة ليبحث عن رأس الخيط، ويحقّق في الأمر فعرف أنّ الخبر أفشاه الحاج نعيم، ولم يكن يعلم بأهميّته وخطورته.

وأحسّ المرحوم الحاج نعيم بأنّ الشبهة ستدور حولي، فجاء في اليوم التالي إلى النجف، وأخبر السيد الشهيد بأنّ المصدر كان (.....) وهو أخذه من (.....) وأنّ ـكاتب هذه السطور ـ لا علاقة له بذلك.

وأحسّ السيد الشهيد بحالتي النفسيّة، وما أُعاني من انكسار، خاصّة بعد أن علمت بأنّه بعث إلى النعمانيّة من يحقّق في هذا الأمر، إنّ خسارة ثقة السيد الشهيد ليس أمراً هيّناً بالنسبة لي.

كان لقاء الحاج نعيم بالسيد الشهيد قبل الظهر بقليل، وكان من عادتي أن استضيفه إذا جاء إلى النجف، وبعد أن أدّينا الصلاة وكنّا على وشك إحضار الغداء، وإذا بالسيد الشهيد يطرق الباب والابتسامة تعلو وجهه، وروح الأُبوّة وريحها تطفح منه، فقال:

«جئت أتغدّى معكما؛ لأنّي قدّرت أنّ الحاج نعيم سيتغدّى هنا» ثمّ قال لي: **«أنت كولدي جعفر، فلا تضجر منّي»**.

يااللّه ما هذا الخُلق العظيم، والروح السامية وإنّك حقّاً **﴿لَعلىٰ خُلقٍ عَظيم﴾**.

٤ ـ كتب سماحة السيد الحائري في مذكّراته عن هذا الجانب ما يلي:

«انفصل أحد طلابه عن درسه وخطّه الفكري الإسلامي، ثمّ بدأ يشتمه وينال منه

في غيابه أمام الناس ، وكان كثير من كلماته تصل إلى مسامع أستاذنا العظيم ، وكنت ذات يوم جالساً بحضرته الشريفة ، فجرى الكلام عن هذا الطالب الذي ذكرناه ، فقال (رضوان اللّه عليه) :

«أنا لا زلت اعتقد بعدالة هذا الشخص ، وأنّ ما صدر منه ناتج من خطأ في اعتقاده ، وليس ناتجاً من عدم مبالاته بالدين»[1].

٥ ـ وكتب سماحته أيضاً :

«في الفترة التي عيّنت حكومة البعث الغاشم ستّة أيام لتسفير الإيرانيين بما فيهم طلاب الحوزة العلميّة من النجف إلى إيران ، رأيت أحد طلبة العلوم الدينيّة في النجف الأشرف مودّعاً لأستاذنا الشهيد ، فرأيت الأستاذ يبكي في حالة وداعه إيّاه بكاء الثكلى ، رغم أنّه كان يعرف أنّ هذا الرجل يُعدّ في صفوف المناوئين له»[2]

هذه نبذة مختصرة عن هذا الجانب في حياته ، وهذه النبذة تقصُر عن التعبير ، إنّما أردنا بها الإشارة فقط .

السيد الشهيد في تضحيته

قد يكون من نافلة القول أن نتحدّث عن هذا الجانب من حياة السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) بعد أن روّى شجرة الإسلام بدمه الطاهر ، وسجّل أبهى صور الفداء والتضحية في التاريخ . وإذا كان لابدّ أن نكتب شيئاً مّا عن هذا الجانب فلأنّ طبيعة العرض التاريخي والمنهجي تتطلّب ذلك ، وإلّا فإنّ السيد الشهيد يعتبر في هذا الجانب قمّة شامخة ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير .

إنّ من عاش مع السيد الشهيد يستطيع أن يدرك بسهولة أنّ حالة التضحية حالة متجذّرة في أعماق نفسه ، لم أعهده إلّا مضحّياً مؤثراً غيره على نفسه . وهي حالته وسلوكه قبل المرجعيّة وبعدها .

---

(١) و (٢) مباحث الأصول ج ١ ، ص ٤٦ و ٤٩ .

وكان سخيّاً إلى حدٍّ كبير في ميادين التضحية فتارة يضحّي بمرجعيّته، وأُخرى بكتابه، وثالثة بماله وجاهه، وأخيراً بروحه ودمه. ولنا على كلّ ذلك شواهد و أدلّة.

وهنا لا بأس بذكر بعض المواقف التي تشير إلى بعض ما تحمله تلك النفس الكبيرة من تضحية وفداء.

١ ـ في عام (١٩٦٩ م) وفي إطار عدائها للإسلام حاولت سلطة البعث العميل توجيه ضربة قاتلة لمرجعيّة المرحوم آية اللّه العظمى السيد الحكيم ﷺ، من خلال توجيه تهمة التجسّس لنجله الشهيد العلامة السيد مهدي الحكيم ﷺ، الذي كان يمثّل مفصلاً مهمّاً لتحرّك المرجعيّة ونشاطها.

وبدأ غبار الجريمة يتطاير إلى العيون، ورائحتها الكريهة تزكم الأُنوف، وكانت خطوات البعث تتّجه إلى النجف يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة؛ لتسحق ما عجز غيرها عن سحقه.

وكان للسيد الشهيد ﷺ الموقف المشرّف في دعم المرجعيّة الكبرى من جانب، وفضح السلطة المجرمة من جانب آخر. فبعد أن علم بعزم السلطة على توجيه تهمة التجسّس إلى المرحوم السيد مهدي الحكيم شاركَ بفعاليّة وبالتنسيق مع مرجعيّة الإمام الحكيم ﷺ لإقامة اجتماع جماهيري حاشد يعبّر عن مستوى تغلغل المرجعيّة الدينيّة وامتدادها في أوساط الأُمّة وقوّتها وقدرتها الشعبيّة، ولكي يعطي للمرحوم السيد مهدي الحكيم بُعداً جماهيريّاً وشعبيّاً، باعتباره مَن سوف يمثّل المرجع الأعلى لإلقاء كلمته أو بيانه على الحشود الكبيرة المجتمعة في الصحن الشريف.

وحصل الاجتماع، وكان حاشداً ومهيباً، ضمّ كلّ طبقات المجتمع العراقي وأصنافه، وعبّرت الجماهير به عن موقفها ودعمها بوضوح تامّ للمرجعيّة الدينيّة الرشيدة.

وكان المفروض أن يردع ذلك السلطة وينبّهها الى خطورة الموقف وما قد ينتج عنه، إن هي أقدمت على تنفيذ جريمتها، ولكنّها لم ترتدع؛ لأنّ ما حصل كان مخططاً

متكاملاً أعدّه لهم أسيادهم المستعمرون، وهذه أُولى حلقاته.

وحدثت للمرجعيّة أزمة كبيرة، ووقع للسيد الحكيم ﷺ ما يشبه الحصار، فلا داخل عليه ولا خارج، حتّى من أقرب المقرّبين إليه خوفاً من بطش السلطة وغضبها.

وهنا كان للسيد الشهيد موقفه التضحوي الخالد، فقد كسر الحصار وكان أوّل داخل على السيد الحكيم ﷺ، وكانت أوّل زيارة حصلت بعد فترة من زمن الحصار، وكان السيد الشهيد يعلم خطورة ما قام به، فالسلطة البعثيّة لا تؤمن بأيّ منطق إلّا منطق القوّة، وكان يعلم أنّه يعرّض حياته لخطر كبير لكنّه لم ينثن أبداً، وحقّق ما كان يشعر أنّه تكليف شرعي.

ولم يقف دعمه عند هذا الحدّ، بل سافر الى لبنان ليقود حملة إعلاميّة مكثّفة دفاعاً عن المرجعيّة، ومن هناك كتب رسالة إلى سماحة السيد محمد باقر الحكيم ـ حفظه اللّه ـ تحدّث فيها عمّا قام به من نشاطات إعلاميّة قال فيها:

«أكتب إليكم هذه السطور بعد أُسبوعين كاملين من دخول لبنان،

وأودّ أن أُعطيك صورة عن الموقف في حدود رؤيتي له، وأشعر بأنّ وجود صورة لك عن الموقف شيء مفيد على خط العمل.

لا أدري كيف أُصنّف الحديث، أتصوّر أنّي أبدأ بما تمّ من عمل ثم أتحدّث لك عن الموقف بشكل عامّ، ثمّ عن المشاكل والمكاسب.

أمّا ما تمّ من عمل فهو كالتالي:

أوّلاً: خطاب استنكار وقّع عليه حوالي أربعين عالماً.

ثانياً: ملصقة جداريّة اُلصقت في كثير من المواضع في بيروت تطالب بإنقاذ النجف.

ثالثاً: برقيات طيّرها أبو صدري ـ السيد موسى الصدر ـ إلى جميع رؤساء وملوك الدول العربيّة والإسلاميّة بإسم المجلس الشيعي الأعلى يشرح لهم فيها المأساة، ويستنجد بهم، وقد جاءه الجواب حتّى الآن من

جمال عبد الناصر وفيصل والأرياني إلرئيس اليمني.

الشارع الشيعي في بيروت مكهرب بالقضية، وكذلك الإنسان الشيعي في لبنان بشكل عام، بالرغم من نشاطات البعثين ... والسفارة العراقيّة في بياناتها المتعاقبة حول الموضوع تكشف عن شعورها بعمق المشكلة، وعن اضطرارها إلى شيء من المداورة واصطناع أساليب المجادلة»(١).

٢ ـ في صباح اليوم الذى قرّر الإمام الراحل سماحة آية اللّه العظمى السيد الخميني (رضوان اللّه عليه) مغادرة العراق إلى الكويت، قرّر السيد الشهيد ﷺ الذهاب إلى بيت الإمام لتوديعه، بالرغم من الرقابة المكثّفة التي فرضتها سلطات الأمن المجرمة على منزله.

وفي الصباح ذهب السيد الشهيد إلى منزل السيد الإمام، ولكن للأسف كان الإمام قد غادر قبل ذلك الوقت بقليل، ومع ذلك جلس ﷺ في المنزل ليعبّر عن تأييده وتعاطفه مع السيد الإمام لمن بقي بعد الإمام في بيته.

وقد أخبرني (رضوان اللّه عليه) أنّه أثناء التحقيق الذي جرى معه في اعتقال رجب سُئل عن أهداف هذه الزيارة، وقال له مدير الأمن العام: إنّها تمثّل في رأي السلطة مظهراً من مظاهر التنسيق والتعاون، وإلّا فلماذا لم يبادر باقي المراجع والعلماء لزيارته أو توديعه ؟!

قال ﷺ:

«كنت قد صمّمت على الشهادة، ولم يكن يخطر ببالي أن أعود حيّاً إلى النجف الأشرف، فقلت له: فسّروها بما شئتم، لقد ذهبت لتوديعه جهراً لا سرّاً.

---

(١) الجهاد السياسي للشهيد الصدر، ص ٣٩.

فأغضب ذلك مدير الأمن، إذ لم يكن يتوقّع منيّ هـذا الجـواب، وكان يتصورّ أن أعتذر من ذلك».

وسوف يأتي بعض ما يتعلّق بـذلك فـي مـوضوع الاعـتقالات التـي تـعرّض لها (رضوان اللّه عليه).

والحقيقة أنّه لا يعرف قيمة هذا الموقف وأمثاله إلّا الذين عاشوا تلك الأجواء الإرهابيّة التي سادت العراق، وعرفوا الوسائل التي تتعامل بها السلطة مع معارضيها، إذ يُعتبر هذا الموقف من المواقف الشجاعة والبطوليّة؛ لأنه يمثّل تحدّياً خطيراً للسلطة.

٣ ـ وفي اعتقاله الذي تعرّض له (رضوان اللّه عليه) في انتفاضة (١٧) رجب عـام (١٩٧٩م) كـان الأخ المـجاهد حـجة الإسـلام والمسـلمين الشـيخ طالب السنجري ـ حفظه اللّه ـ قد بقي في تلك الليلة في منزل السيد الشهيد متبرّعاً بحمايته والدفاع عنه في حال تعرّضه لماكنّا نخشى وقوعه، وفي الصباح حينما جاء مدير أمن النجف لاعتقال السيد الشهيد أصرّ سماحة الشيخ السنجري عـلى مـرافـقة السـيد الشهيد، والذهاب معه إلى مديرية الأمن العامّة، رغم علمه بأنّ الاعتقال هذا ليس بهدف التحقيق، وإنّما للإعدام، ورغم منع قوات الأمن له، فقد ألقى بنفسه في داخل السيارة التي كانت تحمل السيد الشهيد، وذهب معه إلى مديرية الأمن العامّة.

وفي بغداد أظهرت السلطة كلّ ما عندها من حقد وغضب عليه، فنال أقسى أنواع التعذيب، وكان توقّع السيد الشهيد ﷺ أن ينال سماحة الشيخ السنجري الشهادة في ذلك اليوم.

وبعد الإفراج عن السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) على إثـر التـظاهرة التي خرجت في النجف، اعتذر مدير الأمن العامّ من السيد الشهيد، وأبلغه أنّ (القيادة) لا تعتبر ما جرى اعتقالاً، بل زيارة!! وإذا كان قد حدث شيء من الإزعاج فإنّ مدير أمن النجف يتحمّل مسؤولية ذلك؛ لأنه أساء فهم طلبنا منه بإحظاركم إلى بغداد.

وكان (رضوان اللّه عليه) قد حدّثني:

«أنّ السلطة كانت قد قرّرت إعدامي هـذه المـرّة، وكـانت كـلّ الظواهر تدلّ على ذلك».

وسوف يأتي تفصيل ذلك في فصل الاعتقالات التي تعرّض لها ﷺ.

وعلى كلّ حال، رفض السيد الشهيد العودة إلى النجف إلّا بعد الإفراج عن مرافقه الشيخ السنجري ـ حفظه اللّه ـ وحاول مدير الأمن العامّ ثني السيد الشهيد عن طلبه ولكن دون جدوى، وأخيراً اضطر مدير الأمن إلى إطلاق سراحه وعاد مع السيد الشهيد إلى النجف، وقد قال لي:

«كنت مصمّماً على البقاء في مديرية الأمن مـدى الحـياة إذا لم تفرج السلطة عن مرافقي».

٤ ـ ويروي سماحة السيد كاظم الحائري القضية التالية:

«حدّثني الأُستاذ ﷺ ذات يوم فقال: إنّني أتصوّر أنّ الأُمّة مبتلاة اليوم بالمرض الذي كانت مبتلاة به في زمن الحسين ﷺ، وهو مرض فقدان الإرادة، فالأُمّة تعرف حزب البعث، والرجال الحاكمين في العـراق، ولا تشكّ فـي فسـقهم وفـجورهم وطغيانهم وكفرهم وظلمهم للعباد، ولكنّها فقدت قوّة الإرادة التي بها يجب أن تصول وتجاهد في سبيل اللّه، إلى أن تسقط هذه الزمرة الكافرة عن منصب الحكم، وترفع الأمّة كابوس هذا الظلم عن نفسها.

وعلينا أن نعالج هذا المرض كي تدبّ حياة الإرادة في عروق هذه الأُمّة الميّتة وذلك بما عالج به الإمام الحسين ﷺ فقدان الإرادة في نفوس الأُمّة وقتئذٍ، وهو التضحية الكبيرة التي هزّ بها المشاعر، وأعاد بها الحياة إلى الأُمّة، إلى أن انتهى الأمر بهذا السبب إلى سقوط دولة بني أُميّة. فعلينا أن نضحّي بنفوسنا في سبيل اللّه، ونبذل دماءنا بكلّ سخاء في سبيل نصرة الدين الحنيف.

والخطة التي أرى ضرورة تطبيقها اليوم هي أن أجمع ثُلّةً من طلابي، ومن صفوة أصحابي الذين يؤمنون بما أقول، ويستعدّون للفداء، ونذهب جميعاً إلى الصحن

ـشريف متحالفين فيما بيننا على أن لا نخرج من الصحن أحياء، وأنا أقوم خطيباً فيما بينهم ضدّ الحكم القائم، ويدعمني الثلّة الطيّبة الملتفّة من حولي، ونثور بوجه الظلم والطغيان، فسيجابهنا جمع من الزمرة الطاغية ونحن نعارضهم ـ ولعلّه قال: ونحمل السلاح ـ إلى أن يضطّروا إلى قتلنا جميعاً فى الصحن الشريف، وسأستثني ثلّة من أصحابي عن الاشتراك في هذه المعركة، كي يبقوا أحياء من بعدي ويستثمروا الجوّ الذي سيحصل نتيجة لهذه التضحية والفداء.

قال ﷺ: إنّ هذا العمل مشروط في رأيي بشرطين:

الشرط الأوّل: أن يوجد في الحوزة العلميّة مستوىً من التقبّل لعملٍ من هذا القبيل. أمّا لو أطبقت الحوزة العلميّة على بطلان هذا العمل وكونه عملاً جنونيّاً، أو مخالفاً لتقيّة واجبة، فسوف يفقد هذا العمل أثره في نفوس الأُمّة، ولا يوفي ثماره المطلوبة.

الشرط الثاني: أن يوافق أحد المراجع الكبار مسبقاً على هذا العمل كي يكتسب العمل في ذهن الأُمّة الشرعيّة الكاملة.

فلابدّ من الفحص عن مدى تواجد هذين الشرطين. أمّا الشرط الأوّل فصمّم الأُستاذ ﷺ على أن يبعث رسولاً إلى أحد علماء الحوزة العلميّة لجسّ النبض ليعرض عليه هذه الفكرة ويستفسره عن مدى صحّتها. وبهذا الأُسلوب سيعرف رأي عالم من العلماء كنموذج لرأي يتواجد في الحوزة العلميّة.

وقد اختار ﷺ بهذا الصدد إرسال سماحة الشيخ محمّد مهدي الآصفي ـ حفظه اللّه ـ إلى أحد العلماء، وأرسله بالفعل إلى أحدهم كي يعرض الفكرة عليه ويعرف رأيه، ثمّ عاد الشيخ إلى بيت أُستاذنا الشهيد وأخبر الأُستاذ بأنّه ذهب إلى ذاك العالم في مجلسه، ولكنّه لم يعرض عليه الفكرة، وكان السبب في ذلك أنّه حينما دخل المجلس رأى أنّ هذا الشخص مع الملتفّين حوله قد سادهم جو من الرعب والانبهار الكامل نتيجة قيام الحكومة البعثيّة بتسفير طلبة الحوزة العلميّة، ولا توجد

أرضية لعرض مثل هذه الفكرة عليه إطلاقاً.

وأمّا عن الشرط الثاني فرأى أُستاذنا الشهيد ﷺ أنّ المرجع الوحيد الذي يترقّب بشأنه أن يوافق على فكرة من هذا القبيل هو الإمام الخميني ـ دام ظله ـ الذي كان يعيش وقتئذٍ في النجف الأشرف، فلا يصحّ أن يكون هذا العمل من دون استشارته، فذهب هو (رضوان اللّه عليه) إلى بيت السيد الإمام، وعرض عليه الفكرة مستفسراً عن مدى صحّتها، فبدأ على وجه الإمام ـ دام ظله ـ التألّم، وأجاب على السؤال بكلمة (لا أدري) وكانت هذه الكلمة تعني أنّ السيد الامام ـ دام ظله ـ كان يحتمل أن تكون الخسارة التي ستوجّه إلى الأُمّة من جرّاء فقد هذا الوجود العظيم أكبر ممّا قد تترتّب على هذا العمل من الفائدة.

وبهذا وذاك تبيّن أنّ الشرطين مفقودان، فعدل أُستاذنا الشهيد ﷺ عن فكرته، وكان تاريخ هذه القصّة بحدود عام (١٣٩٠) أو (١٣٩١ هـ) ولعل التاريخ الصحيح هو سنة (١٣٩٤)هـ [1].

وكان من جملة الظروف والأسباب التي أدت الى هذا التفكير التضحوي ما تعرّض له طلبة الحوزة العلمية والعلماء وبعض أوساط الأُمّة من حملات تسفير وتشريد رهيبة كانت تستهدف القضاء على الإسلام.

٥ ـ بعد اغتيال الشهيد المطهري على أيدي القوىٰ المضادّة للثورة قررّ السيد الشهيد إقامة مجلس الفاتحة عليه للاعتبارات التالية:

أوّلاً: لأنّ الشهيد الشيخ المطهري يعتبر من رجالات الثورة الإسلامية، وأحد منظّري إيران الفكريين، لذا كان الواجب تكريم هذه الشخصية الكبيرة.

وثانياً: كان موقف بعض المرجعيات من انتصار الثورة الإسلاميّة وإقامة حكومة إسلاميّة في إيران موقفاً يتّسم بالضعف والخوف، فقد أحجم الجميع عن القيام بأيّ

---

(١) مباحث الأصول، ج ١ ص ٤٩.

عمل تكريمي لهذه الشخصية الكبيرة، وكان مجلس الفاتحة اليتيم هو المجلس الذي أقامه الشهيد الصدر، بينما كانت بعض المرجعيّات في تلك الفترة تُقيم مجالس الفاتحة والعزاء لمن كان يعتبر في مستواه العلمي والاجتماعي بمنزلة تلميذ من تلاميذ الشيخ المطهري، بل كانت ـ بعض الجهات ـ تتسابق لإقامة مثل هذه الأعمال الاجتماعيّة، وكان يعتبر ذلك نوعاً من فرض الوجود العملي على الميدان، والساحة الاجتماعيّة لهذه المرجعيّة أو تلك، بينما كان السيد الشهيد قد نأى بنفسه عن تلك المظاهر والأعراف.

أحجم الجميع عن إقامة مجلس الفاتحة على روح الشهيد المطهري، وهذه حقيقة يعرفها الجميع، ومن المؤكّد لو أنّ المطهري كان قد توفي في زمن الشاه المقبور لأُقيم له أكثر من مجلس، أمّا في زمن الإمام الخميني ﷺ وفي ظلّ الثورة الإسلاميّة في إيران فلا يجرأ على ذلك إلّا الشهيد الصدر؛ لأنّ هذا المجلس لا يحقّق هدفاً اجتماعيّاً أو مصلحة ذاتية، كما هو الحال في الظروف الطبيعيّة، بل قد يسبب مشاكل لا حدّ لها مع السلطة.

وأقام (رضوان اللّه عليه) مجلساً حاشداً في جامع الطوسي في النجف الأشرف، ليعبّر من خلاله عن وقوفه ودعمه للثورة الإسلاميّة في إيران وتحشّدت قوات السلطة تراقب المجلس بدقّة، وتلتقط الصور الفوتوغرافية لكلّ داخل وخارج؛ لأنّها تعلم أنّ هذا المجلس يختلف عن غيره في الهدف والقصد، ولذا كان هذا المجلس من (أدلّة الإدانة) التي وجهت للسيد الشهيد في اعتقال رجب.

لم يكن خافياً على سيدنا الشهيد الخطر الذي يترتّب على مثل هذه النشاطات والأعمال، ولكنّه وجد أنّ الموقف المبدأي والرسالي يتطلّب هذا النوع من التضحية، فلم يتردّد لحظة في إعطاء المبادئ والقيم ما تريد، وهكذا فعل.

٦ ـ ومن مواقف الفداء والتضحية ما حدث خلال فترة الحجز، وهو في أشدّ ظروف المحنة، وأقسى أيّام الحصار، فقد أجاب على كلّ البرقيات التي كانت قد

أرسلت له من قبل بعض العلماء والقيادات الدينيّة والسياسية في جمهورية إيران الإسلاميّة، ومنها برقية الإمام السيد الخميني ﷺ، وهي وإن كانت لم تصله إلّا أنّه استمع لها من الإذاعة العربيّة في طهران، وقد إجاب عليها من خلال اتصال هاتفي من إيران وأُذيع من خلال المذياع ونصّ الجواب كما يلي:

«سماحة آية اللّه العظمى الإمام المجاهد السيد الخميني (دام ظله).

استمعت إلى برقيتكم التي عبّرتم بها عن تفقّدكم الأبوي لي، وإنّي إذ لا يتاح لي الجواب على البرقية لأنّي مودع في زاوية البيت ولا يمكن أن أرى أحداً أو يراني أحد لا يسعني إلّا أن أسأل المولى (سبحانه وتعالى) أن يديم ظلّكم مناراً للإسلام، ويحفظ الدين الحنيف بمرجعيّتكم القائدة، أسأله تعالى أن يتقبّل منّا العناء في سبيله، وأن يوفّقنا للحفاظ على عقيدة الأُمّة الإسلاميّة العظيمة، وليس لحياة أيّ إنسان قيمة إلّا بقدر ما يعطي لأُمّته من وجوده وحياته وفكره، وقد أعطيتم للمسلمين من وجودكم وحياتكم وفكركم ما سيظلّ به على مدى التاريخ مثلاً عظيماً لكلّ المجاهدين.

محمد باقر الصدر».

ولك ـ أيّها القارئ الكريم ـ أن تقدّر خطورة هذا الموقف قياساً بالأوضاع والظروف التي كانت تحيط بالسيد الشهيد، ووضع السلطة وموقفها منه.

لم يكن خافياً على السيد الشهيد أنّ أقصر الطرق ـ لو أراد فك الأزمة المستعصية مع السلطة ـ هو الابتعاد بولائه وتأييده لشخص الإمام الخميني والثورة الإسلاميّة في إيران. إنّ ذلك كان سيحقّق له السلامة الشخصيّة ولو لأمدٍ مّا.

ولم يكن خافياً عليه أنّ طريق الشهادة السريع هو في الإعلان عن هذا الولاء والتأييد.

وكان (رضوان اللّه عليه) لو أراد أن يستعمل ـ الدبلوماسيّة ـ لكان بإمكانه أن يعتذر للسلطة أثناء التحقيق الذي جرى معه في اعتقال رجب عن برقية الإمام الخميني بأنّ البرقية كانت مبادرة من الإمام لا يتحمّل هو مسؤوليتها، ولكنّه لم يفعل.

ولم يستلم السيد الشهيد وحتّى يوم استشهاده برقية الإمام؛ لأنّها احتجزت من قبل السلطة قبل وصولها إليه، وكان قد سمعها من جهاز التسجيل فقط.

وكان من حقّ السيد الشهيد أن يعتذر عن الجواب، فمن هو في وضعه «**لأنّي مودع في زاوية البيت ولا يمكن أن أرى أحد أو يراني أحد**» حسب تعبيره لا يتوقّع منه أحد جواباً على برقية، وإذا كانت هناك ضرورة تُلزم بالجواب فإنّ هناك طرقاً أُخرى غير الهاتف أسهل وأفضل، بل كان بإمكان السيد الشهيد قطع الاتصال الهاتفي، وكان سيعتقد من كان على الخط أنّ السلطة هي التي فعلت ذلك.

ولم يسمح إباء الصدر بكلّ ذلك، فما أن تمّ الاتصال به مع إيران حتّى تلا جواب البرقيات وكان قد أعدّه قبل ذلك، ونقله الأثير من خلال إذاعة إيران وتلفازها إلى أسماع المؤمنين والمسلمين في معظم أنحاء العالم، وعبّر بذلك عن دعمه المطلق، وتأييده اللامحدود للإمام الراحل وللثورة المباركة، وسجّل موقفاً خَلُد في صفحات الفداء والتضحية من التاريخ.

وكذلك لم يتردّد ﷺ من الحديث مع من اتصل به من إيران في المكالمة الهاتفية الي أذاعها راديو طهران القسم العربي رغم أنّه لم يكن يعرف المتحدّث معه ـ وكان يظنّ أنّه سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ التسخيري ـ.

وكان (رضوان اللّه عليه) يتوخىٰ من ذلك تحقيق عدة أهداف منها:

١ ـ أنّه شخّص أنّ صدّاماً جاء بسياسة القبضة الحديدية والأرض المحروقة والتصفية الجسدية، وقد بدأ بها بشكل واضح فلابدّ للسيد الشهيد أن يستبق الأحداث ليسجّل الموقف الإسلامي.

٢ ـ أنّ القرار الغربي هو إدخال العراق وشعبه في مواجهة مع الثورة الاسلاميّة ومسخ هوية الشعب العراقي ، فكان موقف الشهيد الصدر هو إنقاذ الشعب من هذه المأساة بإعلانه الموقف الأصيل .

٣ ـ كسر الحاجز النفسي والروحي الذي كان يلف الشعب العراقي من خلال هذه التضحية ، وبدأ مسيرة الجهاد ، وهذا ما حصل بالفعل .

٤ ـ تسجيل الموقف المبدأي والإسلامي تجاه الثورة وسلامة خطّها ، وأهمية هذه التجربة العظيمة .

الفصل الثالث

الشهيد الصدر (رض)
المنهج السياسي والجهادي

استراتيجيّة
السيد الشهيد السياسيّة والجهاديّة

للسيد الشهيد رؤيته الخاصّة، أواستراتيجيّتة عن العمل السياسي والجهادي، ويمكن استكشاف بعض جوانب هذه الرؤية ممّا كتبه في أطروحة (المرجعية الصالحة) أو من بياناته الموجهّة إلى الشعب العراقي، أو بياناته بمناسبة انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران.

ومن الواضح أنّ للظروف والأوضاع دخلاً في بناء هيكليّة الرؤى والتصوّرات، ولا أريد هنا أن اتحدّث عن الجوانب المتحرّكة فيإستراتيجيّته السياسيّة والجهاديّة التي تتدخّل فيها اعتبارات زمانيّة أو ظروف طارئة، وإنّما اقتصر فقط على الثوابت منها:

أوّلاً: كان السيد الشهيد ﷺ يعتقد بأهميّة وضرورة إقامة حكومة إسلاميّة رشيدة، تحكم بما أنزل اللّه عزّ وجلّ، تعكس كل جوانب الإسلام المشرقة، وتبرهن على قدرة الإسلام على بناء الحياة الإنسانيّة النموذجية، بل وتثبت أنّ الإسلام هو النظام الوحيد القادر على ذلك.

ومن المؤكّد أنّ كتب السيد الشهيد (اقتصادنا وفلسفتنا والبنك اللاربوي وغيرها) استهدفت إثبات ذلك على الصعيد النظري.

ثانياً: قيادة العمل الإسلامي.

وكان السيد الشهيد يعتقد أنّ قيادة العمل الإسلامي يجب أنّ تكون للمرجعيّة

الرشيدة الواعية العارفة بالظروف والأوضاع، المتحسّسة لهموم الأُمّة وآمالها وطموحاتها..

ولو تركنا جانباً ما كنّا نسمعه من السيد الشهيد حول هذا الموضوع فإنّ ما كتبه بقلمه الشريف في مشروع (المرجعيّة الصالحة)، وكذلك ما صدر منه من بيانات بمناسبة انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران يكفي لإثبات هذه الرؤية. ففي بحث (المرجعيّة الصالحة) كتب تحت عنوان ـ أهداف المرجعيّة الصالحة ـ أنّ من أهداف المرجعيّة الصالحة «القيمومة على العمل الإسلامي، والإشراف على ما يعطيه العاملون فى سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مفاهيم، وتأييد ما هو حقّ منها وإسناده، وتصحيح ما هو خطأ». وكتب أيضاً «إعطاء مراكز العالميّه من المرجع إلى أدنى مراتب العلماء الصفة القياديّة للأُمّة بتبني مصالحها والاهتمام بقضايا الناس ورعايتها، واحتضان العاملين فى سبيل الإسلام...».

وفى البيان الذي وجّهه إلى الشعب الإيراني أكّد على هذ الحقيقة مرات عديدة فكتب:

«ومن تلك الحقائق الثابتة: أنّ الشعب الإيراني كان يحقّق نجاحه في نضاله بقدر التحامه مع قيادته الروحيّة ومرجعيّته الدينيّة الرشيدة التحاماً كاملاً... وما من مرّة غفل فيها هذا الشعب المجاهد عن هذه الحقيقة، أو استغفل بشأنها إلّا وواجه الضياع والتآمر. فالمرجعيّة الدينيّة الرشيدة، والقيادة الروحيّة هي الحصن الواقي من كثير من ألوان الضياع والانحراف...».

وقد فصّل (رضوان اللّه عليه) طريقة عمله، وبيّن بعض أفكاره وتصوّراته عن كيفية عمل المرجعيّة وقيادتها للعمل الإسلامي في أُطروحة المرجعيّة الصالحة.

ثالثاً: العمل الحزبي المنظّم.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الظروف والأوضاع السياسيّة وخاصّة فى العراق تفرض

انبثاق عمل سياسي وجهادي منظّم يعمل على أساس متطلّبات العصر وما تفرضه ضرورات الحياة، والعمل الحزبي ـ بمفهومه الإسلامي ـ من الأساليب الفعّالة التي تضمن اختزال الزمن باتجاه الوصول إلى الهدف المتمثّل بإقامة الحكومة الإسلاميّة الرشيدة، وعلى هذا الأساس كان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) لا يرى بأساً بنهج هذا الأسلوب على أن يكون الحزب، أو الأحزاب ـ في فرض تعدّدها ـ أذرعاً للمرجعيّة لا كياناً قياديّاً مستقلاً، وهذه الفكرة تبدو واضحة من خلال التدقيق في أطروحة (المرجعيّة الصالحة).

رابعاً: تأسيسه لحزب الدعوة.

للأمانة أقول: إنّنى لم أسمع من السيد الشهيد شيئاً يتعلّق بهذا الموضوع، ولعلّ السبب أنّ الفترة التي عشتها معه ـ وهي مرحلة المرجعيّة الفعليّة ـ قد تجاوزت تلك النشاطات، أو أنّ الضرورة لم تكن تتطلّب ذكر تلك النشاطات، خاصّة أنّ السلطة كانت تحاول اجتثاث المرجعيّة الدينيّة من خلال توجيه الاتّهامات الحزبية إليها، فكان من الطبيعي أن يتجنّب (رضوان اللّه عليه) طرق هذا الموضوع بجذوره التاريخيّة وتفاصيله الدقيقة.

ولكن مع ذلك ـ وفى فترات مختلفة ـ شهدت صوراً من التعاون بين السيد الشهيد وحزب الدعوة الإسلاميّة، سواء قبل الحجز أو خلاله، وسوف استعرض ذلك فى طيّات هذا الموضوع.

أمّا عن موضوع تأسيس حزب الدعوة الإسلاميّة فإنّ سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري كتب عن ذلك ما يلي:

إنّ الأستاذ الشهيد ﷺ مرّ بأدوار عديدة في عمله السياسي، والتطوّر المشهود فى أساليب عمله يرجع إلى عدّة أسباب:

١ ـ أنّ العمل المتكامل في فترة طويلة نسبياً من الزمن بطبيعته يتطلّب المرحليّة والتطوّر والتغيير بمرور الزمن، بمعنى أنّ ما يصحّ من العمل في مرحلة منه

قد لا يصحّ في المرحلة المسبقة ، والعكس هنا ـ أيضاً ـ صحيح .

٢ ـ أنّ تبدلّ العوامل الخارجيّة الذي قد لا يكون من أوّل الأمر بالحسبان ، يؤثّر ـ لا محالة ـ على طريقة العمل .

٣ ـ أنّ أصل النظرية في أُسلوب العمل قد تنضج وتتكامل وتتطوّر في ذهن الإنسان بمرور الزمان ، ممّا يؤثّر على أُسلوب العمل ، ويؤدّي إلى تطويره .

إنّ أُستاذنا الشهيد ﷺ أسّس في أوائل شبابه حزباً إسلاميّاً بإسم ـ حزب الدعوة الإسلاميّة ـ وكان هذا في وقته تقدّماً ملحوظاً في الوعي السياسي بالنسبة لمستوى الوعي المتعارف آنئذٍ في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ، حتّى أنّ كثيراً من المتديّنين بالتديّن الجاف آنذاك كان يرمي من ينتمي إلى حزب الدعوة الإسلاميّة ـ فضلاً عمّن يؤسس حزباً إسلاميّاً ـ بالانحراف عن خط الإسلام الصحيح ، وبالارتباط بالاستعمار الكافر. كلّ من يدّعي ضرورة إقامة الحكم الإسلامي كان يُتّهم بمثل هذه الاتّهامات ؛ لأنّ إقامة الحكم الإسلامي لا يكون في نظرهم إلّا بعد ظهور الإمام صاحب الزمان ـ عجلّ اللّه فرجه الشريف ـ.

أمّا تاريخ تأسيسه ﷺ لهذا الحزب فهو عبارة عن شهر ربيع الأوّل من سنة (١٣٧٧ هـ) حسب ما قاله الحاج محمّد صالح الأديب ـ حفظه اللّه ـ وهو يُعدّ أحد أعضاء النواة الأُولى ، أو يُعد إحدى اللبنات الأوّلية لبناء صرح الحزب .

وأيضاً قال الحاج محمّد صالح الأديب : إنّ السيد الشهيد ﷺ خرج من التنظيم بعد تأسيسه إيّاه بحوالي أربع سنين ونصف أو خمس سنين .

وكان قصّة خروجه من التنظيم على ما حدّثنا الحاج الأديب ـ حفظه اللّه ـ ما يلي :

«كثر الكلام من قبل بعض المغرضين لدى المرحوم آية اللّه العظمى السيد الحكيم ﷺ على الشهيد الصدر ﷺ بحجّة تأسيسه للحزب ، أخيراً جاء (حسين الصافي) وهو رجل بعثي لئيم إلى المرحوم آية اللّه الحكيم وقال : إنّ السيد الصدر

وآخرين ممّن ذكر أسماءهم، قد أسّسوا حزباً بإسم حزب الدعوة الإسلاميّة، وبهذا سيهدمون الحوزة العلميّة، بدأ يهدّد ويتكلّم ضدّ من أسماهم مؤسّسين للحزب، فنهره آية اللّه السيد الحكيم، وقال له: أفأنت أحرص على مصالح الحوزة العلميّة من السيد الصدر؟ ثمّ أخرجه من بيته بذلّ وهوان، ثمّ أرسل (رضوان اللّه عليه) أحد أولاده إلى السيد الصدر ﷺ وقال له عن لسان والده: إنّ دعم كلّ الوجودات الإسلاميّة والأعمال الإسلاميّة هو من شأنك وممّا ينبغي لك أن تقوم به، أمّا أن تحسب على جهة إسلاميّة معيّنة وحزب خاصّ، فهذا لا ينبغي لمن هو مثلك في المقام العلمي والاجتماعي الشامخ. والذي يجب أن يكون دعامة لكلّ الأعمال الإسلاميّة من دون التأطّر بإطار خاصّ.

قال السيد الشهيد ﷺ سأفكّر وأتأمّل في الأمر، وفي اليوم الثاني أرسل ﷺ رسالة مفصّلة إلى حزب الدعوة عن طريق الحاج محمّد صالح الأديب، وكانت خلاصة ما هو مكتوب في الرسالة بعد التأكيد الشديد على ضرورة استمراريّة عمل ـ حزب الدعوة الإسلاميّة ـ والإشادة الكبيرة بذلك: أنّ آية اللّه الحكيم طلب منّي أن لا أكون في التنظيم، وأنا أفهم أنّ هذا رأي إلزامي له، وعليه فأتوقّف الآن عن الانتماء إلى التنظيم طالباً منكم الاستمرار بجدّ في هذا العمل، وأنا أدعمكم في عملكم الإسلامي المبارك».

انتهى ما أخذته من الحاج محمّد صالح الأديب ـ حفظه اللّه ـ[1].

وبعد ذلك مضت الأيام والليالي، إلى أن تصدّى السيد الشهيد ﷺ للمرجعيّة بالتدريج من بعد وفاة المرحوم آية اللّه العظمى الحكيم، وطرح أخيراً فكرته عن ضرورة الفصل بين جهاز المرجعيّة الصالحة والتنظيم الحزبي بسبب أنّ المرجعيّة الصالحة هي القيادة الحقيقيّة للأمّة الإسلاميّة وليس الحزب، وإنّما الحزب يجب عليه أن يكون ذراعاً من أذرع المرجعيّة وتحت أوامرها، والتشابك بين التنظيم

---

(١) ما زال الكلام لسماحة السيد الحائري حفظه اللّه.

الإسلامي والجهاز المرجعي يُربك الأمور.

وما يدرينا لعلّ الأُستاذ الشهيد ﵀ كان مؤمناً بهذه الفكرة منذ تأسيسه للحزب، وإن أجّل إبرازها للوقت المناسب، فلم يكن هناك تناقض بين المرحلتين من عمله.

وقد أنشأ ﵀ في بيته ضمن العشرة الأخيرة من سني عمره المبارك مجلساً أسبوعياً كان يضم عينة طلابه، وكان يتداول معهم البحث في مختلف الأُمور الاجتماعيّة والقضايا الأساسيّة، وكانت تطرح في هذه الجلسات الكثير من مشاكل المسلمين في شتّى أرجاء العالم، وكان يُبرّر لمن يحضر هذه الجلسات تبني الأُستاذ الشهيد لتلبية حاجات المسلمين في كلّ مكان من البلاد الإسلاميّة وغيرها، وتفكيره الدائب في كلّ ما ينفع الإسلام والمسلمين، وتخطيطه الحكيم للحوزات العلميّة، ولملء الشواغر العلمائيّة في كلّ بلد يوجد فيه تجمّع إسلاميّ، ولإرشاد العاملين ضدّ الكفر والطاغوت في جميع البلدان، وما إلى ذلك.

ولست هنا بصدد سرد الأبحاث التي كانت تدور في تلك الجلسات الأُسبوعية إلّا بالمقدار الراجع من تلك الأبحاث إلى ما نحن بصدده من بيان أُستراتيجيّته ﵀ في العمل السياسي وهي ثلاث نقاط:

أوّلاً: موقفه من العمل المرحلي المعروف عن حزب الدعوة الإسلاميّة الذي تبنّاه عند تأسيس الحزب.

ثانياً: أُطروحته للمرجعيّة الصالحة والمرجعيّة الموضوعيّة.

ثالثاً: رأيه في مدى صحّة اشتراك الحوزة العلميّة في الأحزاب السياسيّة الإسلاميّة.

أمّا الأوّل: وهو العمل المرحلي لحزب الدعوة الإسلاميّة الذي تبنّاه (رضوان اللّه عليه) لدى تأسيسه للحزب، فالمعروف اليوم عن حزب الدعوة هو الإيمان بمراحل أربع للعمل:

١ ـ مرحلة تكوين الحزب وبنائه، والتغيير الفكري للأُمّة.

٢ ـ مرحلة العمل السياسي التى بضمنها جلب نظر الأُمّة إلى الأُطروحة الإسلاميّة للحزب، ومواقفه السياسيّة، وتبنيّها لتلك المواقف ودفاعها عنها.

٣ ـ مرحلة استلام الحكم.

٤ ـ مرحلة رعاية مصالح الإسلام والأُمّة الإسلاميّة بعد استلام الحكم.

ولكن الذي نقله الأُستاذ (رضوان للّه عليه) في تلك المجالس الأُسبوعيّة لطلابه هي المراحل الثلاث الأُولى كما هو مثبت في النشرات الأوّلية للحزب، ولم يتعرّض للمرحلة الرابعة.

وعلى أيّة حال فقد تناول الأُستاذ ﷺ هذا العمل المرحلي بالبحث، ولم يكن غرضه من ذلك شجب أصل كبرى المرحليّة فى العمل، فإنّها من أوّليات العمل الاجتماعي، وقد طبّقها (رضوان اللّه عليه) فيما كتبه عن عمل المرجعيّة الصالحة، وإنّما الذي بيّنه في بحثه عن ذلك هو النقاش في مصداق معيّن بلحاظ الانتقال من المرحلة الأُولى إلى المرحلة الثانيّة.

وخلاصة ما قاله بهذا الصدد هو: أنّنا حينما نعيش بلداً ديمقراطياً يؤمن باحترام الشعب وآرائه، ولا تجابههم السلطة بالتقتيل والتشريد بلا أيّ حساب وكتاب، يكون بالإمكان افتراض حزب مّا يبدأ عمله بتكوين بنية ذاتيّة بشكل سرّي، ثمّ يبدأ في مرحلة سياسيّة علنيّة، ومحاولة كسب الأُمّة إلى جانبه، وجرّها إلى تبنّي تلك المواقف السياسيّة، ولكن الواقع في مثل العراق ليس هكذا، ففي أيّ لحظة تحسّ السلطة الظالمة بوجود حزب إسلامي منظّم يعمل وفق هذه المراحل لتحكيم الإسلام تُقتّل وتُشرِّد ونسجن وتُعذِّب العاملين، وتخنق العمل في تلك البلاد قبل تماميّة تعاطف الأُمّة معه، وتحرّكها إلى جانبه، فما لم يصادف هناك تحوّل آخر دولي في العالم يقلب الحسابات ليس بإمكان الحزب أن ينتقل من مرحلته الأُولى إلى المرحلة الثانية. قال ﷺ هذا الكلام بحدود سنة ١٣٩٢ هـ»[١].

---

(١) مباحث الأصول ج ١، ص ٨٧ ـ ٩١.

هذا أهمّ ما يتعلّق بموضوع تأسيس حزب الدعوة الإسلاميّة.

أمّا عن علاقة السيد الشهيد بحزب الدعوة بعد انفصاله منه فإنّ موقفه كان يتمثّل بالدعم والتأييد والمساندة بالأُسلوب الذي كانت الظروف تسمح به.

ثمّ أعقب ذلك فترة من البرود في العلاقة كان من أسبابها أنّ السيد الشهيد طلب من قيادة الحزب إخراج شخص معيّن من قيادة الحزب، بسبب عدم صلاحه ـ وقد ثبت ذلك فيما بعد ـ فرفضوا ذلك، وأصرّوا على بقائه، فحدث ما يشبه القطيعة بين السيد الشهيد وحزب الدعوة.

وفي سنة (١٩٧٢ م) إثر الاعتقالات التي وقعت في صفوف المؤمنين وخاصّة في أوساط الحوزة، وكان منهم فضيلة الشيخ خالد أبا ذر، أبرز السيد الشهيد ﷺ رأيه في ضرورة الفصل بين المرجعيّة والعمل الحزبي، وفي نفس التاريخ كتب الأُطروحة المعروفة بـ(المرجعيّة الصالحة والمرجعيّة الموضوعيّة).

وفي سنة (١٩٧٤ م) إثر الاعتقالات التي شملت الشهداء الخمسة ﷺ صدرت منه الفتوى التى ظاهرها تحريم ارتباط الحوزة العلميّة بصوره عامّة بالعمل الحزبي، وكان ذلك يعود إلى أمرين مهمّين:

الأوّل: أنّ الاندماج والتلاحم بين الحوزة العلميّة والعمل الحزبي سيؤدّي إلى انعكاس جميع الأخطار السياسيّة الكبيرة التي يُمنى بها العمل الحزبي على الحوزة العلميّة، فإذا تمّ القضاء على العمل الحزبي من قبل السلطة العفلقيّة فسوف يؤدّي ذلك إلى القضاء على الحوزة العلميّة أيضاً.

الثاني: أنّ من وظيفة الحوزة العلميّة أن تشمل برعايتها جميع قطّاعات الأُمّة الإسلاميّة، والانتماء إلى العمل الحزبي يمنع عن مثل هذه الرعاية الشاملة.

وفى الفترة الأخيرة من عمره الشريف حصل تغيّر في العلاقات إلى الأحسن، وكان الحزب يُعلن بين الحين والآخر عن استعداده لتنفيذ أوامر وتوجيهات السيد الشهيد، ثمّ عيّن ﷺ أحد تلاميذه الأجلاّء بما يشبه الرابط أو المنسّق بينه وبينهم،

كما كا يقدّم لهم دعماً مالياً بما تسمح به الظروف.

وعن هذا الموضوع كتب سماحة السيد الحائري (حفظه اللّه) مايكفي ويغني، فقد جاء في كتاب مباحث الأُصول الجزء الأوّل الصفحة (١١٠) ما يلي:

«وبعد هذا حينما اعتقلت السلطة الكافرة في العراق ثلّة من العلماء الأعلام، وثلّة من المؤمنين الكرام، وكان بضمنهم الشهداء الخمسة، الشيخ عارف البصري وصحبه (رحمهم اللّه)، وكان بضمنهم السيد الهاشمي، وكنت أنا ـ وقتئذٍ ـ في إيران، وأفرجت السلطة بعد ذلك عن جماعة منهم السيد الهاشمي، وبقي جماعة آخرون في الاحتجاز، أصدر الأُستاذ الشهيد ﵁ كلمته المعروفة التي ذكر فيها فصل الحوزة العلميّة عن العمل الحزبي، وكان هذا بتاريخ (١٠ شعبان ١٣٩٤ هـ).

وكتبت بعدئذٍ رسالة إلى أُستاذنا الشهد استفسره فيها عمّا هو المقصود الواقعي عن هذه الكلمة، فذكرت له: إنّ المحتملات عندي أربعة:

١ ـ أن يكون المقصود بهذه الكلمة لحاظ مصلحة في أصل ذِكرها ونشرها كتقية (وعلى حدّ تعبير علماء الأُصول تكون المصلحة في الجعل).

٢ ـ أن يكون المقصود بهذه الكلمة أُولئك العلماء والطلاب المرتبطون بمرجعيّتكم، وإن اقتضت المصلحة إبرازها على شكل العموم.

٣ ـ أن يكون المقصود بهذه الكلمة فصل طلاب الحوزة العلميّة في العراق عن العمل الحزبي درءاً للخطر البعثي الخبيث عنهم، الذي يؤدّي إلى إبادتهم.

٤ ـ أن يكون المقصود بها فصل جميع الحوزات العلميّة في كلّ زمان ومكان عن العمل الحزبي الإسلامي ـ وعلى حدّ تعبير الأُصوليين تكون القضية قضية حقيقية وليست خارجيّة ـ وعلى هذا الاحتمال الأخير يكون تعليقي على هذه الكلمة: أنّ هذا الإجراء سيؤدّي في طول الخطّ إلى انحراف الحركة الإسلاميّة الحزبيّة عن مسار الإسلام الصحيح، نتيجة لابتعادهم في أجوائهم الحزبيّة عن العلماء الأعلام.

فكتب لي (رضوان الله عليه) في الجواب: أنّي قصدت المعنى الأوّل والثاني والثالث، دون الرابع».

خامساً: وكان السيد الشهيد ﷺ يرى ضرورة وأهمية العمل العسكري والجهادي، وقد باشر ذلك على الصعيد العملي ولو بشكل محدود في السنوات الأخيرة من عمره الشريف، وكان يقول ما معناه: إنّ هذا النظام ـ ويعني نظام العفالقة ـ قضى على كلّ مظاهر الحريّة في العراق بالحديد والنار، فلابدّ من مقارعته بالقوّة.

ولمعرفة المزيد عن هذا الموضوع يمكن مراجعة البيانات الثلاثة التي وجّهها إلى الشعب العراقي والموجودة في هذا الكتاب فإنّ فيها رؤية تفصيليّة عن هذا الموضوع.

هذه أهمّ النقاط التي أحببت الاشارة إليها على نحو الإيجاز والإجمال فيما يتعلّق بستراتيجيّة السيد الشهيد ونظرته إلى العمل تاركين التفصيل إلى فرصة أُخرى.

المرجعية والحوزة في حياة الشهيد الصدر

من المواضيع الجديرة بالبحث موضوع المرجعيّة ـ فكراً وسلوكاً ـ في حياة الشهيد الصدر، وكيف كان يعمل ويخطّط للنهوض بها إلى مستوى الطموح الكبير، وبما يواكب متطلّبات العصر الحديث، وحاجاته الأساسيّة.

والحوزة العلميّة كمؤسسة علميّة وبكلّ تفاصيلها وتشعّباتها تعيش في ظلّ المرجعيّة، وتعيش المرجعيّة في كنفها، فما هو رأي السيد الشهيد بها، وكيف كان يفكّر لإعادة بنائها، وتنظيم كافّة مرافقها الدراسيّة والمنهجيّة والإداريّة؟

ولا أُريد هنا أن أستعرض تاريخ المرجعيات والحوزة العلميّة على امتداد التاريخ، والمشاكل والصعاب التي ترشّحت منها، والتي شكّلت ثقلاً كبيراً على

المرجعيات الواعية والموضوعيّة فيما بعد.

إنّ ذلك يحتاج إلى دراسات مستقلّة تبحث المسألة من جذورها القديمة، وإنّما أُشير فقط إلى ما كان منها محلّ اهتمام السيد الشهيد ﷺ.

لقد وجد شهيدنا العظيم أنّ أوّل وأهمّ قضية يجب أن تعالج هى الحالة الذاتيّة في المرجعيّة، إذ المفروض على كلّ مرجعيّة أن تعتمد الموضوعيّة أُسلوباً في عملها المرجعي، لأنّه يحقّق أكبر قدر من الخدمة للإسلام، ولابدّ لكلّ مرجعيّة أن تكون حلقة في سلسلة كبرى، ولبنة قوية تشدّ اللبنة التي سبقتها والتي تليها، والمرجعيّة الجديدة يجب أن تواصل عملية البناء من حيث انتهت المرجعيّة التي سبقتها، لا أن تبدأ من نقطة الصفر كما هو الحال في أُسلوب المرجعيّة الذاتيّة.

وقد عالج شهيدنا الصدر ذلك بوضع أُطروحة المرجعيّة الموضوعيّة التي سيأتي ذكرها.

والقضية الأُخرى المهمة هي افتقار المرجعيّة والحوزة إلى نظام واضح المعالم، محدّد الصورة، يحكم كافة المجالات.

كان السيد الشهيد ﷺ قد شخّص تلك المشاكل، واقترح لها الحلول الناجعة قبل تصدّيه العملي للمرجعيّة، فكان طموحه وتفكيره باتجاه بناء هيكل مرجعي وحوزوي متين ينسجم مع متطلبات العصر، ويلبّي المستجدّات فى حياة الأُمّة بما يخدم الإسلام على أكمل وجه، ولم يكن بالإمكان إحداث هذا التغيير بين عشية وضحاها، خاصّة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أجواء الحوزة، والتقاليد التي تسودها، وكذلك الإمكانات العمليّة والماديّة في مجال التنفيذ بالنسبة للسيد الشهيد، والتي كانت محدودة إلى درجة كبيرة.

ولم يكن من خيار أمام سيدنا الشهيد ﷺ في تلك الفترة إلّا الاستفادة من الوضع الموجود، والإمكانات المتاحة لإحداث بدايات التغيير حسب الأُطروحة التي كان قد وضعها.

ومن المؤكّد أنّ عملية التغيير التي كان يستهدفها الشهيد الصدر في تلك المرحلة كانت شاملة للمرجعيّة والحوزة من جانب ، وللأُمّة من جانب آخر، إذ يبدو من تاريخ تأسيس حزب الدعوة الإسلاميّة في أواخر عام (١٩٥٧ م) المصادف لربيع الأوّل (١٣٧٧ هـ) وتأسيس جماعة العلماء في عام (١٩٥٨ م) ، أنّ ما كان قد صمّم على تنفيذه خطّة شاملة وعامّة لكليهما .

وظهرت أُولى معالم التغيير بتأسيس جماعة العلماء في النجف الأشرف ، وإصدار مجلة الأضواء ، وممّا لاشكّ فيه أنّ الشهيد الصدركان قد أدّى دوراًكبيراً في دعمها وتطويرها وتنميتها بكلّ ما يملك من طاقات وإمكانات ، وهو وإن لم يكن عضواً فيها إلّا أنّ تأثيره كان يتمّ عن طريق خاله المرحوم آية اللّه الشيخ مرتضى آل ياسين ، الذي كان يثق ثقة تامّة بسيدنا الشهيد الصدر وبحكمته وتخطيطه .

وعن جماعة العلماء ومبررات وجودها وأهدافها كتب سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحكيم (حفظه اللّه) عن تلك الفترة ما يلي :

« لابدّ لأن نفهم عمق الأحداث التي سوف أتناولها ، والمواجهة التي وقعت بين الإمام الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) وحزب البعث فى العراق ، من أن نرجع إلى بدايات سنة (١٣٧٨ هـ) أي بعد التغيير في الحكم الذي حصل فى العراق بعد انقلاب الرابع عشر من تموز عام (١٩٥٨ م) ، فقد ظهرت على سطح المسرح السياسي في العراق مجموعة من التيّارات السياسيّة والفكريّة ، بعد أن حصل الشعب العراقي نتيجة الانقلاب على بعض المكاسب السياسيّة والاجتماعيّة .

وقد احتدم الصراع في المرحلة الأُولى بين التيار الماركسي الذي كان يقوده الحزب الشيوعي العراقي والذي كان يحصل على الدعم المعنوي من قائد الانقلاب عبدالكريم قاسم من جانب ، ومجموعة التيّارات السياسيّة الأُخرى كالتيار القومي الذي كان يجمع بين الناصريين والبعثيين وغيرهم ، والذي كان له وجود سياسي في الحكم وفى الشارع ، بسبب الدعم الذي كان يحصل عليه من الجمهوريّة العربيّة

المتّحدة حينذاك بقيادة جمال عبد الناصر، وكالتيار الإسلامي الذي كانت تتعاطف معه جماهير واسعة من الشعب العراقي المسلم دون أن يكون له وجود سياسي قويّ، عدا بعض الأحزاب السياسيّة الإسلاميّة الصغيرة.

وقد وجد علماء النجف الأشرف أنّ من الضروري أن يطرح الإسلام كقوّة فكريّة وسياسيّة أصيلة تنتمي إلى السماء، وتمتدّ جذورها في الشعب المسلم.

وولدت من أجل ذلك أُطروحة (جماعة العلماء) التى يمكن أن نقول بحقّ إنّ وجودها يرتبط بشكل رئيسي بعقليّة السيد الشهيد الصدر، واهتمامات المرجعيّة الدينيّة وطموحاتها الكبيرة التي كانت تتمثّل بالمرحوم الإمام السيد محسن الحكيم، بالإضافة إلى الشعور بالحاجة الملحّة لمثل هذه الأُطروحة لدى قطّاع واسع من الأُمّة.

ورغم أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) لم يكن أحد أعضاء جماعة العلماء لصغر عمره، إلّا أنّه كان له دور رئيسي في تحريكها وتوجيهها، كما ذكرت ذلك فى مذكّراتي عن جماعة العلماء فى النجف الأشرف.

ومن خلال ذلك تمكّن علماء النجف الأشرف أن يطرحوا الخطّ الإسلامي الصحيح، ويعملوا على إيجاد القوّة السياسيّة الإسلاميّة المتميّزة.

وقد باشرت جماعة العلماء ـ بالرغم من قوّة الأحداث، وعدم توفّر الخبرة السياسيّة الكافية، وتخلّف الوعي الإسلامي في الأُمّة ـ عملها من أجل إرساء قواعد هذا الخطّ الأصيل، وذلك من خلال بعض المنشورات والاحتفالات الجماهيريّة، والاتّصال ببعض قطّاعات الشباب، وإصدارها لمجلة الأضواء الإسلاميّة التي كانت تشرف عليها لجنة توجيهيّة مكوّنة من شباب العلماء، كان لها اتّصال وثيق بالسيد الشهيد الصدر.

بعد مضي أقلّ من عام تمكّنت جماعة من العلماء من بناء قاعدة إسلاميّة شابّة، ولذا قرّرت هذه الجماعة إصدار نشرة الأضواء الإسلاميّة كأداة للتعبير عن

وجودها من ناحية، ولمواصلة السير في الطريق الذى رسمته من ناحية ثانية.

وقد بعثت مجلة الأضواء من خلال خطّها الفكري والسياسي، ومن خلال ما رسمته من معالم الطريق الإسلامي وخطوطه العريضة، وبالأخصّ الخطوط التي كانت ترسم ضمن موضوع ـ رسالتنا ـ الذي كان يكتبه السيد الشهيد الصدر بإسم جماعة العلماء، وبإذنها طبعاً بعث الروح الإسلاميّة في قطّاعات واسعة من الجماهير.

وسافرت إلى لبنان في سنة (١٣٨٠ هـ) حيث كانت طموحاتنا أن أنقل أفكارنا إلى ذلك البلد، وودعت السيد الأستاذ الشهيد حيث كان في الكاظميّة حينذاك بعد أن عشت معه أياماً، وكنت أُراسله باستمرار في رسائل طويلة، وكان يجيبني بأُخرى يتحدّث فيها عن عواطفه الفيّاضة وهمومه الإسلاميّة.

وفي هذه الرسائل بدأ السيد الشهيد يحدّثني عن هجمة قاسية شرسة، قام بها حزب البعث تسترت ببعض أهل العلم، فلقد كانت الواجهة في هذه الهجمة بعض من ينتسب إلى أهل العلم، ولكن كانت يد حزب البعث وراءها، حيث يطرح السيد الأُستاذ في بعض رسائله بأنّ المحامي (حسين الصافي) الذي كان معمّماً من قبل، ومن عائلة علميّة، وله صلات شخصية وطيدة ببعض أهل العلم، ومسؤول حزب البعث في النجف الأشرف كان وراء هذه الحملة، وتحدّث إلى بعض الأشخاص لإثارتهم،

فقد كتب السيد الشهيد في صفر (١٣٨٠ هـ) يقول:

«لقد كان بعدك أنباء وهنبثة، وكلام، وضجيج، وحملات متعدّدة جُنّدت كلّها ضد صاحبك[1]، وبغية تحطيمه... ابتدأت تلك الحملات في أوساط الجماعة التوجيهية المشرفة على الأضواء، أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلكهم فأخذوا يتكلّمون وينتقدون، ثمّ تضاعفت

---

(١) يعني نفسه رضوان الله عليه.

الحملة، وإذا بجماعة تنبري من أمثال حسين الصافي ـ ولا أدري ما أذا كانت هناك علاقة سببيّة وارتباط بين الحملتين، أو لا ـ تنبري هذه الجماعة .. فتذكر عنّي وعن جماعة ممّن تعرفهم شيئاً كثيراً من التهم من الأُمور العجيبة».

ومن الملاحظ أنّ البعثيين استعملوا في هذه الحملة أُسلوبين رئيسين:

الأوّل: أُسلوب الاتّهام بأن هذه المجلة لا تعبّر عن رأي جماعة العلماء، وإنّما هى تعبّر عن رأي تنظيم سياسي ديني سرّي يستغل اسم جماعة العلماء، وقد كان الاتّهام بالتنظيم السياسي في تلك الفترة الزمنيّة يعتبر تهمة شنيعة، بسبب التخلّف السياسي الديني في أوساط المتديّنين، وبالأخص أهل العلم منهم.

الثاني: موضوع (رسالتنا) الذي يُكتب باسم جماعة العلماء، وكان يكتبه السيد الشهيد الصدر دون أن يعرضه على أحد منهم، فقد كتب السيد الشهيد في نفس الفترة يقول:

«كما أنّ هناك زحمة من الإشكالات والاعتراضات لدى جملة من الناس، أو (الآخوندية) في النجف على النشرة، وخاصّة (رسالتنا)، باعتبار أنّها كيف تنسب إلى جماعة العلماء مع أنّها لم توضع من قبلهم، ولم يطّلعوا عليها سلفاً، وأنّ في ذلك هدراً لكرامة العلماء. هذا في الوقت الذي يقول الأخ ...... إنّ الكلمة في بغداد متّفقة على أنّ (رسالتنا) كتابة تجديد وابتكار تختص بمستواها الخاصّ عن بقية الأضواء».

وقد كتب في ٦ ربيع الأوّل ١٣٨٠ هـ:

«لا أستطيع أنّ أذكر تفصيلات الأسماء في مسألة جماعة العلماء وحملتها على الأضواء ... ولكن اكتفي بالقول: بأنّ بعض الجماعة كان نشيطاً في زيارة أعضاء جماعة العلماء لإثارتهم على الأضواء، وعلى (رسالتنا)، حتّى لقد قيل: إنّ الشيخ الهمداني الطيّب القول قد شوّهت

فكرته عن الموضوع... وهذا الذي حصل بالنسبة للشيخ الهمداني حصل بالنسبة إلى جملة من الطلبة مع الاختلاف في بعض الجهات».

وقد كتب أيضاً:

«فإنّني أُجيبك على سؤالك فيما يخصّ من موقف الخال، فإنّ الشيخ الخال كان في الكاظميّة بعيداً عن الأحداث نسبياً، ولم يطّلع إلّا على سطحها الظاهري، وهو ماضٍ في تأييده (للأضواء) ومساندته لها، وقد طلب.... أن يكتب إلى بعض جماعة العلماء لتطييب خاطرهم، وجلب رضاهم عن (الأضواء)..... فكتب إلى..... وأخبره بأنّ (الأضواء) لم تكن تصدر إلّا بعد مراقبته وإشرافه، وأنّها تناط الآن... كما أخبره بأنّ كاتب (رسالتنا) سوف ينقطع عن الكتابة...».

وأيضاً كتب السيد الشهيد:

«فقد حدّثني شخص في الكاظمية أنّه اجتمع به في النجف الأشرف فأخذ يذكر عنّي له سنخ التُهم التي كالها حسين الصافي من دون مناسبة مبرّرة. وعلى كلّ حال، عسى أن يكون له وجه صحّة في عمله إن شاء اللّه».

وقد كان لهذه الإثارة دور كبير في تحريك جماعة العلماء بالخصوص ضدّ السيد الشهيد، فإنّ دوره الأساسي كان في أوساط المتشدّدين من أهل العلم البعيدين عن التيار الإسلامي وهمومه، ومشاكل الأُمّة وانحرافاتها الفكريّة والسياسيّة، ولذا كان تأثيره على جماعة العلماء محدوداً...

وقد أحسن السيد الأُستاذ الشهيد الصدر في معالجة الموقف بهدوء حيث تمسّك بالصبر والسكوت، فقد كتب يقول:

«وأمّا واقع (الأضواء) هنا فهو واقع المجلة المجاهدة في سبيل اللّه، وقد هدأت ـ والحمد للّه ـ حملة جماعة العلماء عليها بعد أن تمّ

إشعارهم بأنّهم المشرفون عليها، غير أنّ حملة هائلة ـ على ما أسمع ـ يشنّها جملة من الطلبة، ومن يُسمّى بأهل العلم أو يحسب عليهم، وهي حملة مخيفة، وقد أدّت ـ على ما قيل ـ إلى تشويه سمعة (الأضواء) في نظر بعض أكابر الحوزة، حتّى كان جملة ممّن يسمّيهم المجتمع الآخوندي مقدّسين، أو وجهاء لا يتورّعون عن إلصاق التّهم (بالأضواء) وكلّ من يكتب فيها...».

ومن الجدير بالذكر أنّه كان الإخوان في اللجنة التوجيهية يتسامحون في تقديم ما يكتبونه إلى الجماعة للإشراف المباشر عليه خوفاً من ملاحظات تبديها الجماعة تمسّ الصيغ الجديدة التي كانوا يقدّمونها للأفكار الإسلاميّة التي كانت تُمد التيار الإسلامي الواعي بالوقود والعطاء.

ولكن التجربة التي مارسوها بعد الضجّة دلّلت على أنّ جماعة العلماء كانت على درجة من الوعي تجعلها لا تعارض مثل هذه الأفكار، بل تمنحها التأييد والقبول؛ لأنّه يشهد (رضوان اللّه عليه) بعد ذلك في تاريخ ١٨ ربيع الأوّل فيقول:

«وأُسرة (الأضواء) التي لا غبار عليها وجه من الوجوه مورد للاطمئنان الكامل، وهم يعرضون مقالاتهم على الثلاثة، ولم يصادفوا لحدّ الآن مشكلة مبدأيّة في هذا المقام، والحمد للّه ربّ العالمين».

«حدسي أنّ (الأضواء) سوف تستمر إن شاء اللّه تعالى؛ لأنّها تتمتّع الآن برصيد قويّ من الداخل والخارج، فمن الخارج بلغت عدد الاشتراكات (...) ومن الداخل تتمتّع برضا جماعة العلماء».

وهكذا تمكّن السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) بحكمته وصموده وصبره أن يواصل طريقه مع إخوانه وتلامذته في الجهاد، وأن يقفوا جميعاً في وجه هذه الهجمة الشرسه التي استغلت أخسّ المشاعر في الإنسان، واستعملت أخبث الأساليب، وتمكّن بسبب ذلك الخط الإسلامي الأصيل أن يستمرّ في تفاعله مع

الأمّة والتأثير فيها »[1].

تأليف كتاب فلسفتنا:

ومن نشاطات السيد الشهيد في تلك المرحلة تأليف كتاب (فلسفتنا) الذي لبّى فيه أكبر حاجات الأمّة في تلك الفترة ولازال، والذي قارع فيه الفكر الماركسي بأجلى بيان، وأقوى حجة، وكان (رضوان اللّه عليه) عازماً على طبعه بإسم (جماعة العلماء) دعماً وتأييداً لها، إلّا أنّ اعتراض البعض على بعض أفكاره صرفه عن ذلك.

تأسيس مدرسة العلوم الإسلامية:

والخطوة الأُخرى التي كانت باتّجاه تغيير الأوضاع على الصعيد الحوزوي مساهمته في تأسيس (مدرسة العلوم الإسلامية) والتي تعرف بالدورة، وكانت تحت إشراف آية اللّه العظمى السيد الحكيم ﷺ، وهي أوّل محاولة لتنظيم الوضع الدراسي في الحوزة، والخطوة الأُولى نحو اعتماد أُسلوب المراحل في الدارسة الحوزويّة.

وقد وقف السيد الشهيد بكلّ ماكان يتاح له من إمكانات لدعم مشروع مدرسة العلوم الإسلاميّة، وقد طلب من أفضل تلاميذه تدريس أبسط المواد الدراسيّة في مختلف المراحل الدراسيّة؛ حرصاً منه على إنجاحه.

وعلى كلّ حال، لم تسلم جماعة العلماء، ولا مدرسة العلوم الإسلاميّة (الدورة) من معارضة قويّة استهدفت وأدُهما معاً وهما في المهد من قبل بعض أعضاء جماعة العلماء، ولعل الرسائل التي كتبها السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) إلى سماحة السيد محمّد باقر الحكيم (حفظه اللّه) تكشف عن حجم المعاناة التي كان الشهيد الصدر يعانيها من جرّاء هؤلاء وأمثالهم.

هذه أهمّ النشاطات التي كانت قائمة على أساس الأُطروحة الشاملة التي

---

(١) مجلة الجهاد العدد (١٤) الصادر في شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ.

وضعها الشهيد الصدر في فترة ما قبل التصدّي للمرجعيّة.

وبعد وفاة الإمام السيد الحكيم (قدّس سرّه) بدأت تقريباً مرحلة التصدّي الفعلي لمرجعية السيد الشهيد، ولم يكن (رضوان اللّه عليه) راغباً بذلك؛ لأنّ الشهيد الصدر كان يؤمن بضرورة تكريس كلّ الطاقات، وتوحيد كافّة الصفوف باتّجاه مرجعيّة واحدة، وهذا مبدأ عامّ يؤمن به، وقاعدة أساسيّة يتبنّاها، يضاف إلى هذا أنّ الفراغ الذي تركه السيد الحكيم ﷺ كان خطيراً إلى حدّ كبير، كما أنّ النظام البعثي العميل كان قد أعدّ كلّ مستلزمات تدمير المرجعيّة والحوزة العلميّة والحركة الإسلاميّة، وممّا لاشكّ فيه أنّ وفاة الإمام الحكيم ﷺ كانت فرصة ثمينة لتنفيذ هذا المخطط. وقد سمعت سماحة السيد الحائري (حفظه اللّه) يقول: إنّ السيد الشهيد كان قلقاً ومتوجّساً منذ اليوم الأوّل لوصول حزب البعث إلى السلطة؛ لأنّه أدرك من تلك الفترة نواياهم الشريرة.

وهكذا فإنّ الظروف الموضوعيّة كانت تفرض وجود مرجعيّة واحدة وقويّة، وكان من الضروري تخطي المراحل التي كانت تستغرق زمناً طويلاً لتحقيق ذلك. وهنا وجد الشهيد الصدر أنّ المرجع المرشّح لذلك هو سماحة آية اللّه العظمى السيد الخوئي ﷺ فقد كانت له أرضيّة وشهرة أكبر من المراجع الآخرين على مستوى الحوزة والأُمّة، فأرجع إليه في التقليد والفتوى ـ حسب شروط معيّنة كان قد اتّفق عليها معه ـ، وحرص على تسديد مرجعيّته وتأييدها بكلّ قوّة رغم ماكلّفه ذلك من مشاكل وصعاب، كما أنّ الشهيد الصدر اتّخذ موقفاً رافضاً لكلّ المحاولات التي كانت من قبل أنصاره ومحبّيه لطرحه على الساحة كمرجع للتقليد.

وكان المفروض على المرجعيّة المرشّحة أن تلبّي متطلّبات المرحلة، وحاجات الأُمّة، والعمل الإسلامي والدعوة إلى اللّه تعالى، وأن لا تقف طموحاتها عند أهداف محدودة.

وأثبتت الأحداث أنّ الأُمور تجري في ظلّ هذه الأجواء إلى ما لا يحمد عقباه،

وأنّ الضرورة تفرض التصدّي السريع لمرجع يفهم الحياة من كلّ زواياها ومناحيها، ويفهم الظروف والأوضاع، وما يجب ويلزم، وما لا يجب ولا يجوز، ولا يجعل التقية خطّاً ثابتاً في عمله، لا يفرّق فيه بين (الكيان المرجعي) كمقام ربّاني ومسؤولية خطيرة واجبها حماية الإسلام والأُمّة من كافّة الأخطار، وبين المرجع كشخص وفرد من أفراد الأُمّة له الحقّ في حماية نفسه بالطرق المشروعة من دون التأثير على الكيان الإسلامي العامّ.

وأتذكّر أنّ من الأُمور التي هزّت الشهيد الصدر ﷺ في تلك الفترة، أنّ أحد المؤمنين سأل أحد المراجع الكبار عن جواز أو حرمة الانتماء إلى حزب البعث الحاكم في العراق، فأفتاه بالجواز، وكان ذلك المرجع خائفاً من أن يكون السائل من جواسيس السلطة، أو أنّه يخشى من انعكاس ذلك على السلطة لو أفتى بالحرمة، ممّا يسبب له أضراراً شخصيّة، وإلّا فنحن نعلم أنّ هذا المرجع يحرّم في الواقع الانتماء لحزب البعث العميل. وكان تعليق السيد الشهيد على هذه القضية وغيرها أنّ الوضع إذا استمرّ هكذا فإنّ الأجيال التي سوف تأتي سترى الانتماء إلى حزب البعث أمراً طبيعياً لا حرج فيه، ولهذا السبب تصدّى (رضوان اللّه عليه) إلى الافتاء بحرمة الانتماء لحزب البعث، حتّى لو كان الانتماء صورياً، وأعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، فكان هو المرجع الوحيد الذي أفتى بذلك وحزب البعث في أوج قوّته، وكان ذلك جزءاً من العلّة وأحد الأسباب التي أدّت إلى استشهاده.

هذه الأُمور وغيرها شكّلت ضغطاً على السيد الشهيد للتصدّي العملي للمرجعيّة ولو بمستوىً محدود جدّاً، وإن كان (رضوان اللّه عليه) يميل نفسياً إلى خلاف ذلك، وكان يحبّذ تأجيل عملية التصدّي إلى وقت آخر. وأستطيع أن أقول: إنّ المرجعيّة هي التي أقبلت عليه، وإنّ الأُمّة هي التي فرضت هذا الواقع وجرّته إليه، بالإضافة إلى السبب الذي أشرنا إليه من قبل، ولم يتصدّ هو إلى ذلك.

ومن المعروف أنّ السيد الشهيد ابتعد عن كلّ المظاهر التي كانت تلازم ـ عادة ـ

عملية التصدّي، فلا جهاز دعائي يرشد الناس إلى تقليده، ولا رسالة عملية توزع مجاناً، ولا تمييز في إعطاء الرواتب على أساس حضور البحث، أو الولاء الشخصي، وابتعد عن كلّ مظهر من المظاهر التي يُعرف المرجع من خلالها، والأعظم من كلّ ما تقدّم استعداده الدائم للذوبان في أي مرجعيّة صالحة تخدم الإسلام، والتنازل عن وجوده كلّه لصالحها، وكان هذا الخطّ ثابتاً على طول حياته المرجعيّة. ففي بداية تلك المرحلة ـ وكما حدّثني سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عبدالهادي الشاهرودي (حفظه اللّه) وهو أحد طلابه المقربين ـ أنّ السيد الشهيد خاطب خاصّة طلابه في اجتماع خاصّ بهم فقال لهم:

«يجب عليكم أن لا تتعاملوا مع هذه المرجعيّة ـ وقصد مرجعيّته ـ بروح عاطفية وشخصية، وأن لا تجعلوا ارتباطكم بيّ حاجزاً عن الموضوعيّة، بل يجب أن يكون المقياس هو مصحلة الإسلام، فأيّ مرجعيّة أُخرى استطاعت أن تخدم الإسلام وتحقّق له أهدافه يجب أن تقفوا معها، وتدافعوا عنها، وتذوبوا فيها، فلو أنّ مرجعيّة السيد الخميني مثلاً حقّقت ذلك، فلا يجوز أن يحول ارتباطكم بي عن الذوبان في مرجعيّته».

وكان هذا الكلام قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بعشر سنوات تقريباً.

وأمّا ما بعد ذلك، فيكفينا ما كتبه بخطّه الشريف في الرسالة التي وجّهها إلى طلابه في إيران في أوائل انتصار الثورة الإسلاميّة المباركة، والتي أعلن فيها بوضوح عن تنازله وذوبانه في مرجعيّة السيد الإمام ﵀ وأكّد فيها بوضوح كامل على أنّ المرجعيّة وسيلة لا غاية، فمتى ما حقّقت مرجعيّة من المرجعيّات الصالحة الأهداف الخيّرة التي توخّاها (رضوان اللّه عليه) فيجب أن تنصهر المرجعيّات الأُخرى فيها، فقد كتب ﵀:

«إنّ الواجب على كلّ أحد منكم، وعلى كلّ فردٍ قدّر له حظّه السعيد

أن يعيش في كنف هذه التجربة الإسلاميّة الرائدة أن يبذل كلّ طـاقاته، وكلّ ما لديه من إمكانات وخدمات، ويضع ذلك كلّه في خدمة التجربة، فلا توقّف في البذل؛ والبناء يشاد لأجل الإسلام، ولا حدّ للبذل؛ والقضية ترتفع رايتها بقوة الإسلام..

ويجب أن يكون واضحاً أيضاً أنّ مرجعيّة السـيد الخـميني التـي جسّدت آمال الإسلام فـي إيـران اليـوم لابـدّ مـن الإلتـفات حـولها، والإخلاص لها، وحماية مصالحها والذوبان في وجودها العـظيم بـقدر ذوبانها في هدفها العظيم...».

وقد سمعته مراراً يقول أمام بعض من كان يعترض على تأييده للسيد الإمـام والثورة الإسلاميّة:

«لو أنّ السيد الخميني أمرني أن أسكن في قرية من قـرى إيـران أخدم فيها الإسلام، لما تردّدت في ذلك، إنّ السيد الخميني حقق ما كنت أسعى إلى تحقيقه...».

ومن الواضح أنّه لا مصلحة شخصية وراء ذلك الاندفاع للـتنازل عـن وجـود مرجعي قائم قد امتدّ إلى معظم العالم الإسـلامي، إلّا مـصلحة الإسـلام الكبرى، والحفاظ على كيان الرسالة ومصالح الأُمّة.

أضف إلى ذلك أنّ القاعدة التي انطلق منها السـيد الشـهيد إلى المـرجـعيّة، والتصدّي لأُمور المسلمين كانت من القـوّة والمـتانة بـالقدر الذي يكـفي للامـتداد السريع إلى كافة طبقات الأُمّة المثقّفة الواعية التي تشكّل قاعدة البناء القويّة لكـلّ تحرّك وعمل، وتلك القاعدة هي مؤلّفات السيد الشهيد، وما تميّزت به من عمق وإبداع وأصالة.

وعلى صعيد الحوزة العلميّة استطاع السيد الشهيد أن يُثبت فـقاهة مـنقطعة النظير وهو في المرحلة الأُولى من عمره العلمي، وتجلّى ذلك أوّلاً فيما ضمنّ بحثه

التاريخي (فدك في التاريخ) من أبحاث فقهيّة كانت قد عبّرت عن عمق وأصالة قلّ نظيرها لمن هو في مثل عمره، ثمّ جاء بعد ذلك ما كتبه في مجال الفقه والأُصول، ليعزّز هذه الرؤية.

لقد أُثير الكثير من الشبهات حول السيد الشهيد ﷺ بهدف إسقاطه، والقضاء على مرجعيّته، لقد قيل: إنّه عاطفي لا يصلح للمرجعيّة، وقيل: إنّه حزبيّ، والحزبيّة تتنافى مع المرجعيّة، وهذه الشبهات وإن كانت تافهة وسخيفة، إلّا أنّه لم يجرؤ أحد على التشكيك في فقاهته وعمقه في أيّ ميدان من ميادين المعرفة، وكان الجميع يعترفون له بذلك تصريحاً، أو تلميحاً.

وهكذا استطيع القول بأنّ مرجعيّة السيد الشهيد كانت تمتلك كلّ مقوّمات البقاء والاستمرار، مستمدّة ذلك من نفس المقوّمات والخصائص التي كان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) يتمتّع بها.

وبالنسبة للمرجعيّة فقد كان ﷺ قد وضع لها مخطّطاً شاملاً، ونظاماً دقيقاً في محاولة لإخراجها من الطابع الخاصّ إلى النظام المؤسساتي الثابت، الذي لا يتغيّر بتبدّل الشخص. وما دام السيد الشهيد قد كتب هذا النظام بنفسه، فلا أجد ضرورة إلى الحديث عنه، ويكفينا أن ننقل ما كتبه تحت اسم (المرجعيّة الموضوعيّة) فهو يكفي لإعطاء رؤية تفصيليّة عن هذا الجانب.

المرجعيّة الموضوعيّة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«إنّ أهمّ ما يميّز المرجعيّة الصالحة تبنّيها للأهداف الحقيقية التي يجب أن تسير المرجعيّة في سبيل تحقيقها لخدمة الإسلام، وامتلاكها صورة واضحة محدّدة لهذه الأهداف، فهي مرجعيّة هادفة بوضوح ووعي، تتصرّف دائماً على أساس تلك الأهداف بدلاً من أن تمارس تصرفات عشوائيّة وبروح تجزيئيّة، وبدافع من ضغط

الحاجات الجزئيّة المتجدّدة.

وعلى هذا الأساس كان المرجع الصالح قادراً على عطاء جديد في خدمة الإسلام، وإيجاد تغيير أفضل لصالح الإسلام في كلّ الأوضاع التي يمتدّ إليها تأثيره ونفوذه.

أهداف المرجعيّة الصالحة:

ويمكن تلخيص أهداف المرجعيّة **الصالحة** رغم ترابطها، وتوحّد روحها العامّة في خمس نقاط:

١ ـ نشر أحكام الإسلام على أوسع مدىً ممكن بين المسلمين، والعمل لتربية كلّ فرد منهم تربية دينيّة تضمن التزامه بتلك الأحكام في سلوكه الشخصيّ.

٢ ـ إيجاد تيار فكري واسع في الأُمّة يشتمل على المفاهيم الإسلاميّة الواعية، من قبيل المفهوم الأساسي الذي يؤكّد بأنّ الإسلام نظام كامل شامل لشتّى جوانب الحياة، واتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم.

٣ ـ إشباع الحاجات الفكريّة الإسلاميّة للعمل الإسلامي، وذلك عن طريق إيجاد البحوث الإسلاميّة الكافية في مختلف المجالات الاقتصاديّة والاجتماعيّة، والمقارنات الفكريّة بين الإسلام وبقية المذاهب الاجتماعيّة، وتوسيع نطاق الفقه الإسلامي على نحو يجعله قادراً على مدّ كلّ جوانب الحياة بالتشريع، وتصعيد الحوزة ككلّ إلى مستوى هذه المهام الكبيرة.

٤ ـ القيمومة على العمل الإسلامي، والإشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مفاهيم، وتأييد ما هو حقّ منها وإسناده، وتصحيح ما هو خطأ.

٥ ـ إعطاء مراكز العالِمية من المرجع إلى أدنى مراتب العلماء الصفة القياديّة للأُمّة بتبنّي مصالحها، والاهتمام بقضايا الناس ورعايتها، واحتضان العاملين في سبيل الإسلام.

ووضوح هذه الأهداف للمرجعيّة وتبنّيها وإن كان هو الذي يحدّد صلاح

المرجعيّة ويحدث تغييراً كبيراً على سياستها العامّة، ونظراتها إلى الأُمور، وطبيعة تعاملها مع الأُمّة.

ولكن لا يكفي مجرّد وضع هذه الأهداف ووضوح إدراكها لضمان الحصول على أكبر قدر ممكن من مكاسب المرجعيّة الصالحة؛ لأنّ الحصول على ذلك يتوقّف إضافة إلى صلاح المرجع ووعيه واستهدافه على عمل مسبق على قيام المرجعيّة الصالحة من ناحية، وعلى إدخال تطويرات على أُسلوب المرجعيّة، ووضعها العملي من ناحية أُخرى.

أمّا فكرة العمل المسبق على قيام المرجعيّة الصالحة، فهي تعني أنّ بداية نشوء مرجعيّة صالحة تحمل الأهداف الآنفة الذكر تتطلب وجود قاعدة قد آمنت بشكل وآخر بهذه الأهداف في داخل الحوزة وفي الأُمّة، وإعدادها فكريّاً وروحيّاً للمساهمة في خدمة الإسلام، وبناء المرجعيّة الصالحة، إذ ما لم توجد قاعدة من هذا القبيل تشارك المرجع من خلال معطيات تربية ذلك الإنسان الصالح لها، يصبح وجود المرجع الصالح وحده غير كافٍ لإيجاد المرجعيّة الصالحة حقّاً، وتحقيق أهدافها في النطاق الواسع.

وبهذا كان لزاماً على من يفكّر في قيادة تطوير المرجعيّة إلى مرجعيّة صالحة أن يمارس هذا العمل المسبق بدرجةٍ مّا، وعدم ممارسته هو الذي جعل جملة من العلماء الصالحين ـ بالرغم من صلاحهم ـ يشعرون عند تسلّم المرجعيّة بالعجز الكامل عن التغيير؛ لأنّهم لم يمارسوا هذا العمل المسبق، ولم يحدّدوا مسبقاً الأهداف الرشيدة للمرجعيّة، والقاعدة التي تؤمن بتلك الأهداف.

تطوير أُسلوب المرجعيّة:

وأمّا فكرة تطوير أُسلوب المرجعيّة وواقعها العملي، فهي تستهدف:

أوّلاً: إيجاد جهاز عمليّ تخطيطي وتنفيذي يقوم على أساس الكفاءة،

والتخصّص، وتقسيم العمل، واستيعاب كلّ مجالات العمل المرجعي الرشيد في ضوء الأهداف المحدّدة.

ويقوم هذا الجهاز بالعمل بدلاً من الحاشية التي تعبّر عن جهاز عفوي مرتجل يتكوّن من أشخاص جمعتهم الصدف والظروف الطبيعيّة لتغطية الحاجات الآنيّة بذهنيّة تجزيئيّة، وبدون أهداف محدّدة واضحة.

ويشتمل هذا الجهاز على لجان متعدّدة، تتكامل وتنمو بالتدريج إلى أن تستوعب كلّ إمكانات العمل المرجعيّ.

ويمكن أن نذكر اللجان التالية كصورة مُثلى، وهدف أعلى ينبغي أن يصل إليه الجهاز العمليّ للمرجعيّة الصالحة في تطوّره وتكامله.

١ ـ لجنة، أو لجان لتسيير الوضع الدراسي في الحوزة العلميّة، وهي تمارس تنظيم دراسة ما قبل (الخارج)، والإشراف على دراسات الخارج، وتحدّد المواد الدراسية، وتضع الكتب الدراسية، وتجعل بالتدريج الدراسة الحوزوية بالمستوى الذي يتيح للحوزة المساهمة في تحقيق أهداف المرجعيّة الصالحة، وتستحصل معلومات عن الانتسابات الجغرافيّة للطلبة، وتسعى في تكميل الفراغات وتنمية العدد.

٢ ـ لجنة للانتاج العلميّ، ووظائفها إيجاد دوائر علميّة لممارسة البحوث، ومتابعة سيرها، وتشجيعه، ومتابعة الفكر العالمي بما يتّصل بالإسلام، والتوافر على إصدار شيء كمجلة، أو غيرها، والتفكير في جلب العناصر الكفوءة إلى الحوزة، أو التعاون معها إذا كانت في الخارج.

٣ ـ لجنة، أو لجان مسؤولة عن شؤون علماء المناطق المرتبطة، وضبط أسمائهم وأماكنهم ووكالاتهم، وتتبّع سيرهم وسلوكهم، واتصالاتهم والاطّلاع على النقائص والحاجات والفراغات، وكتابة تقرير إجماليّ في وقت رتيب، أو عند طلب المرجع

٤ ـ لجنة الاتّصالات، وهي تسعى لإيجاد صلات مع المرجعيّة في المناطق التي لم تتّصل مع المركز، ويدخل في مسؤوليتها إحصاء المناطق ودراسة إمكانات الاتّصال بها، وإيجاد سفرة تفقّديّة إمّا على مستوى تمثيل المرجع، أو على مستوى آخر، وترشيح المناطق التي أصبحت مستعدّة لتقبّل العالِم، وتولّي متابعة السير بعد ذلك، ويدخل في صلاحيّتها الاتّصال في الحدود الصحيحة مع المفكّرين والعلماء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتزويدهم بالكتب، والاستفادة من المناسبات، كفرصة الحجّ.

٥ ـ لجنة رعاية العمل الإسلامي، والتعرّف على مصاديقه في العالم الإسلامي، وتكوين فكرة عن كلّ مصداق، وبذل النصح والمعونة عند الحاجة.

٦ ـ اللجنة الماليّة التي تعنى بتسجيل المال، وضبط موارده، وإيجاد وكلاء ماليّين، والسعي في تنمية الموارد الطبيعيّة لبيت المال، وتسديد المصارف اللازمة للجهاز، مع التسجيل والضبط.

ولاشكّ في أنّ بلوغ الجهاز إلى هذا المستوى من الاتّساع والتخصّص يتوقّف على تطوّر طويل الأمد، ومن الطبيعي أن يبدأ الجهاز محدوداً وبدون تخصّصات حدّية تبعاً لضيق نطاق المرجعيّة، وعدم وجود التدريب الكافي، والممارسة والتطبيق هو الذي يبلور القابليات مِن خلال العمل، ويساعد على التوسيع والتخصّص.

وثانياً: إيجاد امتداد أُفقي حقيقي للمرجعيّة يجعل منها محوراً قويّاً، تنصبّ فيه قوى كلّ ممثلي المرجعيّة والمنتسبين إليها في العالم؛ لأنّ المرجعيّة حينما تتبنّى أهدافاً كبيرة، وتمارس عملاً تغييرياً واعياً في الأُمّة لابدّ أن تستقطب أكبر قدر ممكن من النفوذ، لتستعين به في ذلك، وتفرض بالتدريج وبشكل وآخر السير في طريق تلك الأهداف على كلّ ممثّليها في العالم. وبالرغم من انتساب كلّ علماء الشيعة تقريباً إلى المرجع في الواقع المعاش يلاحظ بوضوح أنّه في أكثر الأحيان انتساب

نظري وشكلي ، لا يخلق المحور المطلوب، كما هو واضح .

وعلاج ذلك يتمّ عن طريق تطوير شكل الممارسة للعمل المرجعي ، فالمرجع تاريخيّاً يمارس عمله المرجعي كلّه ممارسة فرديّة ، ولهذا لا تشعر كلّ القوى المنتسبة إليه بالمشاركة الحقيقيّة معه في المسؤولية والتضامن الجاد معه في الموقف . وأمّا إذا مارس المرجع عمله من خلال مجلس يضمّ علماء الشيعة ، والقوى الممثّلة له دينيّاً ، وربط المرجع نفسه بهذا المجلس فسوف يكون العمل المرجعي موضوعيّاً ، وإن كانت المرجعيّة نفسها بوصفها نيابة عن الإمام قائمة بشخص المرجع ، غير أنّ هذه النيابة القائمة بشخصه لم تحدّد له أُسلوب الممارسة ، وإنّما يتحدّد هذا الأُسلوب في ضوء الأهداف ، والمصالح العامّة .

وبهذا الأُسلوب الموضوعي من الممارسة يصون المرجع عمله المرجعي من التأثّر بانفعالات شخصية ، ويعطي له بعداً وامتداداً واقعياً كبيراً ، إذ يشعر كلّ ممثلي المرجع بالتضامن والمشاركة في تحمّل مسؤوليّات العمل المرجعي ، وتنفيذ سياسة المرجعيّة الصالحة التي تقرّر من خلال ذلك المجلس . وسوف يضمّ هذا المجلس تلك اللجان التي يتكوّن منها الجهاز العملي للمرجعيّة ، وبهذا تلتقي النقطة السابقة مع هذه النقطة .

ولئن كان في أُسلوب الممارسة الفرديّة للعمل المرجعي بعض المزايا ، كسرعة التحرّك ، وضمان درجة أكبر من الضبط والحفظ ، وعدم تسرّب عناصر غير واضحة إلى مستوى التخطيط للعمل المرجعي ، فإنّ مزايا الأُسلوب الآخر أكبر وأهمّ .

ونحن نطلق على المرجعيّة ذات الأُسلوب الفردي في الممارسة اسم (المرجعيّة الذاتيّة) ، وعلى المرجعيّة ذات الأُسلوب المشترك ، أو الموضوعي في الممارسة اسم (المرجعيّة الموضوعيّة) .

وهكذا يظهر أنّ الفرق بين المرجعيّة الذاتيّة والمرجعيّة الموضوعيّة ليس في تعيين شخص المرجع الشرعي الواقعي ، فإنّ شخص المرجع دائماً هو نائب الإمام ،

ونائب الإمام هو المجتهد المطلق العادل الأعلم الخبير بمتطلّبات النيابة .

وهذا يعني أنّ المرجعيّة من حيث مركز النيابة للإمام ذاتيّة دائماً ، وإنّما الفرق بين المرجعيّتين في أُسلوب الممارسة .

وثالثاً : امتداداً زمنياً للمرجعيّة الصالحة لا تتّسع له حياة الفرد الواحد . فلابدّ من ضمان نسبي لتسلك المرجعيّة في الإنسان الصالح المؤمن بأهداف المرجعيّة الصالحة ، لئلا ينتكس العمل بانتقال المرجعيّة إلى من لا يؤمن بأهدافها الواعية . ولابدّ أيضاً من أن يُهيّئ المجال للمرجع الصالح الجديد ، ليبدأ ممارسة مسؤولياته من حيث انتهى المرجع العام السابق ، بدلاً عن أن يبدأ من الصفر ، ويتحمّل مشاق هذه البداية ، وما تتطلّبه من جهود جانبية . وبهذا يتاح للمرجعيّة الاحتفاظ بهذه الجهود للأهداف ، وممارسة ألوان من التخطيط الطويل المدى .

ويتمّ ذلك عن طريق شكل المرجعيّة الموضوعيّة ، إذ في إطار المرجعيّة الموضوعيّة لا يوجد المرجع فقط ، بل يوجد المرجع كذات ، ويوجد الموضوع وهو المجلس بما يضمّ من جهاز يمارس العمل المرجعي الرشيد ، وشخص المرجع هو العنصر الذي يموت ، وأمّا الموضوع فهو ثابت ، ويكون ضماناً نسبيّاً إلى درجة معقولة بترشيح المرجع الصالح في حالة خلوّ المركز ، وللمجلس والجهاز ـ بحكم ممارسته للعمل المرجعي ، ونفوذه ، وصلاته ، وثقة الأُمّة به ـ القدرة دائماً على إسناد مرشّحه ، وكسب ثقة الأُمّة إلى جانبه ، وهكذا تلتقي النقطتان السابقتان مع هذه النقطة في طريق الحلّ .

مراحل المرجعيّة الصالحة:

وللمرجعيّة الصالحة ثلاثة مراحل :

١ ـ مرحلة ما قبل التصدّي الرسمي للمرجعيّة المتمثّل بطبع رسالة عمليّة ، وتدخل في هذه المرحلة أيضاً فترة ما قبل المرجعيّة إطلاقاً .

٢ ـ مرحلة التصدّي بطبع الرسالة العمليّة.

٣ ـ مرحلة المرجعيّة العليا المسيطرة على الموقف الديني.

وأهداف المرجعيّة الصالحة ثابتة في المراحل الثلاث. وفي المرحلة الأُولى يتمّ إنجاز العمل المسبق الذي أشرنا إليه سابقاً وإلى ضرورته، لقيام المرجعيّة الصالحة.

وطبيعة هذه المرحلة تفرض أن تُمارس المرجعيّة ممارسة أقرب إلى الفرديّة بحكم كونها غير رسميّة، ومحدودة في قدرتها وكون الأفراد في بداية التطبيق والممارسة للعمل المرجعي، فالمرجعيّة في هذه المرحلة ذاتيّة، وإن كانت تضع في نفس الوقت بذور التطوير إلى شكل المرجعيّة الموضوعيّة عن طريق تكوين أجهزة استشارية محدودة، ونوع التخصّص في بعض الأعمال المرجعيّة.

وأمّا في المرحلة الثانية، فيبدأ عملياً تطوير الشكل الذاتي إلى الشكل الموضوعي، ولكن لا عن طريق الإعلان عن أُطروحة المرجعيّة الموضوعيّة بكاملها، ووضعها موضع التنفيذ في حدود المستجيبين؛ لأنّ هذا وإن كان يولّد زخماً تأييدياً في صفوف بعض الراشدين في التفكير، ولكنّه من ناحية يفصل المرجعيّة الصالحة عن عدد كبير من القوى والأشخاص غير المستعدّين للتجاوب في هذه المرحلة، ومن ناحية أُخرى يضطرّها إلى الاستعانة بما هو الميسور في تقديم صيغة المرجعيّة الموضوعيّة، وهذا الميسور لا يكفي كمّاً لملء حاجة المرجعيّة الموضوعيّة، بل الطريق الطبيعي في البدء بتحقيق المرجعيّة الموضوعيّة ممارسة المرجعيّة الصالحة لأهدافها، ورسالتها عن طريق لجان وتشكيلات متعدّدة، بقدر ما تفرضه بالتدريج حاجات العمل الموضوعيّة، وقدرات المرجعيّة البشريّة والاجتماعيّة، ويربط بالتدريج بين تلك اللجان والتشكيلات، ويوسّع منه حتّى تتمخّض في نهاية الشوط عن تنظيم كامل شامل للجهاز المرجعيّ.

ويتأثّر سير العمل في تطوير أُسلوب المرجعيّة وجعلها موضوعيّة بعدّة عوامل

في حياة الأُمّة فكريّة وسياسيّة، وبنوعيّة القوى المعاصرة في الحوزة للمرجعيّة الموضوعيّة، ومدى وجودها في الأُمّة، ومدى علاقتها طرداً أو عكساً مع أفكار المرجعيّة الصالحة. ولابدّ من أخذ كلّ هذه العوامل بعين الاعتبار، والتحفّظ من خلال مواصلة عملية التطوير المرجعي عن تعريض المرجعيّة ذاتها لانتكاسة تقضي عليها، إلّا إذا لوحظ وجود مكسب كبير في المحاولة، ولو باعتبارها تمهيداً لمحاولة أُخرى ناجحة يفوق الخسارة التي تترتّب على تفتّت المرجعيّة الصالحة التي تمارس تلك المحاولة».

كما أنّ السيد الشهيد أضاف بعض الملحقات والاقتراحات لمشروع المرجعيّة الموضوعيّة فيما بعد، وقد لخّصها سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري في كتابه (مباحث الأُصول)[1] بما يلي:

١ ـ اقتراح إنشاء حوزات علميّة فرعية في المناطق التي تساعد على ذلك ترفد بها الحوزة العلميّة الأُمّ.

٢ ـ اقتراح إيجاد علماء في الفقه والأُصول والمفاهيم الإسلاميّة في سائر أصناف الناس، فليكن لنا من ضمن الأطباء علماء، ومن ضمن المهندسين علماء، وما إلى ذلك من الأصناف، ولا يشترط في هؤلاء العلماء التخصّص والاجتهاد في الفقه والأُصول، ويكون كلّ من هؤلاء مصدر إشعاع في صنفه، يبث العلم والمعرفة، وفهم الأحكام الشرعيّة، والمفاهيم الإسلاميّة فيما بينهم.

٣ ـ ربط الجانب المالي للعلماء والوكلاء في الأطراف بالمرجعيّة الصالحة، فلا يعيش الوكيل على ما تدر المنطقة عليه من الحقوق الشرعيّة، بل يُسلّم الحقوق كاملة إلى المرجعيّة، وتموّله المرجعيّة ليس بالشكل المتعارف في بعض الأوساط من إعطاء نسبة مئويّة من تلك الأموال كالثلث، أو الربع، ممّا يجعل علاقة الوكيل بالمرجعيّة سنخ علاقة عامل المضاربة بصاحب رأس المال، بل بشكل تغطية

---

(١) الجزء الأوّل من القسم الثاني، ص ٩٩.

مصاريف الوكيل عن طريق عطائين من قبل المرجعيّة:

الأوّل: راتب شهري يكفل له قدراً معقولاً من حاجاته الضرورية.

الثاني: عطاء مرن وغير مُحدّد، يختلف من شهر إلى شهر، وقد لا يعطى في بعض الأشهر، وقد يضاعف أضعافاً مضاعفة في بعض الأشهر، ويكون المؤثّر في تقليل وتكثير هذا العطاء عدّة أُمور:

أحدها: احتياجاته بما هو إنسان، أو بما هو عالِم في المنطقة، فإنّها تختلف من شهر إلى شهر.

والثاني: مقدار ما يقدّمه للمرجعيّة من أموال وحقوق شرعيّة.

والثالث: مقدار ما يقدّمه للمنطقة من أتعاب وجهود.

والرابع: مقدار ما ينتج في تلك المنطقة من نصر للإسلام.

كما أنّ هذه الأُمور قد تؤثّر أيضاً في تحديد مقدار العطاء المتمثّل في الراتب المقطوع.

٤ ـ دعم المرجعيّة الصالحة لمكتب صالح ونظيف من بين المكاتب، وهي التي كانت تسمّى في النجف (البرّانيّات) بحيث يصبح ما يصدر من ذاك المكتب ممثّلاً في نظر الناس بدرجة خفيفة لرأي المرجعيّة.

وفائدة ذلك: أنّ المرجعيّة الصالحة قد تريد أن تنشر فكرة سياسيّة أو اجتماعيّة أو غير ذلك من دون أن تتبنّاها مباشرة لمصلحة في عدم التبنّي المباشر، أو تريد أن تفاوض السلطة في أمر من الأُمور بشكل غير مباشر، فذاك المكتب يتبنّى أمثال هذه الأُمور».

عقبات التصدي للمرجعية:

أمّا المشاكل والعقبات التي واجهها (رضوان اللّه عليه) بعد التصدّي، فلا تكاد تحصى، لكثرتها وتنوّعها، وبعضها مصدره السلطة، والآخر مصدره المجتمع الذي عاش فيه، وبعض الجهات في الحوزة

إنّ أهمّ معاناة كان يعيشها الشهيد الصدر ﷺ هي عدم قدرة الحوزة على استيعابه، وفقدان الفهم الكافي له في مجتمعه. فكان يشعر بغربة قاتلة في ظلّ تلك الأجواء التي جعلته بين الحين والآخر يتمنّى الموت. كان يقول حينما تتراكم عليه المشاكل الناشئة من هذا الوضع:

«لقد بلغت من العمر ما بلغه أبي وأخي، فلِمَ لا يعاجلني الموت ويُريحني».

وكان (رضوان اللّه عليه) صبوراً كتوماً، لا يشتكي، ولكن في بعض الأحيان كان الصبر يعيا أمام عِظم تلك المشاكل، فتصدر منه تلك الأنّات واللوعات، واللّه يعلم إلى أي مدى كان الهمُّ يتصاعد، فيضطرّ إلى الشكوى، بل أيّ مشاكل كانت تلك التي لا يطيقها ذلك القلب الكبير.

كان الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) يسعى لإحداث تغيير في كيان الحوزة والمرجعيّة من الأساس، بما يلبّي الحاجات الحاضرة والمستقبليّة، وبما ينسجم مع متطلّبات العصر والحياة، ويحقّق للمرجعيّة والحوزة الحماية الكاملة، والاستقرار الثابت.

وحتّى تأسيس حزب الدعوة الإسلاميّة الذي جعله البعض حربة لطعنه، أو تشويه سمعته بين أبناء الأمّة، ما كان إلّا من أجل حماية كيان الإسلام والأمّة الإسلاميّة، ومن الغريب أنّ البعض كان يسمح لأبنائه بالانتماء إلى حزب البعث الصليبي، ويحارب السيد الشهيد لتأسيسه حزب الدعوة الإسلاميّة. كان البعض ينتقد العلماء أثناء فترة الاحتلال الانجليزي للعراق فيقول: إنّهم حرّموا على أبنائنا دخول المدارس الانجليزية في العراق، ولم يفتحوا لهم مدارس إسلاميّة، واليوم أسّس لهم العلماء حزباً إسلامياً ليحصّنهم من الانتماء إلى حزب البعث، أو الحزب الشيوعي ومن الإلحاد عموماً فإذا بهم كالبنيان المرصوص ضدّه. ولو أنّهم وقفوا عند حدود معقولة، وناقشوا الأمر بروح موضوعيّة وتعقّلوا مدى صحّة هذا الأُسلوب أو

ذاك، لكان أمراً سائغاً ومنطقيا، أمّا أن يعتبروا ذلك انحرافاً، ويجعلوه حربة يحملونها بيد، وتحملها السلطة باليد الأخرى، فتسفك بها الدماء، وتهتك بها الأعراض، وتُستحل الحرمات، فهو أمر بمكان من الخطورة جعل قلب الشهيد الصدر يتفجّر دماً، وروحه تفيض حزناً وألماً.

إنّ الجهل الذي كان يملأ قلوبهم، أو قل الحقد الذي أعماهم وأضلّهم، كان يُخيِّل لهم أنّ المسألة محدودة بالشهيد الصدر فقط، ولن تتعداه إلى سواه، فإذا كان اتهامه بالحزب خير وسيلة للقضاء عليه فليكن هو الأسلوب المتّبع.

وكان ﵀ حينما تبلغه الاتّهامات والافتراءات التي توجّه إليه من قبل بعض الأطراف في الحوزة يقول: «إنّ السلطة ما استهدفتني من بين المراجع الآخرين إلّا بسبب ظروفي وأوضاعي الخاصّة، وإلّا فإنّ هدفها أكبر وأشمل، إنّها استهدفت الوجود العامّ كلّه، المرجعيّات كلّها، والحوزات كلّها بغضّ النظر عن فكرة الاتّهامات الحزبيّة، وما ذريعة الحزب إلّا أداة لتضليل الناس».

والغريب أنّ هؤلاء الذين كانوا يشكّلون جبهة متراصّة لحرب السيد الشهيد والقضاء عليه، والذين يعتبرون أنفسهم في طليعة المؤمنين الموالين لأهل البيت لم يرتدعوا حتّى بعد أن امتدّت يد العفالقة إلى شعائر الإمام الحسين ﵇، وقتل زوّاره وإبادتهم في كربلاء، وفي الطريق إليها في انتفاضة صفر البطوليّة، لقد سكتوا جميعاً ولم يتّخذوا إلّا موقف المتفرّج والدماء تسفك والأشلاء تُطحن في أقبية مديريات الأمن حقداً وانتقاماً على أهل البيت وأنصارهم، وهم في كلّ صباح ومساء يلعنون قَتَلَةَ الحسين ﵇، ومن شايعهم وتابعهم إلى قيام يوم الدين، فما أغرب هذه المفارقة وما أبشعها.

لقد عانى السيد الشهيد ﵀ الكثير ممّا يصعب سرده في هذه المذكّرات المبنيّة على الاختصار، إنّ هناك الكثير ممّا ينبغي أن يذكر ـ وسوف يذكر إن شاء اللّه في المستقبل ـ وهنا لا أريد إلّا أن أشير إلى واحدة من تلك المعاناة ـ وقس على ما

سواها ـ، ذلك أنّه لم يحدث أن يخضع مرجع من مراجع التقليد إلى محاسبة مرجع آخر على تصدّيه للمرجعيّة، وطبع رسالته العمليّة. إنّ هذا الأمر لا سابقة له في تاريخ المرجعيّات، وهو أمر يثير العجب.

وأتذكر أنّ أحد العلماء جاء إلى بيت السيد الشهيد، وكان يتكلّم بانفعال وعصبيّة ويحاسب السيد الشهيد على تصدّيه للمرجعيّة، وطبعه للفتاوى الواضحة، وقد سجّل ﵁ نتائج تلك المحادثات من خلال رسالة بعثها إلى أحد تلامذته، وهذا مقطع منها[1]:

---

(١) «عزيزي أبا جواد، في الفترة الأخيرة جاء إلى الزيارة السيد (........)، وهو شخص لنا علاقات ورفاقة طويلة الأمد معه، وقد اجتمع بي، ودارت أحاديث مفصّلة خلال خمسة مجالس في محاولة لتصفية العلاقات، وتوثيقها بين الجهة (اصطلاح يعني به مرجعيّته ﵁) ومرجعيّة السيد (.......) وكان بودّي أن تكون قربي لاتحدّث إليك بكلّ ما دار من حديث، كما تعوّدت في كلّ قضية، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه، وقد حدّثت الشيخ (......) بلباب الحديث كلّه، وكلّفته بأن ينقله إليك لكي تضع سياسة الجهة هناك من الناحية الآخنديّة والحوزويّة على أساسها، وتُلزم كلّ أبنائنا بذلك.
إنّ السيد (.......) كان يعترض ويقول: كيف تتصدّى للمرجعيّة في عهد السيد، وقد شرحت له كلّ الظروف، وكلّ سلبيات مرجعيّة السيد تجاهنا، والتي فرضت الاضطرار إلى موقف من هذا القبيل. وبعد أخذ وردّ طويلين قلت له: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد أن تذكر بأنّ مرجعيّتك طوليّة. قلت: نعم، أنا أتلزم بذلك. قالوا: نريد أن تؤكّد لمحبّيك أنّ طبع الرسالة للمقلّدين شيء، ومزاحمة المرجعيّة العليا وإيجاد التفاضل في الأعلميّة والتعديل عن التقليد شيء آخر. قلت: وهذا أيضاً إنّي أراه منذ البداية، والآن سوف أجدّد التأكيد على أصحابي في هذا المجال.
وعلى هذا الأساس أنا أريد يا عزيزي أن تفهّم كلّ إخوتك أنّي تعهّدت عنهم جميعاً بأن يلتزموا بما التزمت به، فلا يصدر من أحد منهم محاولة تعديل شخص من مقلّدي السيد ... عن تقليده، ولا يطرح اسمي بنحو يوجب الاستفزاز، مثلاً كان السيد (.......) ينقل: (أنّه حينما زار (.......) وكانت الجلسة عامرة فقال (......): إنّ السيد الصدر استغنى في المسألة الفلانيّة، وأفتى بكذا، وقال أحد رفقائه: نعم، والسيد (.......) يوافق السيد الصدر، إنّ مثل هذه الكلمات لا يمكن أن أتحمّلها) هذا كلام السيد (.......)، وأنتم ترون يا ولدي أنّ مثل هذا الكلام جانب الإثارة فيه أكبر بكثير من الجوانب الأُخرى.
إنّ الجهة يا أولادي وصلت بعناية الله (سبحانه) إلى مرحلة جيّدة وقد تعتبر نوعاً من الإعجاز مع أخذ كلّ الظروف والعوامل بعين الاعتبار، ولهذا فإنّها أحوج ما تكون الآن إلى حلّ التعقيدات بقدر الإمكان، وتمييع منابع الإثارة حتّى ولو لم يحصل أي توسّع عددي...». راجع وثيقة رقم (٩) ص ٣٤٢.

هذا نموذج واحد من نماذج كثيرة كان يواجهها ﵁ بسعة صدر وتحمّل كبير.

الحرب النفسيّة ضد السيد الشهيد:

لقد استغلت بعض الأطراف حالة العداء الدائمة بين السيد الشهيد والسلطة لعزله وتهديد مرجعيّته، وكانت هذه الأطراف في نشاطها وفعّاليتها أقوى من السلطة وأخطر منها، حتّى أنّ بعض الطلبة وبسبب الضغط النفسي الناشئ من تخويفهم وإرهابهم ترك حضور بحث السيد الشهيد ومجلسه العامّ. واستطاعت هذه الجهات تجاوز نطاق الحوزة إلى الأُمّة، فكانوا يلوّحون بمديريات الأمن لمن يحاول الاقتراب من السيد الشهيد.

وأتذكر أنّ رجلاً من المناطق الجنوبيّة في العراق جاء إلى النجف لزيارة أميرالمؤمنين ﵇، فحدّث السيد الشهيد ﵁ بما جرى له، فقال: كنت لا أعرف أين يقع منزلكم، وكانت رغبتي شديدة أن أزوركم وألتقي بكم، فوقفت في الصحن الشريف أنتظر من يدلّني، فمرّ بقربي أحد (المعمّمين)، فسألته عن منزلكم فقال لي: إنّ منزل السيد الصدر مطوّق من قبل سلطان الأمن، وسوف تعتقل حال وصولك. ثمّ سألت آخر وآخر، فكان الجواب واحداً، إلّا أنّ أحد الطلبة الشباب دلّني على منزلكم، وأخبرني بأنّ الأمور طبيعية، وقال لي: لا تخف، وأتى بي إلى هنا، وأنا الآن أرى الأُمور طبيعيّة، فلماذا يفعل هؤلاء هكذا. وكان في حيرة شديدة لا يعرف كيف يفسّر تلك الظاهرة!.

هذا النموذج يعبّر عن مئات، أو الآف النماذج المشابهة التي كانت تصلنا أخبارها بين الحين والآخر، وما خفي أكثر واكبر، وكانت السلطة تغذّي هذا الطرح وتدعمه، وتحاول إرهاب أكبر عدد من الناس من خلال الحملات النفسيّة المشابهة.

إعتمدت السلطة في حربها النفسيّة على أمرين:

الأوّل: الاعتقالات التي تعرض لها السيد الشهيد، وكذلك أنصاره وأعوانه من بين المراجع والمرجعيّات التي كانت قائمة أنذاك في النجف الأشرف، فكان يُشاع

بين الناس أنّ السلطة لم تكن لتعتقل الصدر لولا تورّطه بأمور خطيرة ، وإلّا فلماذا لا تعتقل المراجع الآخرين ؟

الثاني : مقاطعتها السيد الشهيد ﷺ وهو أمر في غاية الأهمية ، فكان يقال : إنّ السلطة لا تعترف بمرجعيّة الشهيد الصدر، وتعتبره عدوّها ، بدليل أنّ فلان عضو مجلس قيادة الثورة مثلاً زار المرجع الفلاني ، ولم يزر السيد الصدر، وهكذا.

وأفرزت الحملة النفسيّة بتفاصيلها الواسعة حالة من تطويق شديد للشهيد الصدر، فكان مجلسه اليومي محدوداً بعدد من الطلبة الشباب لا يتجاوزون عدد الأصابع . وكان بحثه كذلك وكانت صورة قاتمة ترتسم في الأذهان عن المستقبل إن استمر الوضع على هذا الشكل ، بل أستطيع أن أجزم بأنّ مرجعيّة السيد الشهيد كانت على وشك الانهيار التامّ ، أو لا أقلّ الانزواء الكامل ، حتّى أنّه ﷺ اضطرّ إلى ترك التدريس فترة من الزمن ، وكان على وشك أن يغلق باب داره .

وتصدّى الراشدون الأبرار من الطلبة للعمل من أجل الدفاع عن هذه المرجعيّة ، وحماية كيانها ، وانضمت إليهم الطلائع الواعية من المؤمنين في صفوف متحدّة متراصة وجهود متواصلة ، رغم الأخطار التي كان من المحتمل أن يتعرّضوا لها ، كان في طليعة هؤلاء سماحة العلاّمة حجة الإسلام الشيخ أديب حيدر (حفظه اللّه) فقد لعب دوراً كبيراً في مجال إحباط مخطط الحرب النفسيّة وتمكن السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) أن يشق الطريق بثبات وعزم ، فامتدّ إلى أعماق الأمة فاضطرت السلطة فيما بعد ـ رضوخاً لسياسة الأمر الواقع ـ الى الاعتراف بمرجعيته ، والتعامل معه تعامل الند للند ، وكانت الخطوة الأولى في هذا المجال زيارة زيد حيدر عضو ما يسمى بالقيادة القومية لحزب البعث .

زيارة زيد حيدر:

قبل زيارة زيد حيدر للسيد الشهيد ﷺ كان مستوى الشخصيات الحكوميّة التي تزوره منحصرة تقريباً بمدير أمن النجف ، أو القائم مقام ، وحتّى هؤلاء لم تكن

زياراتهم ودّية، بل كانت تتمّ ضمن مخطط وأهداف معيّنة، إلّا أنّ زيارة زيد حيدر قلبت الموازين، وشكّلت منعطفاً كبيراً في هذا المجال.

جاء زيد حيدر وهو لا يحمل مطلباً معيّناً ولا اقتراحاً خاصّاً، وقد ظلّ ساكتاً طيلة مدّة الزيارة مستمعاً فقط للسيد الشهيد وهو يتحدّث، وقد قال السيد الشهيد في جملة ما قال: جاء في الحديث «إذا رأيتم الحكّام على أبواب العلماء، فقولوا نِعم الحكّام ونعم العلماء، وإذا رأيتم العلماء على أبواب الحكّام، فقولوا بئس العلماء وبئس الحكّام» .. ثّم قال: إنّ العلماء هم المؤشر الحقيقي الذي يعكس بأمانة مطالب الشعب ورغباته، إنّ المواطن لا يتحرّج من البوح بما في نفسه أمام العالِم، بينما لا يفعل ذلك أمام الدولة، فإذا أردتم معرفة مطالب الشعب الحقيقية ورغباته المشروعية، فعليكم بمراجعة العلماء والاستفسار منهم.

ثمّ تحدّث عن دور العلماء في لبنان أثناء الاستعمار الفرنسي لها، ودورهم الكبير في تحريض الشعب على الاستقلال، ودور الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ﵀ في تلك الأحداث.

وطال الحديث، وكانت الزيارة في المجلس العامّ وبحضور عدد من الطلبة والعلماء.

لقد نُقل فيما بعد أنّ زيد حيدر اعترف أمام قيادته في بغداد بأنّ السيد الصدر مفكّر عربي من طراز فريد، وأنّه يستطيع تدوين قوانين دولة في مدّة يسيرة من الزمن.

وعلى كلّ حال فقد انتشر خبر زيارة زيد حيدر للسيد الشهيد، فكانت المفاجأة لتلك الأوساط التي استغلت حالة العداء بين السيد الشهيد والسلطة، وبدأ سوط الرعب الذي يحرّكونه متى أرادوا هزيلاً لا يقوى على إخافة أحد، فكثر تردّد الناس، وعادت الأُمور بالتدريج إلى حالتها الطبيعيّة.

زيارة حسن علي:

وحصلت حادثة اُخرى، مثيلة لسابقتها، وهي زيارة حسن علي عضو مجلس قيادة الثورة ووزير التجارة للسيد الشهيد (رضوان الله عليه)، وهي أيضاً لم تكن

متوقّعة وكانت في المجلس العامّ.

ولم يدر في تلك الجلسة ما يستحق الذكر، ولكن كان تأثيرها في كسر حاجز الخوف كبيراً.

بعد ذلك كثرت زيارة مختلف مراتب المسؤولين من حكوميين وحزبيين، وكانت كلّها تساهم في تحقيق تلك الحالة من حيث لا يشعرون، وقد أعماهم اللّه (عزّ وجلّ) وأصمّهم.

واستطاع السيد الشهيد أن يكسب الوقت، حتّى اضطرّت السلطة إلى التعامل معه تعامل الندّ للندّ. فمثلاً وبعد زيارة أعضاء القيادتين جاء فاضل البرّاك مدير الأمن العامّ مع مساعده مدير الشعبة الخامسة الخاصّة في تعذيب المؤمنين لزيارة السيد الشهيد، وكان متخفّياً، فكلّ السيارات التي كانت معه تحمل أرقاماً خليجيّة، ومعظم الأفراد الذين جاءوا لحمايته كانوا بزيّ خليجيّ، وكان يظهر الحبّ والمودّة حتّى أنّه قال للسيد الشهيد في المكالمة التلفونيّة من بغداد التي طلب فيها موعداً للزيارة: إنّه يريد أن يحضر مائدة عشاء مع السيد الشهيد وحصر هدف الزيارة بذلك ليظهر نوعاً من المودّة. وبعد أن التقى بالسيد الشهيد طلب اجتماعاً ثنائيّاً خاصّاً، واعتقدُ أنّ سبب ذلك كان خوف البرّاك من مساعده، فقد كان الصراع بين جماعة البكر وصدام على أشدّه، والبرّاك كان محسوباً في تلك الفترة على البكر. ولعلّ مساعده كان محسوباً على صدام. وعلى كلّ حال كانت خلاصة الاجتماع كما أخبرني السيد الشهيد ما يلي: «إنّ البرّاك أعطى للبكر انطباعاً حسناً عن السيد الشهيد، وإنّ البكر يكنّ بالغ الاحترام للسيد الصدر، وأمثال هذه العبائر.. ثمّ قال: أرى من صالحنا جميعاً أن نتّفق على أن لا نتدخّل في شؤونكم وأن لا تتدخّلوا في شؤوننا، ثمّ قال إنّني استطيع أن أهمل جميع التقارير التي تكتب عنكم وترفع إلينا من قبل مديرية أمن النجف وغيرها، إلاّ أنّني لا استطيع أن أفعل شيئاً للتقارير التي ترفع للقيادة مباشرة من قبل أشخاص في الحوزة نفسها، فأرجو أن لا يصدر منكم

شيء يسبب لي إحراجاً أمام القيادة » ، وذكر للسيد الشهيد أسماء بعضهم ، ونموذجاً من تقاريرهم ، ولم يفصح ﷺ عن أسمائهم إلّا في فترة الحجز . هذا أهمّ فقرات ذلك الاجتماع ، وهو يعبّر بوضوح عن الحقيقة التي ذكرتها آنفاً .

وعلى كلّ حال فقد استطاع (رضوان اللّه عليه) أن يكسب فرصة زمنيّة استمرت عدة سنوات مكّنته من القيام بأعمال ماكان يمكن أن تتمّ لولا ذلك ، أذكرها على سبيل الإجمال:

١ ـ إعادة بناء الحوزة.

من الأُمور التي كانت موضع اهتمام السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وضع الحوزة العلميّة الذي لم يكن يتناسب مع تطوّر الأوضاع في العراق ـ على الأقلّ ـ لا كماً ولا كيفاً .

فمن جانب كانت السلطة العفلقيّة قد أفرغت الحوزة من معظم الطاقات العلميّة عن طريق التسفير بالنسبة لطلبة العلوم الدينيّة من الإيرانيين وغيرهم ، ولم تسمح بالإقامة إلّا لعدد محدود من كبار السن ، والشيوخ من خلال قوائم تنتخب وتقدّم للسلطة من قبل أحد المراجع .

كما أنّ الملاحقات الأمنيّة كانت مستمرّة للطلبة العراقيين والعرب ، وبالنسبة للطلبة العراقيين كان أُسلوب الملاحقة والضغط يتمثّل تارة بدعوتهم إلى أداء الخدمة العسكريّة . وهذا إن تمّ فسوف يُفرّغ الحوزة من كلّ الطاقات الشابة ، ولن يبقى إلّا الشيوخ وكبار السن ، وتارة بتوجيه الاتهامات السياسيّة إليهم ، وما يتبعه من ملاحقة أمنيّة .

هذا الواقع أحدث عزوفاً عن الدراسة في الحوزة ، أو الانتماء إليها خاصّة وأنّ اللانظام هو النظام الذي يسودها ، فالطالب الجديد الذي يفكّر بالدراسة فيها سيجد كلّ شيء مجهولاً وغامضاً الحاضر والمستقبل ، وكلّ شيء .

ورغم أنّ عمليّة التغيير تحتاج إلى تكاتف كلّ الطاقات والإمكانات ، مع توفّر

الوعي والقناعة التامّين بضرورة وأهميّة التغيير، إلّا أنّ السيد الشهيد ﵀ كان يدرك أنّ الأوضاع السائدة وخاصّة أوضاع معظم المرجعيّات التي كانت قائمة، وكذلك أوساط كثيرة في الحوزة التي أَلِفت تلك الحياة القائمة على عدم النظام لا تستسيغ محاولات التغيير، أو الإصلاح، ولكن مع ذلك ما كان هذا ليحول دون إجراء كلّ ما هو ممكن وضروري.

كانت أهمّ قضية في تلك الفترة هي جذب الطاقات الشابّة المثقّفة الواعية وتطعيم الحوزة بها، وإثراؤها بالقوى البشرية الكفوءة والقادرة على أداء مهمّة التبليغ إلى اللّه ـ تعالى ـ على أحسن وجه.

وبما يلبّي حاجات العراق ـ على الأقلّ ـ من العلماء الرساليين المخلصين.

وبدأ (رضوان اللّه عليه) خطواته على هذا الصعيد بحثّ وكلائه على تشجيع الشباب الذين تتوفّر فيهم اللياقة والكفاءة، وخاصّة من الشباب الجامعيين على الانتساب إلى الحوزة وكان ﵀ قد تعهّدَ لهذا الصنف من الشباب بكفالتهم مادّيّاً كفالة تامّة، بل وباشر بنفسه هذه المهمّة فكان يحثّ بعض الشباب ويرغّبهم بذلك في مجلسه العامّ الذي كان يعقده قبل ظهر كلّ يوم.

وخلال فترة قصيرة انتسب إلى الحوزة الكثير من الشباب، وامتلأت بهم بعض المدارس وخاصّة مدرسة أميرالمؤمنين الواقعة في منطقة (الجُدَيدَة) والمدرسة الشبّريّة الواقعة في محلّة البراق. وفي الفترة الأخيرة اضطر إلى إصلاح مدرسة الجزائري التي كانت مهجورة لإسكان الطلبة فيها.

ولاجل تقديم خدمات إضافية إلى الطلبة وتوفير الوقت لهم وتهيئة الجوّ الدراسي المناسب قرّر (رضوان اللّه عليه) توفير وجبات الطعام للطلبة، وبدأ هذا المشروع بطلاب المدرسة الشبّريّة كخطوة أُولى، وكان من المقرّر أن تعمّم على باقي المدارس، كما أمر بتوفير أجهزة غسل الملابس الكهربائيّة للمدارس كخطوة أُخرى للغرض نفسه.

وبالإضافة إلى ذلك اهتمّ ﷺ بتهيئة الكادر الكفوء من الأساتذة، وأمر بعض تلامذته بتدريس أيّ مادّة علميّة حتّى لو كانت أقلّ بكثير من مستواهم العلمي، بل كان يهتمّ شخصيّاً بمراجعة بعض الطلبة له بخصوص تحصيل أساتذة لهم.

ورغم العمر القصير لهذا المشروع فقد بدأت ثماره تنمو بسرعة كبيرة، فلقد تمّ بناء لبنات الجيل الجديد من العلماء، وكان نِعمَ الجيل مباركاً طيّباً.

٢ ـ تغيير المناهج الدراسيّة.

والخطوة الأُخرى كانت تغيير المناهج الدراسيّة في الحوزة العلميّة، حيث كانت المناهج الدراسيّة فيها تشكّل عقبة كبيرة أمام تطوير الحوزة بالشكل الذي تتطلّبه الأوضاع وحاجات المجتمع، إذ لم تكن قادرة على بناء علماء أكفّاء في فترة زمنيّة معقولة، بل كانت تستوعب قدراً كبيراً من عمر الطالب، وبالتالي كان يؤثّر على مقدار عطاء الحوزة من العلماء، ولهذا السبب كانت معظم مدن العراق تعاني من فراغ خطير في هذا الجانب، في الوقت الذي كانت فيه السلطة البعثيّة قد استوعبت كافة مدن العراق وغطّت كافة قراه ونواحيه بالمنظمات الحزبيّة والثقافيّة، بل امتدّ نفوذها إلى معظم مساجد وحسينيات الشيعة، وسيطرت عليها.

وعلى كلّ حال كان هناك أكثر من سبب يدعو إلى إعادة بناء المنهج الدراسي الحوزوي، وصياغته صياغة حديثة تختصر الوقت مع الاحتفاظ بالمستوى العلمي والعمق والدقّة.

ومن هنا فكّر (رضوان اللّه عليه) بإعداد كتب دراسيّة تكفل للطالب تلك الخصائص، فكتب معظم مواد حلقات (دروس في علم الأُصول) في مدّة شهرين، كما ذكر هو ﷺ ذلك في مقدّمة الحلقة الأُولى، وبيّن في مقدّمة الكتاب أسباب تأليف الكتاب والضرورات التي دعت إلى كتابته.

وقد استطاعت حلقات (دروس في علم الأُصول) أن تحقّق هدفها في اختزال الوقت مع مراعاة جانب تلقّي المطالب العلميّة الذي يقتضي التدريج في الطرح

وبيان المسائل، مع احتفاظها بالمستوى العلمي الرفيع حيث تضمّنت أحدث النظريات العلميّة في علم الأُصول، ولا زالت تشق طريقها في الحوزات والمعاهد العلميّة الدينيّة. وكان أوّل طالب ـ على ما أذكر ـ درسٍ كتاب دروس في علم الأُصول هو الشهيد الشيخ محمّد البشيري نجل سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين البشيري (حفظه اللّه).

وكان السيد الشهيد قد أعدّ العدّة لكتابة (دروس في علم الفقه)[1] على نفس منهجيّة (دروس في علم الأُصول) من التدرّج في تعميق المادّة العلميّة من مرحلة الفتوى وحتّى مرحلة الاستدلال المعمّق، فقد وضع مخطط وهيكلية الكتاب إلّا أنّ يد الإجرام عاجلته قبل أن ينجز هذا المشروع العلمي الفريد.

وكان للسيد الشهيد ﷺ تصوّرات وأفكار تتعلّق بهذا الموضوع لا مجال لذكرها الآن.

٣ ـ إرسال الوكلاء.

وقرّر (رضوان اللّه عليه) استيعاب الساحة ببعث العلماء والوكلاء إلى مختلف مناطق العراق، وكان له منهج خاصّ وأُسلوب يختلف عمّا كان مألوفاً في طريقة الإرسال.

كان الأُسلوب السابق ـ باستثناء مرجعية الإمام الحكيم (قدّس سرّه) ـ ينحصر في أنّ المنطقة التي ترغب بطلب عالم يقيم فيها تتكفّل جميع نفقاته الماليّة والمعاشيّة، والمرجع يحدّد له نسبة معيّنة من الحقوق الشرعيّة بما يشبه المضاربة.

وهذا الأُسلوب تترتّب عليه سلبيّات كثيرة، منها أنّ بعض المناطق وبسبب أوضاعها الاقتصادية الضعيفة لا تتمكّن من تغطيّة نفقات العالم، فتعزف عن التقدّم

---

(١) أرسلنا أليكم ثلاثين دورة من الحلقات الثلاث في البريد، وإذا أمكن أن يطلب بعض أصحاب المكتبات كميّة من الكتاب من بيروت ابتداءاً فهو أسهل، ونحن هنا استوردنا ألف دورة، والإقبال على الشراء قياسي وكبير جداً، الأمر الذي جعلني أفكر ـ على الخط الطويل ـ في كتابة مشروع مماثل لما يدرس من الفقه في السطوح أيضاً» وثيقة رقم (١٠). ص ٣٤٤.

للمرجع بطلب عالم يقيم بينهم، وتكتفي فقط باستدعاء خطيب لمناسبة محرّم وشهر رمضان على أحسن الأحوال.

ومنها أنّ بعض ذوي الثروة يحاول السيطرة على العالِم، ويقيّده بسياسة خاصّة مستغلاً الضغط المالي في حال كفالته لعالِم المنطقة.

وكان من شأن هذا الأُسلوب أن يعطي صورة سلبية عن المبلّغ والعالِم، فيعتبر في نظر الناس متسوّلاً أو مسكيناً يستحق العطف والمساعدة، وليس قائداً للناس، وموجّهاً لهم.

أمّا السيد الشهيد فقد اتّخذ سياسة جديدة تحقّق الكثير من الإيجابيات، وتخلو من جميع السلبيات التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق، وكانت أركانها الاساسيّة ما يلي:

١ ـ حرص ﷺ على إرسال خيرة العلماء والفضلاء هدياً وأخلاقاً وتقوىً وإحاطة بما تتطلّبه الحياة والمجتمع، وتجنّب إرسال العناصر المتّسمة بالجفاف والانزواء، والتي لا تعرف مقتضيات العصر ومتطلباته.

٢ ـ تتكفّل المرجعيّة بتغطية كافة نفقات الوكيل المادّيّة، ومنها المعاش والسكن، سواء كان إرسال الوكيل بطلب من المنطقة، أو مباشرة من قبل المرجع.

٣ ـ الامتناع عن قبول الهدايا والهبات التي تقدّم للعالِم من قبل أهالي المنطقة.

٤ ـ العالِم وسيط بين المنطقة والمرجع في كلّ الأُمور، ومنها الأُمور الماليّة، وقد أُلغيت النسبة المئويّة التي تُخصّص للعالِم[1].

أمّا النتائج الإيجابيّة التي ترتّبت على هذه السياسة فكثيرة أذكر منها:

١ ـ تحرّكت المناطق التي كانت غير قادرة على تغطية نفقات العالم، فطلبت علماء للإقامة فيها، وأمكن بذلك ملء الفراغات الكبيرة، وخاصّة في مناطق المستضعفين، كما حصل في مدينة الثورة التي تعتبر من أهمّ مناطق بغداد على

(١) راجع ما كتبه السيد الشهيد بخصوص هذا الموضوع في ص ١٧٣.

الصعيد الشعبي والجماهيري ، وأدّى ذلك إلى ولادة تيار إسلامي أقلق سلطة البعث العميلة .

٢ ـ وانتجت هذه السياسة أيضاً رغبة قويّة بين الشباب المثقّفين للاتّجاه إلى الحوزة والدراسة فيها .

٣ ـ أثّرت هذه السياسة في تغيير الصورة السلبيّة الموروثة عن العالِم ، وأعطت عنه صورة إيجابيّة برّاقة . فمثلاً استطاع سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن عبدالساتر أن يحدث تأثيراً كبيراً في الكوت مركز محافظة واسط ، وصنع جيلاً من الشباب الواعين المؤمنين المثقّفين ، بل ويؤثّر حتّى على طبقة كبار السن من الشيوخ؛ لأنّ هؤلاء لم يعهدوا عالِماً يترفّع حتّى عن قبول الهدايا والهبات ، بل كان يتفقّد الفقراء والمعوزين ، وينفق عليهم .

ونموذج آخر هو المرحوم الشهيد الشيخ عبدالأمير محسن الساعدي الذي كان وكيلاً في إحدى مناطق محافظة ديالى ، فكان يشارك أهل المنطقة حتّى في زراعة حقولهم وجني الثمار من بساتينهم ، رغم إصرار أهل المنطقة على منعه من ذلك . ولمّا انهى موسم التبليغ ـ وكان شهر رمضان ـ وأراد مغادرة المنطقة إلى النجف قدّم له الأهالي مبلغاً قدره مائة وخمسون ديناراً كهدية ، فأبى قبولها ، وقال لهم : إنّ السيد الصدر يتحمّل كافة نفقاتي ، وإنّ وظيفتي التبليغ والإرشاد ، وليس جمع المال . وألحّ أهل المنطقة على دفع المال إليه ، فاضطرّ إلى أخذه ، ثمّ قدّمه كهدية إلى الحسينيّة ، ممّا أثار إعجابهم . فهذا العفاف والترفّع لم يكن معهوداً في السابق .

وكان لكلّ عالِم بعثه السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) أكثر من قصّة من هذا القبيل ، هزّت المشاعر ، وحرّكت القلوب ، وأعطت العالِم مكانة خاصّة في القلوب والنفوس .

وفي الوقت نفسه استطاع (رضوان اللّه عليه) أن يحجّم معظم أُولئك الذين استغلّوا فراغ المناطق من العلماء ، فنصّبوا أنفسهم علماء ، وتلبّسوا بزي علماء الدين ، وكان معظمهم يعمل لصالح السلطة ، ويسير في فلكها ، والغريب أنّ بعضهم

استطاع الحصول على وكالات من مراجع كبار ما كان يُحتمل أن يصدر منهم ذلك.

لقد وقف السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) بوجه هؤلاء وقفة حازمة، فحرّم الصلاة خلفهم، أو التجاوب معهم في أي نشاط ديني واجتماعي، وكان هذا الإجراء يُعتبر نوعاً من المواجهة مع السلطة، لأنّها هي التي نصّبت معظمهم.

وأتذكر أنّ أحد هؤلاء وكان يسكن مدينة الثورة أجبر المصلّين في أحد المساجد على تشكيل وفد برئاسته ليطلبوا له وكالة من السيد الشهيد ﷺ، فلمّا حضر الوفد طلب الشيخ من السيد الشهيد توكيله، وقال: هؤلاء أهل المنطقة يرغبون بذلك.

وهنا وجّه السيد الشهيد السؤال إليهم بقوله: هل ترغبون بتوكيل الشيخ؟ فقالوا: كلا، فغضب الشيخ غضباً شديداً؛ لأنّه يعلم أنّ عدم منحه وكالة من قبل السيد الشهيد يعني إنهاء وجوده الديني والاجتماعي وكان بعض أعضاء الوفد قد أخبر السيد الشهيد قبل ذلك بأنّ هذا (الشيخ) أجبرهم على تشكيل الوفد، ولم يتمكّنوا من الامتناع؛ لأنّه يعمل مع أجهزة الأمن. وتمكّن ﷺ من تطهير تلك المساجد من أمثال هؤلاء، وإبدالهم بالأكفّاء الصلحاء من خيرة شباب الحوزة العلميّة في النجف.

وممّا يجدر ذكره بهذا الصدد أنّ السيد شجّع الكثير من الشباب المثقّفين كالأطباء والمدرّسين وأمثالهم على دراسة ما يمكن من المناهج العلميّة التي تدرّس في الحوزة، وخاصّة الفقه والأُصول في إطار الاستفادة من هذه الطاقات لسد الفراغات الكبيرة التي تعاني منها المساجد والحسينيّات، وحتّى المراكز العلميّة والتربويّة التي يعملون فيها كموظفين وإداريين. وكان يقول: سأضمن لمن يرغب من هؤلاء بالتفرّغ للدراسة في الحوزة نفس المستوى المعاشي الذي كان يحصل عليه من وظيفته الحكوميّة إن لم يكن أفضل. وكان ﷺ يتوخّى من ذلك الإسراع في تربية علماء يملكون ثقافة عصريّة إلى جانب ثقافتهم الدينيّة، وكذلك الارتفاع بالمستوى الاجتماعي للحوزة بتطعيمها بعناصر لهم مكانة في المجتمع، كالأطباء والأساتذة

وغيرهم. وكان أيضاً ينوي توكيل بعض الأشخاص ـ من غير طلبة الحوزة ـ ممّن تتوفّر فيهم مواصفات معيّنة ليمارسوا دور العالِم كلٌ في منطقته أو دائرة عمله، وقد طبّق ذلك في دائرة محدودة[1].

وعلى كلّ حال كان للسيد الشهيد ﷺ من الطموح ما هو أكبر وأشمل ممّا ذكرنا بشأن تطوير الحوزة والمرجعيّة والعمل الإسلامي، رغم أنّ ما حقّق كان يعتبر قفزة نوعية قياساً إلى قدراته الماليّة الضعيفة، والوضع السياسي الصعب وأجواء الحوزة المعتمة، والفترة الزمنيّة المحدودة التي أُتيحت له في إطار العمل المرجعي.

الصراع الدائر بين السيد الشهيد والسلطة:

منذ الأيام الأُولى لوصول حزب البعث العميل إلى السلطة عام (١٩٦٨ م) أدرك السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) خطورة هذا النظام، وما يحمل من أفكار

---

(١) بسم اللّه الرحمن الرحيم

سماحة آية اللّه العظمى المرجع الديني السيد محمّد باقر الصدر (دام ظله).

س: ما هو الأسلوب الذي يجب أن يمارسه الشباب الجامعي أو الموظف الإداري لنشر تعاليم الدين الحنيف وبثّ مفاهيم الإسلام، وما هي المتطلّبات التي ينبغي للمسلم المعاصر أن يتوفّر عليها في طريق الدعوة إلى الإسلام؟

١٩ صفر ١٣٩٤

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ج: لابدّ له إضافة إلى تجسيد الرسالة الإسلامية في سلوكه وأخلاقه وعلاقاته أن يستعمل في العمل لأجل رسالته لغة العصر ومنهاج الفكر الحديث، ويصبّ المحتوى الإسلامي في إطار هذه اللغة والمنهج مقارناً بأفكار العصر ومعطيات الحضارة السائدة ويقوم في نفس الوقت بدور الوسيط بين الجامع الرشيد الذي يحمل رسالة الإسلام والوسط الذي يعيش فيه لأنّ كثيراً من الأوساط لا صلة فعليّة لها بالجوامع فلابدّ من همزات وصل تحمل الإشعاع وتمارس عمل إمام الجامع الرشيد في قطعاتها المختلفة وتعيد إلى الناس الأمل في قدرة دينهم على تلبية حاجاتهم ومسايرة طموحهم المشروع وحلّ مشاكلهم بالطريقة الفضلى.

محمّد باقر الصدر

راجع وثيقة رقم (١١)، ص ٣٤٥.

هدّامة ، ومخططات إجراميّة ضدّ الإسلام ، والمراكز والقوى الإسلاميّة .

كان من الطبيعي في بادئ الأمر أن ترفع السلطة شعارات برّاقة عن الحرية ، والعدالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة بهدف تضليل الجماهير ، والتمويه عليهم . ولكن لم يمضِ وقت طويل حتّى كشف النظام عن وجهه البشع ، وصورته الحقيقيّة ، وهويّته الإلحاديّة ، وتوجّهاته الحاقدة والمعادية للدين من خلال ممارساته وأعماله التي فاقت في الإجرام والوحشيّة كلّ تصوّر .

جاء هذا الحزب العميل ليسخّر ثروات العراق وأمواله وما فيه من طاقات وإمكانات للقضاء على الإسلام واجتثاثه من قلوب العراقيين وأرواحهم ، واستبداله بعقيدة ميشيل عفلق ، والعيسمي ، وأمثالهم من الماسونيين وعَبَدة الصليب ، فحارب الإسلام بضراوة بالغة ، وقتّل العلماء والصلحاء من أبناء العراق دون رحمة ، فتضرّجت أرض العراق بدماء أبنائها وشبابها بما لا نظير له في التاريخ .

كانت الخطوة الأُولى التي كشفت حقيقة هذا النظام هي توجيه تهمة الجاسوسيّة للشهيد السعيد السيد مهدي الحكيم ﷺ ، وكان المُستهدف الحقيقي بذلك هو الإمام الحكيم ﷺ مرجع الشيعة العامّ ، وبالتالي المرجعيّة العامّة نفسها ، والتي كانت حربة في قلوب العفالقة ، وشوكة في عيونهم .

ثم اعقبتها الخطوة الثانية التي تمثلت باعدام الشهيد عبدالصاحب دخيل ﷺ بتهمة الانتماء إلى حزب الدعوة الإسلامية .

وتلا ذلك حملات التهجير والتسفير للطلبة وأبناء الشعب ، بذريعة أنّ هؤلاء من أصل إيراني . وكان الهدف الحقيقي هو إفراغ الحوزة العلميّة في النجف وغيرها من الكوادر العلميّة تمهيداً للقضاء عليها ، وكذلك الإخلال بالنسبة المئويّة للشيعة في العراق .

واستمرّ مسلسل الإجرام في حلقاته المُعدّة والمدروسة دون انقطاع ، فكان له في كلّ يوم ضحية ، وله في كلّ ساعة قرباناً من خيرة أبناء العراق يفترسه بأنياب

صليبية حاقدة.

وركّز النظام في حملاته على قمع مراكز القوّة في الحوزة العلميّة، ومواطن الوعي فيها، وكان الشهيد الصدر ﷺ يمثّل تلك القوّة وذلك الوعي، فكان هدفاً لتلك الحملات الشرسة والضربات القاسية في وقت قلّ فيه الناصر والمُعين.

وأصبح الشهيد الصدر، المرجع النموذجي في تاريخ المرجعيّات والمراجع الذي يتعرض لأبشع أنواع الظلم وألوان الاضطهاد بعد أن تظافرت على اضطهاده كلّ القوى، فتعرّض للاعتقال والتعذيب، ثم نال الاستشهاد مع أُخته المظلومة بنت الهدى، وهي حالة لا مثيل لها في تاريخ المرجعيات.

جهاد السيد الشهيد للإطاحة بصدام

لقد أثبتت سلطة البعث من خلال ممارساتها أنّها عدوّة الإسلام العنيد، وأنّ هدفها هو إبعاد الدين عن حياة العراقيين، حتّى في أبسط مظاهره وأشكاله، وكلّنا نعلم أنّ العلمانيّة شعار حزب البعث وروحه التي يحيا بها، وهل نتوقّع من حزب أسّسه ونمّاه ميشيل عفلق عابد الصليب والناقوس أن يفعل غير ذلك.

لقد تجرّأت سلطة البعث على ما لم يجرأ عليه حاكم أو حكومة، فمنعت الآذان الذي هو شعار الإسلام من الإذاعة[1]، وجعلت المساجد والحسيّنيّات والمحافل الدينيّة هدفاً لسهامها وحملاتها الوحشيّة، وجعلت المؤمنين الطاهرين خِيرة أبناء العراق ضحايا تقتطف رؤوسهم كلّما شاءت دون رحمة أو شفقة، وخصّصت لهم قسماً كبيراً من مديريّات الأمن باسم (الشعبة الخامسة) لمكافحة الرجعيّة، ولا زالت دماء عشرات الآلاف منهم تصبغ جدرانها، وهي السند الحي الذي يشهد لهم بالفداء ولأعدائهم باللؤم والخباثة.

ولا أُريد هنا أن أُسجّل كلّ تلك الجرائم، أو المواقف التي عبّرت عن حقد

---

(١) وقد أعادته فيما بعد امتصاصاً لنقمة الجماهير.

أسود، وعداء شديد للإسلام وللمؤمنين به، إنّ كلّ العراقيين يعرفون ذلك، وحتّى أطفالنا يعرفون أنّ البعث ضدّ الإسلام.

ولكن هل من طريق للخلاص؟

لم تكن القوى المعارضة للسلطة بالمستوى القادر على مواجهتها ومقارعتها وجهاً لوجه، فالحركات الوطنيّة ـ كما يسمّونها ـ قد فقدت كلّ قوّة، والأحزاب الإسلاميّة كانت ولا تزال تحبو وهي مع ذلك نالت من الاضطهاد والعنف ما لم تنله الأحزاب الأُخرى غير الإسلامية وهي في أوج قوّتها وعنفوان شبابها.

والمرجعيّة بشكل عامّ ـ إذا استثنينا مرجعية الإمام السيد محسن الحكيم ﵀ التي كانت واعية لدورها ومسؤوليتها ـ كانت تعيش هموماً أُخرى بعيدة عن هذا الخطر، بل اعتقد أنّ أحداً لم يصل بتفكيره إلى هذا المستوى، وإلى هذا اللون من التطلّع، بينما كان اخطبوط البعث يمتدّ إلى كلّ ميدان ومرفق، إلى كلّ قرية وناحية ومدينة ومحافظة، بل وتجاوز العراق إلى أقطار أُخرى كاليمن والسودان والأردنّ وغيرها من الدول.

وكنا نرى مواكب الفتوّة والطلائع والرفاق تمرّ من قرب حرم أميرالمؤمنين علي ﵇ تنشد ألحان الصليب وشعاراته، متحدّية عليّاً في مضجعه، وكانت أناشيد الإشادة بالبعث التي تبثّ من مكبّرات الصوت تختلط مع الآذان.

وكنا نرى الفلّاح رفيقاً، والعامل رفيقاً، والطالب رفيقاً، ونرى السكارى والفاسقين ومن أفنوا عمرهم في الرذيلة يُسمّون بالمناضلين، والكلّ يكفر باللّه جهرة، ويتبرّأ من كلّ القيم الخيّرة عن علم أو جهل.

وكان الأخيار والعلماء يُضرّجون الأرض بدمائهم في زنزانات البعث، وسجونه، ولا من مُنكر ولا من رادع.

كان كلّ شيء يسير إلى الهاوية في ظلّ خطّة مدروسة ودقيقة، ينفّذها حزب البعث في العراق، وكان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) يراقب تلك الأوضاع

بدقّة، وكان قلقاً إلى حدّ كبير وهو يواكب المسيرة التائهة في دياجير الظلام. ورغم أنّ إمكاناته المادّيّة لا تتيح له الكثير من الفرص، ورغم أنّ كيانه المرجعي ووضعه الاجتماعي كان محدوداً قياساً بالآخرين لا يمكّنه من العمل إلّا في حدود ضيّقة، ومع ذلك فقد خطى عدّة خطوات باتّجاه إسقاط النظام، واقتلاع جذوره في العراق.

وتحرّك (رضوان اللّه عليه) باتّجاهين:

الاتّجاه الأوّل: كان نحو تفتيت حزب البعث في المجتمع العراقي واعتباره وجوداً غير مشروع.

الاتّجاه الثاني: كان لإسقاط النظام، أو على أقلّ تقدير اجتثاث الرأس الذي يقف وراء كلّ تلك المخططات الإجراميّة التي استهدفت الإسلام والمسلمين.

وكان تشخيص السيد الشهيد ﷺ أنّ صدّاماً التكريتي هو الرأس المدبّر للنظام، وكان هذا التشخيص في وقت مبكّر جدّاً، وقبل استلام صدّام لكافة السلطات، وقد سمعته كراراً يردّد هذا التشخيص، ويقول:

«ما دام هذا الشخص في الحكم لا يمكننا عمل شيء، بل إذا سكتنا عنه فسوف يُحطّم ويهدّم الكيان الإسلامي في العراق».

وعلى هذا الضوء بادر السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) إلى القيام بعدّة أعمال، أذكر منها التالي:

١ ـ على أساس الاتّجاه الأوّل، وهو تفتيت حزب البعث واعتباره وجوداً غير مشروع أصدر (رضوان اللّه عليه) فتواه بتحريم الانتماء إلى حزب البعث.

لم يكن هذا الموقف تحدّياً للسلطة فرضته طبيعة الصراع، كما لم يكن السيد الشهيد ﷺ بوجوده المرجعي والاجتماعي بمستوى هذه الصراحة الخطيرة والمواجهة المباشرة مع السلطة العاتية المجرمة، بل كان ﷺ يقدّر العواقب الكبيرة والاخطار الهائلة التي تترتّب على هذا الموقف، وهو يعلم أنّه يعيش في الحوزة التي لم تكن مستعدّة لمساندته والدفاع عنه، باستثناء شرائح قليلة منها لا تدفع عنه

ضيماً، وهو يعلم أنّ امكاناته ليست بمستوى هذه المواجهة الخطيرة، كما أنّ السلطة من حيث القوّة والإمكانات قادرة على كسب الصراع بسهولة، ومع ذلك قرّر السيد الشهيد أن يتّخذ هذا الموقف وبوضوح تامّ.

وكان لهذا الموقف ما يبرّره، فقد وجد (رضوان اللّه عليه) أنّ المكاسب أكبر من الخسائر بالنسبة لمجمل الوجود الإسلامي في العراق على المدى البعيد، وبدون اتّخاذ هذا الموقف ستكون النتيجة معكوسة. وكان يقول:

«يجب أن نفرّق بين براءة ذمّة المكلّف المكره على الانتماء لحزب البعث أمام اللّه، وبين النتيجة العمليّة التي تترتّب على ذلك والآثار الخطيرة التي ستنتج على صعيد الواقع. فعلى الثاني لو أنّ المؤمنين وغيرهم أيضاً أُكرهوا على الانتماء لحزب البعث بسبب الضغط الوظيفي أو الدراسي أو غير ذلك، فإنّه وبمرور الزمن ستنشأ الأجيال، فتجد أنّ الانتماء لحزب البعث أمر طبيعي لا يُتحرج منه من الناحية الدينية».

وكان يقول:

«إنّني أعلم أنّ هذه الفتوى سوف لن تؤثّر في الوقت الحاضر التأثير المرجوّ منها؛ وذلك لأنّ السلطة طوّقت حياة المواطن العراقي في كلّ مناحيها، وخاصّة الاقتصاديّة بالانتماء لحزب البعث، وسواء أفتنيا بحرمة الانتماء أم لا فإنّه على كلّ حال سينتمي للحزب، ولكن فرق بين أن ينتمي وهو يعلم أنّ هذا العمل محرّم شرعاً، وبين أن ينتمي وهو يرى أنّ الانتماء أمر طبيعي لا حرج فيه من الناحية الشرعيّة، إنّ هذا الأمر في غاية الأهميّة، ويجب أن نأخذه بنظر الاعتبار».

ورغم أنّ انتشار الفتوى كان محدوداً، فإنّ عدداً كبيراً من المؤمنين ممّن كانوا قد انتموا لحزب البعث مكرهين أو مضطرين راجعوا السيد الشهيد ﷺ إمّا للتعرّف على الموقف العملي بعد أن علموا بحرمة الانتماء، أو لبيان المبرّرات التي تجعل

من غير الممكن خروجهم من الحزب، فكان جوابه (رضوان اللّه عليه):

«إنّ من يتمكّن من توفير مستلزمات حياته المعاشيّة عن طريق التجارة والعمل، فيجب عليه ذلك».

وكان يُجيب أُولئك الذين لا تسمح لهم الظروف بالخروج من الحزب بأنّه **«يجب عليكم العمل من داخل الحزب لتفتيته بأيّ شكل ترونه مناسباً...».**

ومن الطبيعي أن يتسرّب خبر الفتوى إلى السلطة، فبعثت جواسيسها لتسجيل الفتوى من لسان السيد الشهيد لادانته بها فيما بعد، ولم يكن (رضوان اللّه عليه) حذراً من ذلك، وأتذكّر أنّ أحد العلماء طلب من السيد الشهيد أن يحتاط في الجواب، ويقتصر على الأشخاص الموثوقين تماماً. وكان جواب السيد الشهيد ﷺ:

«لا ضير من ذلك، فأنا أُريد أن يعلم الجميع أنّ الانتماء لحزب البعث حرام، ولتعلم السلطة بموقف المرجعيّة الرافض لحزبها وعقائدها».

ومن المؤكّد أنّ المردود الإيجابي لهذه الفتوى كان كبيراً، بل أقلق السلطة وهي في أكمل مراحل قوّتها، ولم تتمكّن من اتّخاذ ردّ الفعل المناسب الذي كنّا نتوقعه في ذلك الوقت.

والحقيقة أنّ هذا الموقف المشهود يعتبر من أشجع وأنبل المواقف للسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) قياساً إلى الأوضاع السياسيّة والأمنيّة في العراق، فمن عاصر تلك الفترة السوداء وشاهد نظام البعث يقتّل حتّى الأطفال والنساء والشيوخ لمجرد الظن والتهمة، لا لجريمة اقترفوها أو ذنب ارتكبوه يدرك أيّة شجاعة كان يتمتع بها شهيدنا العظيم، وأيّة غيرة على الإسلام يحملها ذلك القلب الكبير.

٢ ـ كانت الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة في فترة ما من تاريخ العراق قد فرضت على العلماء والفقهاء أن يتّخذوا موقفاً سلبياً من مسألة الدخول في الجيش

العراقي ، فأفتوا بالحرمة على أساس أنّه عمل معَ الظالمين ، أو إعانة لهم في ظلمهم . وكان من الطبيعي أن يتجنّب الأخيار الدخول في الجيش متطوّعين . أمّا من لم يكن مهتمّاً بالتديّن والالتزام ، فإنّه وجد في الانضمام إلى الجيش فرصة مناسبة للعيش ، خاصّة وأنّ الأوضاع الاقتصاديّة كانت في تلك الفترة رديئة للغاية .

ولمّا ولدت التيارات القوميّة والحزبيّة وجدت في الجيش والقوّات المسلّحة مرتعاً خصباً للعمل ، فحزّب كلّ حزب ما يستطيع منه ، وبمرور الزمن أصبح الجيش العراقي اليد الضاربة للأحزاب العلمانيّة والتيّارات القوميّة .

أمّا الإسلام فقد خسر أبناءه ، بل أصبحوا ضدّه ، وصار هذا الجيش حربة يطعن بها الإسلام والقيم الربّانيّة ، وتسفك بيده دماء خيرة أبناء العراق .

كان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وهو يُعدّ لمرحلة المواجهة الشاملة يعرف خطورة هذا الفراغ ، وضرورة معالجته ، وكان في المرحلة الأُولى يفكّر بالمراكز الحسّاسة في الجيش ، ومصادر القرار فيه ، وعلى هذا الأساس سمح لنخبة منتخبة من الشباب بالانتماء إلى الجيش والقوّات المسلّحة على أمل أن يكونوا النواة الطيّبة للسيطرة العمليّة على الجيش وتسخيره لخدمة الإسلام .

وأمكن خلال فترة وجيزة الوصول إلى بعض قواعد القوّة الجويّة ، أو المراكز الحسّاسة في الجيش ، حتّى أنّ أحد الطيّارين الذي كان يُستدعى في بعض الأحيان لمرافقة طيّارة نائب رئيس الجمهوريّة قد تعهّد للسيد الشهيد بضرب طيّارة صدّام وإسقاطها في الوقت المناسب ، وكان ﷺ مهتمّاً بهذا التعهّد .

ولأهمّيّة الجيش العراقي ودوره الخاصّ والكبير اهتمّت السلطة العميلة في السيطرة عليه سيطرة تامّة ، وحرّمت على كلّ عراقي لا ينتمي لحزب البعث الدخول فيه ، وأخذت من كلّ عسكري تعهّداً خطيّاً يقضي بإعدامه في حال انتمائه لحزب آخر غير حزب البعث ، وشدّدت من قبضتها عليه بكلّ وسيلة إيماناً منها بخطورة وأهمّيّة هذه الطاقة الكبيرة .

وفي مجال التجربة الإسلامية لاحظنا دور القوّة الجويّة الإيرانيّة في انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، وهزيمة الشاه، وكيف استطاع الإمام الخميني ﷺ أن يحقّق بمساهمتها نصراً كبيراً وسريعاً كان من الصعب تحقيقه بدونهم في فترة زمنيّة قياسيّة.

٣ ـ قام (رضوان اللّه عليه) بتشكيل خلايا فدائيّة ترتبط به بصورة غير مباشرة، مهمّتها اغتيال الطاغية المجرم صدّام التكريتي، وكان المباشر لهذا العمل المرحوم الشيخ عبدالأمير محسن الساعدي، والمرحوم الشيخ جليل مال اللّه، والمرحوم الشيخ قاسم ضيف، وبعض الإخوة الأعزاء ممّن لم نذكرهم، وهؤلاء يقومون باختيار الشباب المُضحّين الانتحاريين، وتوزيعهم على المناطق التي يتردّد عليها الطاغية، متربّصين به الفرصة المناسبة على أساس خطّة موضوعة.

٤ ـ تمكّن ﷺ في الفترة الأخيرة من حياته من إرسال أحد الأطباء لينضمّ إلى الكادر الطبّي الخاصّ برئاسة الجمهوريّة، لينفذّ نفس المهمّة السابقة، إلّا أنّه اكتُشف خلال فترة إعداده لتنفيذ المهمّة وتمّ إعدامه، وهربت عائلته إلى دولة مجاورة للعراق، ولم يعترف على السيد الشهيد، ولا على الرابط بينهما رغم التعذيب الشديد، رحمه اللّه وأسكنه فسيح جنانه.

٥ ـ كان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) على اطّلاع كامل بمحاولة عدنان حسين عضو مجلس قيادة الثورة للإطاحة بنظام صدّام التكريتي. ولم أكن مطّلعاً على هذه القضية إلّا بعد أن كشفها ﷺ في فترة الحجز، وبعد أن أحسّ أنّ وقت استشهاده قد اقترب، وقصّة ذلك كما يلي:

كان السيد الشهيد ﷺ يتّصل بمنزلي هاتفياً في بعض الأيام، بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر، ويطلب حضوري لقياس ضغط الدم، وكنت قد تعلّمت ذلك من بعض الأطباء، فأحضر ثمّ أقيس الضغط فيأمرني بالبقاء في بيته، ويقول لي: إذا جاء من يطلب مقابلتي فأخبرني.

وبعد برهة من الزمن يأتي رجل لا أجد فيه ما يدلّ على تديّنه، فهو حليق اللحية، متختّم بالذهب، يطلب لقاء السيد الشهيد، فكنت وحسب أمر السيد أبرز له الاستعداد والترحيب، فإذا اجتمع به يطلب منّي ﷺ أن لا أسمح لأحد بالصعود إلى غرفة المكتبة، وأن لا أترك البيت حتّى ينتهي الاجتماع، ولم يكن السرّ في هذا الأمر مفهوماً لي.

وفي فترة الحجز حينما سمعنا بفشل محاولة عدنان حسين للإطاحة بصدّام، رأيت السيد الشهيد ﷺ يتأسّف، فأردت أن أقول له: إنّ الأمر لا يعنينا، بل هو في مصلحتنا ونفعنا فقلت (نارهم تأكل حطبهم) فنظر إليّ نظرة طويلة، ولم يجب بشيء.

وفي الأيام الأخيرة من الحجز عندما أحسّ بقرب أجله قال لي: أتذكر ذلك الشخص بتلك الأوصاف؟

قلت: نعم.

قال: له قصّة أُخبرك بها لتكون ضمن ما سوف تكتبه عنّي. إنّ هذا الشخص كان مبعوثاً من قبل عدنان حسين لمهمّة خاصّة، فقد أخبرني بأنّه ينوي الإطاحة بصدّام حسين، وطلب منّي أن أُعطيه وعداً بتأييد الثورة مشروطاً بشروط أنا أضعها، وكان منفتحاً ومتجاوباً إلى أقصى الحدود. قال: شككت في بادئ الأمر بذلك، وتصوّرت أنّ هذه المحاولة من محاولات السلطة للحصول على مستمسك ضدّي، ولكنّه قدّم لي من الأدلّة ما بدّد تلك الشكوك، فقلت له: إنّ موقفي بالتأييد حسب الشروط - وكان السيد الشهيد قد بيّن لي تلك الشروط - يتوقّف على مدى التزام عدنان حسين بها بعد أن يستلم الحكم، أمّا قبل ذلك فلا أقف موقفاً معارضاً أو سلبيّاً حتّى تتبيّن الأُمور.

وقد قال لي (رضوان اللّه عليه): كان هدفي الأساسي هو إسقاط نظام صدّام التكريتي؛ لأنّ صدّاماً هو الرجل الذي يشكّل خطورة حقيقيّة على الإسلام في

العراق، كما أنّ عدنان حسين لا يكون أسوأ من صدّام التكريتي على أسوأ التقادير في حال استلامه للحكم[1].

وممّا يجب أن أشير إليه هنا أنّ السيد الشهيد ﷺ كان يُعدّ لمواجهة مكشوفة مع النظام متى ما توفّرت الإمكانات، أو اقتضت مصلحة الإسلام ذلك، وكانت فكرة التفسير الموضوعي داخلة في هذا النطاق؛ وذلك لأنه ﷺ كان يعتقد أنّ المرجعيّة تفتقد الكثير من وسائل وأساليب الصلة بالأُمّة، ولا توجد للناس صلة بالمرجع إلّا من خلال قنوات ضعيفة كصلاة الجماعة، أو الجلسة العامّة اليوميّة، وهي قنوات غير فعّالة ولا مؤثّرة، ولا يستطيع المرجع من خلالها أن يبيّن مواقفه للأُمّة، ومن هنا وجد (رضوان اللّه عليه) أنّ فكرة التفسير الموضوعي للقرآن تحقّق هدفين في وقت واحد، الأوّل: كتابة تفسير موضوعي للقرآن على طراز جديد وفريد، والثاني: إيجاد منبر للمرجع يتمكّن من خلاله بيان وجهات نظره للأُمّة كلّما دعت الحاجة.

وعلى هذا الأساس كان الحضور مفتوحاً لكلّ الطلبة الذين يمكنهم استيعاب المادّة التفسيريّة من دون التقيّد بكونه بمستوى بحث الخارج. وكان تصميمه على فسح المجال لحضور كلّ أبناء الأُمّة على اختلاف مستوياتهم في مرحلة لاحقة، وبعد أن يصبح مجلس التفسير واقعاً لا تتمكّن السلطة من منعه.

ولأهمّيّة هذا المجلس اقتطع ﷺ وقتاً له من بحث خارج الفقه، وهو أمر يدلّ على مدى اهتمامه بهذه الفكرة، كما شجّع (رضوان اللّه عليه) على فكرة تسجيل البحث وتوزيعه من خلال أشرطة الكاسيت؛ ليتاح لمن لا يستطيع حضور الدرس

---

(١) وأعتقد أنّ عدنان حسين تيقّظ بعد أن عاش في عمق التجربة الطائفيّة لنظام التكارتة وسياستهم القائمة على أساس التفريق فقام بهذا العمل؛ ليصحّح بعض تلك الأخطاء الكبيرة، وإلّا فإنّه كان يحظى بمركز قوي في السلطة، ولدى العائلة الحاكمة، وكان يُعرف بأنّه (مدلل) صدّام التكريتي، وكان صدّام لا يفارقه حتّى في سفراته الخاصّة، وفي زيارة(السمك المسگوف) والتي اصطحب معه فيها السمك مع الشوائين إلى فرنسا على طائرة خاصّة، وعلى مائدة العشاء خاطب صدّام رئيس وزراء فرنسا جاك شيراك قائلاً له: ـ مشيراً إلى عدنان حسين ـ هذا هو العقل الاقتصادي العراقي المفكّر؛ ليُعرب له عن اعتزازه به.

الاطّلاع على الأفكار والآراء التي تمثّل موقف المرجع من مختلف القضايا في المستقبل.

هذه بعض القضايا التي وقعت في إطار الإعداد لمواجهة النظام وإسقاطه، ذكرتها على نحو الاختصار.

الفصل الرابع

الاعتقالات ومحاولات الاغتيال والمراقبة الحكومية

الاعتقالات
التي تعرّض لها الشهيد الصدر

ولنقف لحظات مع صفحة من تاريخ هذا المرجع المظلوم، هذه الصفحة التي انفرد بها دون غيره من مراجع تاريخنا المعاصر، وما عانى من ظلم واضطهاد، وما كشفت عنه من خصائص كان يتمتّع بها، من صمود وثبات واستهانة بالموت من أجل القيم الإسلامية.

الاعتقال الأوّل:

اعتقل السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) في ظلّ حملة إرهابيّة شنّتها السلطة وقادها المجرم المعروف ناظم گزار مدير الأمن العامّ في ذلك الوقت[1].

والحقيقة ليست لديّ معلومات خاصّة عن ذلك الاعتقال، إذ لم تكن علاقتي بالسيد الشهيد في تلك الفترة إلّا في الحدود العامّة لباقي الطلبة ممّن هم في عمري، إلّا أنّ سماحة آية اللّه السيد كاظم الحائري (حفظه اللّه) كتب في «مباحث الأُصول» عن ذلك الاعتقال، والظروف التي أحاطت به ما يلي:

«اعتقل في سنة (١٣٩٢ هـ)، وكان ذلك ـ في الظن الغالب ـ في شهر رجب، أو

---

(١) لقد شهدت مراسم تشييع جنازة المجرم ناظم گزار بعد إعدامه حيث دخلت يوماً إلى الصحن الشريف، فلاحظت العشرات من قوّات الأمن وقد أخذوا مواقعهم في الصحن الشريف، ورأيت جنازة يحملها إثنان من حمّالي الجنائز، وخلفها رجل واحد، فسألت عن الميّت فقالوا هذه جنازة ناظم گزار.

في أواخر جمادي الثانيّة، والقصّة كما يلي:

ذكر (رضوان اللّه عليه) ذات يوم أنّه بلغني خبر يقول: إنّ البعثيين سيعتقلونني في هذه الليلة، وفي صبيحة تلك الليلة عرفنا أنّه لم يقع شيء من هذا القبيل.

وفي الليلة الثانية ابتُلي صدفة بالتسمّم أو ما يشبهه، ممّا كان يحتمل أداؤه إلى الموت، فطلب إيصاله إلى المستشفى، وكنت أنا والمرحوم السيد عبدالغني ﷺ بخدمته، ولا أذكر ما إذا كان شخص آخر أيضاً معنا أو لا، فأخذناه إلى مستشفى النجف، وبعد فترة من الزمن جاءت زوجته أُمّ جعفر، وأُخته بنت الهدى إلى المستشفى لعيادته، ثمّ رجعنا إلى البيت، ورجعت أنا أيضاً إلى بيتي، وبقي معه في المستشفى المرحوم السيد عبدالغني الأردبيلي ﷺ وأطلعنا بعد ذلك على أنّ رجال الأمن العراقي طوّقوا في تلك الليلة بيت الأُستاذ، واقتُحم البيت لغرض اعتقاله، فقال لهم الخادم (وكان خادمه وقتئذٍ محمّد علي محقّق): إنّ السيد غير موجود، ولا أعلم أين ذهب السيد، فبدأوا بضربه ليعترف لهم عن مكان السيد، إلّا أنّه أبى، وأصرّ على إنكاره رغم علمه بمكان السيد، وجاءت زوجته أُمّ جعفر، وقالت لهم: إنّ السيد مريض، وقد انتقل إلى مستشفى النجف، فانتقل رجال الأمن إلى مستشفى النجف، وطوّقوا المستشفى وطالبوا المشرفين على المستشفى بتسليم السيد. فقالوا لهم: إنّ السيد مريض، وحالته خطيرة، وإذا أردتم نقله، فنحن لا نتحمّل مسؤولية ذلك إذا ما مات بأيديكم.

وأخيراً وقع الاتّفاق على أن يُنقل السيد تحت إشراف رجال الأمن إلى مستشفى الكوفة[1]، على أن يكون معه المرحوم السيد عبدالغني الأردبيلي بعنوان مرافق المريض، وهكذا كان، فقد نقلوا السيد الأُستاذ إلى مسشفى الكوفة، ووضعوه في ردهة المعتقلين، وعند الصباح ذهب السيد محمّد الغروي إلى مستشفى الكوفة كي يطّلع على حال السيد الأُستاذ، فالتقى بالمرحوم السيد عبدالغني ﷺ فقال له: إنّ

(١) لأنّ في مستشفى الكوفة ردهة للاعتقال.

رجال الأمن قد وضعوا قيد الحديد على يده الكريمة، فأخبرني السيد الغروي بذلك، فذهبت أنا إلى بيت السيد الإمام الخميني (دام ظله) حيث كان وقتئذٍ يعيش في النجف الأشرف، وتشرّفت بلقائه، وحكيت له القصّة.

ثمّ كثرت في صبيحة ذاك اليوم مراجعة الناس على الخصوص طلاب العلوم الدينيّة، والعلماء العظام، أمثال المرحوم آية اللّه الشيخ مرتضى آل ياسين، والمرحوم الحجّة السيد محمّد صادق الصدر إلى مستشفى الكوفة يطالبون بلقاء السيد، والجلاوزة يمنعونهم عن ذلك. ودخل البعض على السيد رغماً على منع الجلاوزة، وكاد أن يستفحل الاضطراب في وضع الناس، فخشيت الحكومة من نتائج الأمر، فرفع القيد من يد السيد.

وبعد فترة وجيزة أطلقت السلطة سراح السيد الأُستاذ، ووضع في القسم العادي ـ غير ردهة المعتقلين ـ في مستشفى الكوفة، وبعد ذلك رجع إلى مستشفى النجف، وبعد أن تحسّنت حالته الصحيّة رجع إلى البيت، وكثرت زيارة الناس والوفود إليه، واستمر الأمر بهذا الوضع إلى أيام وفاة الإمام موسى الكاظم عليه السلام حيث أقام السيد الشهيد في بيته مأتماً للإمام الكاظم كعادته في كلّ سنة، وكان المجلس يغصّ بأهله، وكان الخطيب في ذلك الحفل السيد جواد شبّر.

وكان يقول السيد الأُستاذ رحمه الله إنّ هذا الاعتقال قد أثّر في انشداد الأُمّة إلينا أكثر من ذي قبل، وتصاعد تعاطفها معنا.

وكان المفهوم لدينا وقتئذٍ أنّ مرض السيد رحمه الله كان رحمة، وسبباً لتأخير تنفيذ ما يزيده البعثيون من أخذه مخفوراً إلى بغداد، إلى أن اشتهرت القصّة، وضجّ الناس، واضطّرت الحكومة إلى اطلاق سراحه من دون الذهاب به إلى بغداد»[1].

وكان قبل ذلك قد تعرض سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحكيم (حفظه اللّه) إلى الاعتقال فقد اعترضته مجموعة من قوات الأمن في

---

(١) مباحث الأُصول ج ١، من القسم الثاني ص ١٠٥

الصحن الشريف وطلبوا منه مرافقتهم إلى مديرية الأمن، فرفض ذلك وبقي في الصحن ما يقرب من ساعة، وبعد ذلك خرج منه باتجاه سوق العمارة، وحاول المجرمون اعتقاله في السوق فامتنع حتى يودّع أخاه المرحوم آية اللّه السيد يوسف الحكيم وكان يتكلّم معهم بصوت مرتفع بهدف إعلام الناس وإخبارهم بهذا الأمر.

وكذلك تمَّ اعتقال مجموعة من العلماء الأعلام والمجاهدين الأعزاء منهم سماحة السيد محمد تقي الطباطبائي والشيخ عزالدين الجزائري والسيد محمد علي الشيرازي والشيخ مجيد الصيمري وغيرهم. وقد أُطلق سراحهم جميعاً في اليوم الثاني، واستثني منهم الشيخ مجيد الصيمري وبعض الأشخاص الذين حكموا بتهمة محاولة القيام بعمل مسلح ضدّ السلطة، وكان حكمه سنة واحدة، وشخص آخر كان محور التهمة حكم بثلاث سنوات وهو معلم من أهل البصرة.

الاعتقال الثاني و «انتفاضة صفر الخالدة»:

قبل الدخول في تفاصيل ذلك يجب أن نُحيط بالظروف والأوضاع التي كانت سائدة في تلك الفترة، فمن خلال ذلك نستطيع أن نفهم الأحداث بدقّة ووضوح.

شدّدت حكومة البعث يوماً بعد آخر على الشعائر الإسلاميّة بهدف تطويقها والقضاء عليها. واتخذت حكومة البعث سياسة التدرّج للوصول إلى هذا الهدف، وقد شجّعها على تخطّي مراحل متقدّمة في ممارساتها الإجراميّة والتطاول في غيّها وطغيانها في مراحل تحقيق هدفها المنشود مما اعتبرته نجاحاً باهراً في مواقفها الإرهابيّة تجاه السيد الشهيد ﷺ والحوزة العلميّة في النجف الأشرف، لما كانا يمثّلانه من حصن منيع للإسلام، ومصدر خطر جدّي يهدد حاضر الحزب وأهدافه المستقبليّة، حيث لم ترَ في ممارساتها الإرهابيّة ضد هذا الوجود الإسلامي أي ردّ فعل من شأنه إثارة مخاوف السلطة، فقد كانت تجسّ النبض بواسطة إشاعات تثيرها قبل عملية الاعتقال تلفّق من خلالها التهم والافتراءات السياسيّة ضدّ هذا الوجود

المقدّس، وعندما لم تواجه بردّة الفعل المناسبة من قِبل الجماهير كانت تعتبر ذلك مؤشراً على نجاح لعبتها، وأن تلك الإشاعات قد فعلت فعلتها في التضليل، فترى الجوّ مناسباً للدخول في مرحلة متقدّمة في سلّم مواجهة الإسلام واقتلاع جذوره، فمدت يدها المجرمة إلى شعائر سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فتمكّنت وبسبب الضغط والإرهاب من استغلال الشعائر الحسينيّة، وخاصّة المواكب التي اعتاد الناس تنظيمها في شهر محرّم وصفر لصالحها، وأجبرت الشعراء والمنشدين (الروادید) على ذكر أحمد حسن البكر رئيس الجمهوريّة وصدّام حسين التكريتي الذي كان نائباً له وقتئذٍ، والإشادة بما تسمّيه إنجازات الثورة في قصائدهم ورثائهم.

وكان على السلطة أن تكتفي بما ارتكبته بهذه الخطوة من مسلسل جرائمها، وتقنع بهذا القدر من جرح عواطف الناس، والضغط عليهم في ممارسة شعائرهم المستوحاة من عقائدهم. ولكن كما هي العادة ظنّت أنّ ذلك نجاحاً قد مهّد الطريق لها للخطوة الأخيرة المستهدفة أساساً وهي منع إقامة الشعائر الحسينيّة نهائياً.

وشرعت في تنفيذ سياستها خطوة خطوة، بدءاً من الأقضية والنواحي، لتشمل محافظات العراق جميعاً في مرحلة لاحقة، باستثناء مدينتي النجف وكربلاء، حيث إنّ الأوضاع القائمة فيهما أكثر صعوبة وتعقيداً من غيرهما، ولكن لم تمضِ إلّا سنوات قليلة حتّى اقتربت الحملة من النجف وكربلاء، وحاولت أن تنفّذ فيهما المنع المطلق عن ممارسة جميع الشعائر الحسينيّة تقريباً، فبدأت بمنع مواكب المشاة إلى كربلاء، وهي مسيرات سلميّة هادئة، اعتاد الناس من قديم الزمان على تنظيمها والذهاب إلى كربلاء مشياً على الأقدام مبالغة منهم في حبّ الحسين عليه السلام وإظهار الولاء له وإكراماً لتضحيته من أجل إحياء الإسلام والدفاع عن كرامة المسلمين.

كان المفروض بسلطة البعث أن لا تقف من هذه الشعائر موقفاً سلبياً، ما دامت ترفع شعار الحرية كشعار من شعاراتها الرئيسيّة التي تدّعي العمل لأجل تحقيقها، بل

تحترم مشاعر المسلمين، وتخلي سبيلهم في إقامة شعائرهم الدينيّة والمذهبيّة التي تعدّ حقاً طبيعيّاً لكلّ إنسان في أن يعبّر عن إرادته الدينيّة ومعتقداته الفكريّة ما دامت لا تخلّ بأمن البلاد .. وهذا الحقّ أصبح مُسلّماً لدى جميع حكومات العالم، وتتعاطف معه جميع شعوب الأرض بمختلف معتقداتها الفكريّة ومشاربها الدينيّة والمذهبيّة، وقد أقرّته هيئة الأمم المتحدة في إعلانها العالمي لحقوق الإنسان عام (١٩٤٨م) ممّا أسمته بحرية العقيدة تارة والدين تارة أُخرى، وادّعت ضرورة حمايته وأوصت جميع الدول الموقّعة على الإعلان المذكور باحترامه، وكانت سلطة البعث قد وقّعت على الإعلان وأقرّت به أمام المحافل الدوليّة.

إلّا أنّ سلطة البعث العميل ضربت ذلك كلّه بعرض الحائط، ولم تقنع بما ارتكبته بل أقدمت على منع مواكب المشاة إلى كربلاء، وحاربت هذه الشعيرة الحسينيّة حرباً شعواء فكشفت بذلك القناع عن وجهها البشع، وأفصحت عن نواياها الحاقدة ممّا حرّك نهضة الجماهير، وإيقاظها، وحرّك الغيرة على الدين في عروقها، ولن تنفع اليوم الاتّهامات السياسيّة، والمبرّرات الأمنيّة لتغطية هذه الجريمة النكراء، فوقف أبناء الشعب العراقي المسلم الغيور موقفاً مُشرّفاً في انتفاضة صفر الخالدة عام (١٣٩٧ هـ)، المصادف لـ(٩ شباط ١٩٧٧م)؛ لأنّه أيقن أنّ هذه الزمرة الحاكمة على العراق تستهدف القضاء على الحسين عليه السلام بكلّ ما يمثّله من ثورة ورسالة وأهداف إنسانيّة شريفة، وتريد محوه من صفحة وجدان الشعب الحسيني في العراق لغرض زرع ما جاء به المؤسس البعثي عفلق من بلاد الغرب بكلّ ما يحمله من قيم غربيّة على البعد الديني للعراق، ومن منهج اجتماعي من المدرسة اليهوديّة الماسونيّة التي خطّطت للقضاء على الإسلام منذ أمدٍ ليس بقصير.

أحسّت السلطة أنّ الجماهير في النجف الأشرف ومَنْ وفد إليها من المحافظات الأُخرى تستعدّ للانطلاق بمسيرة كبرى إلى كربلاء متحدّية المنع الصارم الذي أعلنته خلال اجتماع جاسم الركابي محافظ النجف برؤساء المواكب في ذلك

التاريخ.

وخرجت المسيرة في الوقت المقرّر وهو يوم الجمعة ١٥ صفر (٤ شباط) باتجاه كربلاء صارخة بشعار التحدي (لو قطّعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيدي يا حسين)، وتحوّلت الشعارات بسبب ردّة الفعل القويّة إلى شعارات معادية للسلطة، ولكلّ أعداءِ الحسين عليه السلام، فأرعب ذلك حكومة البعث العميل وأدركت فشل خطّتها، فحاولت تلافي الخطأ بإلغاء قرار منع المسيرة خاصة بعد حصول اصطدام في اليوم الثاني في خان النص، وسقوط بعض الشهداء، واستعداد العشائر للدخول في مواجهة مع النظام.

ولكن لم يكن بمقدور هذا الإجراء أن يحلّ الأزمة، خاصّة وأنّ المسيرة كانت قد قطعت أكثر من ربع الطريق باتّجاه كربلاء المقدّسة.

كان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) يتابع الأحداث بدقّة، وكان في غاية السرور والارتياح وهو يتلقّى أنباء تحدّي أنصار الحسين عليه السلام لسلطة أعداء الحسين، وصمود أبناء الشعب أمام دبّاباتهم وطائراتهم، وانضمام أعداد كبيرة من قطعات الجيش العراقي وعدد من أعضاء حزب البعث إلى صفوف الثوّار. وكان يعتبر تلك الأحداث مؤشرات حقيقية على بزوغ صحوة الشعب الإسلاميّة، وإدراكه لحقيقة النظام الحاكم الذي ظلّله فترة طويلة. وكان يقول:

«إنّ هذه المواكب شوكة في عيون حكّام الجور، إنّ هذه المواكب وهذه الشعائر هي التي زرعت في قلوب الأجيال حبّ الحسين عليه السلام وحبّ الإسلام، فلابدّ من بذل كلّ الجهود للإبقاء عليها رغم حاجة بعضها إلى التعديل والتهذيب».

وكان (رضوان اللّه عليه) قد أمرني بتقديم الأموال لكافّة المواكب التي كانت بحاجة إلى مساعدة ودعم، بل وبعث بالكثير من الأموال إلى المواكب الأُخرى التي لم تعتد طلب المساعدات والتبرعات.

وعلى كلّ حال، كانت انتفاضة تاريخيّة أقضّت مضجع السلطة وأرعبتها، وحطّمت كبرياءها، خاصّة بعد فشل التدخّل العسكري، وانهيار قوّات الأمن في منعها.

وحاولت السلطة أن تحافظ على الحدّ الأدنى من كرامتها وذلك بكفّ الثوار عن ترديد الشعارات المعادية للبكر وصدام، وأن يدخلوا إلى كربلاء بشعارات حسينيّة فقط، وهي بالطبع عاجزة عن ذلك رغم إمكاناتها الكبيرة، فلجأت إلى العلماء، وطلبت منهم التدخّل لحلّ الأزمة المتفاقمة بإقناع الثوّار بالاقتصار على ترديد الشعارات الحسينيّة فقط.

أمّا بالنسبة للسيد الشهيد، فقد جاء إليه محافظ النجف جاسم الركابي، وطلب منه التدخّل بإرسال وفد يطلب من الثوّار أن لا يردّدوا شعارات معادية للسلطة، ويُبلّغهم بتراجع السلطة عن قرار منع المسيرة الحسينيّة، ويطلب منهم الهدوء، والاكتفاء بترديد الشعارات الحسينيّة فقط، وأنّه لن يتعرّض أحد منهم للاعتقال فيما بعد. فقال له السيد الشهيد: «**ومن يضمن سلامة الوفد الذي أبعثه إليهم؟**».

فقال الركابي: أنا أضمن سلامة الوفد، ولو حدث غير ذلك فسوف أُقدّم استقالتي، وأحلق شاربي، أنّ هذا تعهّد منّي ومن وزير الداخلية عزت الدوري.

لم يكن السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) يثق بوعود السلطة أبداً إلّا أنّه لاحظ أنّ المسيرة قد حقّقت أهدافها، وأنّ السلطة سوف تتّخذ أقسى الإجراءات ضدّ الثوّار ريثما تنتهي مناسبة زيارة الأربعين، فكان من الطبيعي أن تتّجه الجهود إلى تخفيف ردّ فعل السلطة تجاه الثوّار، والسعي لإنقاذ أنفسهم وأرواحهم، والاقتصار على قدر محدود من الضحايا، ومن المؤكّد أنّ السلطة لن تجعل هذه القضية تمر دون أن تنتقم، فكان سعي السيد الشهيد نحو تضييق دائرة الانتقام إلى أقلّ عدد ممكن من الضحايا، وبالإضافة إلى ذلك كان السيد الشهيد محرجاً في حال امتناعه من إرسال وفد بعد أن استجاب سماحة آية اللّه العظمى السيد الخوئي ﵀ لطلب السلطة في

تهدئة الثوّار، وسوف يُفسّر موقف السيد الشهيد ﵀ في حال عدم استجابته بأنّه موقف مخالف ومعادي للسلطة، ومؤيّد للثوّار.

وعلى كلّ حال فبعد أن طلب منه الركابي ذلك عقد (رضوان اللّه عليه) اجتماعاً ضمّ كبار طلابه، ومنهم سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيد محمّد باقر الحكيم (حفظه اللّه) اتخذ فيه بعد استشارتهم في الأمر القرار بإرسال وفد يمثّل السيد الشهيد برئاسة السيد الحكيم، وكان السيد الحكيم (حفظه اللّه) يرى أنّ عدم الاستجابة أفضل؛ لأنّ السلطة سوف لن تفي بتعهّداتها (وكان رأي السيد الشهيد في الواقع كذلك) إلاّ أنّه مع ذلك استجاب لرغبة السيد الشهيد ﵀ وذهب إلى الثوّار، وتحدّث معهم بما يجب، وكان دقيقاً وحكيماً في كلّ خطوة خطاها، وتمكّن خلال فترة قصيرة من تهدئة الثوّار رغم حالة الغضب والتوتّر التي كانت تسودهم وتسيطر عليهم.

وكان المفروض أن يُقدّر هذا الموقف ويُشكر من قبل رجال السلطة؛ لأنّه حقن الدماء بحكمة، وكان المفروض ـ وعلى أقلّ تقدير ـ أن لا يُعتقل، ولكن الذي حدث أنّ محافظ النجف الذي كان قبل ساعات يستغيث بالسيد الشهيد قام هو بنفسه باعتقال السيد الحكيم وسلّمه إلى قوّات الأمن.

لم يخضع السيد الحكيم لأي لون من التحقيق، ولم يرَ محكمة الثورة، وإنّما أُبلغ وهو في سجن المخابرات العامة بالحكم عليه بالسجن المؤبّد، ثمّ نُقل إلى سجن أبي غريب.

ولم يقدّم محافظ النجف استقالته، ولم يحلق شاربه ـ كما وعد من قبل ـ، بل توجّهت السلطة بغضب وحقد إلى الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) لتنتقم منه باعتباره الرمز الحقيقي للنجف بما تحمل من تراث ديني وعلمي عريق.

ومن المؤكّد أنّ السلطة لم تمتلك ما يثبت تورّط السيد الشهيد بالأحداث، أو تحريكه للجماهير ضدّها، ومع ذلك فقد صدر الأمر باعتقاله وجلبه إلى بغداد.

وفي الساعة التاسعة صباحاً جاء مدير أمن النجف ، وطلب من السيد مرافقته إلى بغداد ، مدّعياً أن وزير الداخلية عزت الدوري يريد الاجتماع به ، وهذه هي حُججهم المعهودة في كلّ اعتقال .

وذهب السيد الشهيد إلى بغداد لا للتحقيق ، بل ليبلّغ رسالة حقد قاسية وشديدة من وزير الداخلية ، تضمّنت التهديد والوعيد وبألوان من الانتقام ، ثمّ يُقاد إلى مديرية الأمن لينال من الحاقدين أنواع التعذيب ، وقد قال لي فيما بعد : «كنت أحرص على كتمان ماكنت قد نلته من التعذيب لئلا يؤدّي ذلك إلى انهيار أو خوف من لا يمتلك القدرة على الصبر والصمود » .

وسألته عمّا جرى عليه في مديرية الأمن العامّة ، فقال :

« لم يسألني أحد عن شيء ، إلّا أنّ مدير الأمن العام قال لي : إنّنا نعلم أنّك وراء هذه الأعمال العدوانية ، وقد بعثت السيد محمّد باقر الحكيم ليحرّضَ الشعب علينا ، إنّنا سوف ننتقم منك في الوقت المناسب ، وهدّدني بالإعدام » .

وكان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) بعد أن أُفرج عنه يتوقّع اعتقاله ساعة بعد ساعة ، وكان مترقّباً ومستعدّاً لذلك ليلاً ونهاراً .

وعلى كلّ حال ، فما هو تفسير هذه التصرّفات الغريبة من قبل رجال السلطة ، ولماذا يتعهّد محافظ النجف بما تعهّد ، ثم ينكث في نفس اليوم .

إذا أردنا أن لا نفسّر ذلك على أساس حقيقة النظام وأخلاقيّته التي تقوم على الخداع والكذب فإنّا لا نجد إلّا أحد تفسيرين :

الأوّل : أنّ السلطة أرادت أن تثأر لكرامتها التي سُحقت وأُهينت حينما تحدّت الجماهير المؤمنة أوامر المنع ، بل وردّدت الهتافات التي ندّدت بالسلطة وموقفها المعادي للشعائر الحسينيّة ، وموقفها بشكل عامّ من الدين ، فكان أُسلوب ثأرها وانتقامها هو اعتقال السيد الشهيد ، والسيد الحكيم ، وإعدام ثلّة من المؤمنين .

الثاني : في تلك الفترة كان صراع يجري بين المحافظ جاسم الركابي وبين مدير أمن الجف إبراهيم خلف، فكان كلّ منهما يتربّص بالآخر، وكان إبراهيم خلف قد أخبر السيد الشهيد في وقت سابق، بأنّ محافظاً جديداً سوف يُعيّن قريباً لمدينة النجف، هو جاسم الركابي، وسوف يزوركم حتماً فأرجو أن تذكروني عنده بخير!!.

وكان الركابي محافظاً لمدينة الديوانية، وإبراهيم خلف مديراً للأمن فيها قبل مجيئه إلى مدينة النجف وحدث صراع بينهما هناك، لم يُحسم إلّا بنقل إبراهيم خلف إلى مدينة النجف، ومن المحتمل أنّ إبراهيم خلف استغل أحداث صفر، وسخّرها ضد الركابي بطريقةٍ مّا، وإلّا فإنّ الانطباع المعروف عن الركابي لا ينسجم مع ما كان قد صدر منه.

وعلى كلّ حال، فإنّنا ومن خلال التجارب الكثيرة عرفنا أنّ تربية حزب البعث لقياداته وكوادره قائمة على أساس الغدر، والخداع، والكذب، وغيرها من الصفات الدنيئة، فلا نستبعد أنْ يكون كلّ ذلك حلقاتَ من مسلسل كان قد أُعدّ من قبل.

الاعتقال الثالث:

قبل غروب الشمس من يوم الاثنين المصادف (١٦ رجب ١٣٩٩ هـ) بدأت قوّات الأمن ومنظمة حزب البعث تطوّق منزل السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه)، والشوارع والأزقة القريبة منه أو المحيطة به، ومنعت المرور منها منعاً باتّاً.

وجاء الليل بسكونه وهدوئه يُخيّم على النجف إلّا هذا الزقاق حيث مستقر سيدنا الشهيد، إذ تحث الخطى، وتتعالى حركة الحشود، فكانت تمزّق ذلك السكون في ساعات تلك الليلة، وكان الاستعداد قائم على قدم وساق تمهيداً لاعتقال السيد الشهيد. وكنت أرقب ذلك الوضع من خلال فتحة أحدثها كسر صغير في زجاجة النافذة المطلّة على الزقاق، فأيقنت أنّ السلطة تستعد لاعتقال الشهيد الصدر، فذهبت إليه، وأخبرته بذلك الاستعداد، وتلك الحشود المجرمة، فقال لي:

« لا بأس، أنا ذاهب للنوم، لأنّي أشعر بالتعب الشديد ».

ثمّ سلّم (الخاتم) الذي يعبّر عن إمضائه والذي يختم به فتاواه ورسائله إلى من يثق به من المقرّبين منه خشية أن يُسلب منه بعد اعتقاله واستشهاده، فيستغل في تزوير ما تحتاج إليه السلطة من فتاوى مثلاً. وكانت الشهيدة السعيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) قد أطّلعت أيضاً على الوضع والحشود الكبيرة المتجمّعة في الزقاق.

كان السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) قد قرّر أن يواجه مدير الأمن بعنف ـ إن جاء لاعتقاله ـ ويُعلن له بصراحة عن موقفه من السلطة وسياستها وممارساتها الوحشية ضدّ الإسلام والمسلمين، وكنت قد قلت له ﷺ ما فائدة هذه المواجهة في الوقت الذي نستطيع أن نستوعب هذه الأزمة، ونمرّرها بهدوء؟

فقال ﷺ:

«أُريد أن أجبر السلطة على قتلي، عسى أن يحرّك ذلك الجماهير للإطاحة بالنظام، وإقامة حكم القرآن في العراق».

وفي الصباح الباكر، والناس نيام، لم نشعر إلّا والباب قد فتحت، وإذا بالمجرم (أبو سعد) مدير أمن النجف يطلب مقابلة السيد الشهيد ﷺ، ولم تكن هذه الزيارة! غير متوقّعة، أو مباغتة، فقد كانت كلّ الدلائل تُشير إلى أنّ السيد الشهيد سوف يُعتقل في هذا اليوم، وعلى كلّ حال، اجتمع هذا المجرم بالسيد الشهيد، فقال: سيدنا: إنّ القيادة ترغب بالاجتماع بكم.

السيد الشهيد: أنا لا أرغب بالاجتماع بهم.

مدير الأمن: لابدّ من ذلك.

السيد الشهيد: أنا لا أذهب معك، إلّا إذا كنت تحمل أمراً باعتقالي.

مدير الأمن: نعم، أحمل أمراً باعتقالك.

هنا أجابه السيد الشهيد، فقال:

«أيّ سلطة هذه، وأيّ نظام هذا.. إنّكم كمّمتم الأفواه، وصادرتم

الحرّيات، وخنقتم الشعب بقوّة الحديد والنار..

تريدون شعباً ميّتاً يعيش بلا إرادة.

تريدون شعباً بلا كرامة..

وحين يُعبّر شعبنا عن إرادته، وحين يتّخذ موقفاً من قضيةٍ مّا، وحينما تأتي عشرات الآلاف من أبناء شعبنا لتعبّر عن ولائها للإسلام والمرجعيّة، تقوم قائمتكم، فلا تحترمون شعباً، ولا ديناً، ولا قيماً، بل تلجأون إلى القوّة لتكمّوا الأفواه، وتصادروا الحرّيات، وتسحقوا كرامة الشعب.

أين الحرية التي تدّعونها، وجعلتموها شعاراً من شعاراتكم؟

أين هذا الشعب الذي تدّعون أنّكم تدافعون عنه، وتحمون مصالحه؟

أليس هؤلاء الآلاف الذين جاءوا ليعبّروا عن ولائهم للمرجعيّة هم أبناء العراق؟

لماذا يستولي الرعب والخوف على قلوبكم إن عبّرت الجماهير يوماً عن إرادتها ورغبتها؟

وظلّ السيد الشهيد ﷺ يواصل هجومه بتوجيه أمثال هذه الاعتراضات إلى مدير أمن النجف الذي كان مضطرباً وقلقاً، وقد وقع تحت تأثير هذه المفاجأة، فلم يتكلّم بشيء، وظلّ ساكتاً.

ثمّ خاطب مدير الأمن، فقال: هيّا لنذهب إلى حيث تريد».

خرج السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) بشمائل علويّة، وشجاعة هاشميّة، وقد صمّم على الشهادة وهو يذكر اللّه عزّ وجلّ ويردّد (سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلّا اللّه، واللّه أكبر).

كنت مع الإخوة، الشيخ طالب السنجري، والسيد محمود الخطيب، والحاج

عباس برفقة السيد الشهيد من البيت وحتّى السيارة، إلّا أنّنا فوجئنا بوالدته العجوز التي كانت لا تقوى على الحركة تجرّ أنفاسها بصعوبة بالغة وهي منحنية الظهر واقفة في الزقاق تخاطب أحد الجلاوزة المجرمين، وتقول له: خذوني مع ولدي، وتفاجئنا بالعلوية الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) وقد وقفت بقرب السيارة التي كانت مُعدّة لنقل السيد الشهيد إلى بغداد، ركب (رضوان اللّه عليه) في السيارة، وفجأة ألقى الشيخ طالب السنجري بنفسه في السيارة، وجلس إلى جانب السيد الشهيد، وأصرّ على مرافقته إلى مديريّة الأمن العامّة في بغداد رغم تشدّد قوّات الأمن على منعه من ذلك. ورافقه كذلك الأخ السيد محمود الخطيب.

خطاب الشهيدة بنت الهدى:

كانت الشهيدة الخالدة بنت الهدى (رضوان اللّه عليها) قد سبقت الجميع إلى حيث تقف سيارة مدير الأمن في شارع الإمام زين العابدين عليه السلام، والتي كانت ستنقل السيد الشهيد إلى بغداد، وهناك وقفت وكأنّها زينب (سلام اللّه عليها) في شجاعتها وصبرها وتضحيتها، تخاطب الظالمين الذين احتوشوا أخاها وقد زاد عددهم على ثلاثمائة شخص من قوّات أمن، وأعضاء في حزب البعث، ومرتزقة من هنا وهناك.

وأمام هذا الحشد الكبير ألقت الشهيدة خطبتها فقالت:

«انظروا ـ وأشارت إلى الجلاوزة المدجّجين بالسلاح ورشاشات الكلاشنكوف ـ أخي وحده بلا سلاح، بلا مدافع، بلا رشاشات..

أمّا أنتم فبالمئات مع كلّ هذا السلاح.

هل سألتم أنفسكم لِمَ هذا العدد الكبير؟ ولِمَ كلّ هذه الأسلحة؟

أنا أُجيب.. واللّه لأنّكم تخافون .. ولأنّ الرعب يسيطر على قلوبكم.

واللّه إنّكم تخافون؛ لأنّكم تعلمون أنّ أخي ليس وحده، كلّ العراقيين معه، وقد رأيتم ذلك بأعينكم، وإلّا فلماذا تعتقلون فرداً واحداً لا يملك جيشاً ولا سلاحاً

بكل هذا العدد من القوّات؟

إنّكم تخافون، ولولا ذلك لما اخترتم اعتقال أخي في هذا الوقت المبكّر..

لماذا تجيئون لاعتقاله والناس نيام؟

ممّن تخافون؟ .. ومَنْ تخشون؟ .. إسألوا أنفسكم؟

ثمّ وجّهت خطابها إلى السيد الشهيد: إذهب يا أخي، فاللّه حافظك وناصرك، فهذا طريق أجدادك الطاهرين..»[1].

والحقيقة أنّنا لم نكن نعلم أنّ القوّات التي كانت تطوّق منزل السيد الشهيد بهذا الحجم ، فبالإضافة إلى قوّات الأمن حشّدت السلطة عدداً من أعضاء حزب البعث والموظّفين أمثال المجرم مدير تربية محافظة النجف ، وعدداً من سواد الناس وعامّتهم ، ممّن يعمل معهم في الخفاء ، وذلك بهدف تستّر السلطة على نفسها ، وإعطاء الاعتقال طابعاً جماهيريّاً ، بأن توحي أنّ (الجماهير !) هي التي تصدّت لاعتقال السيد الشهيد ، وكان ذلك بإرادتها وبدافع من نفسها .

أو أنّها في حالة مواجهتها لردّ فعل جماهيري قوي يحصل إثر اعتقال السيد الشهيد ، ثمّ تعجز عن قمعه أو السيطرة عليه ، ويسبّب لها مشكلة تعجز عن حلّها فتقوم عندئذٍ باعتقال من أرسلتهم لاعتقال السيد الشهيد كأُسلوب لامتصاص نقمة الجماهير .

وعلى كلّ حال ، فلقد رأيت الحشود الآثمة وهي تلوذ بالفرار عندما كانت الشهيدة تلقي خطبتها، ولم يجرأ أحد منهم على مواجهتها ، بل تفرّقوا في الأزقة ، ولم يبقَ من حشودهم إلّا ما هو بعدد الأصابع ، بينما كان عددهم يزيد على ثلاثمائة فرد .

غادر السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) النجف الأشرف إلى بغداد ، وبعده

---

(١) استغرقت خطبتها ما يزيد على عشرة دقائق ، وما كتبته أعلاه هو بعض فقراتها .

استمرت قوّات السلطة في محاصرتها لمنزله، فكان من الطبيعي أن ينتشر خبر اعتقاله ولو على شكل شائعة في بادئ الأمر، فكان أوّل من تجرّأ على دخول البيت رغم تطويق قوّات الأمن له هو سماحة الأخ حجّة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر الحائري (حفظه اللّه)، وهو من تلاميذ السيد الشهيد الأوفياء والمخلصين، فسألني عمّا جرى، وهل حقّاً قد تمّ اعتقال السيد الشهيد ؟ فقلت: نعم. ثمّ خرج من المنزل متحدّياً الأمن بعد أن طلبوا منه البقاء فيه بهدف اعتقاله فيما بعد، إلّا أنّه قال لهم: خرجت على كلّ حال، وافعلوا ما تشاؤون.

أمّا أنا فقد بقيت في منزل السيد الشهيد للقيام ببعض المهمّات، كحرق بعض الرسائل، وإتلاف بعض الأوراق التي كان فيها أسماء بعض المؤمنين خوفاً من وقوعها بيد السلطة في حال اقتحام البيت، ولم أكن أعلم بما يجري في داخل النجف، إلّا أنّ العلوية الشهيدة كانت قد أخبرتني بأنّها ستخرج إلى حرم الإمام علي عليه السلام لتعلن عن خبر اعتقال السيد الشهيد، وفعلاً خرجت، ثمّ عادت بسرعة، وأخبرتني بأنّ عدد الناس في الحرم كان قليلاً، وأنّها ستذهب حينما يتواجد فيه أكبر عددٍ منهم بعد شروق الشمس.

قلت للسيدة الشهيدة (رضوان اللّه عليها): المفروض أن تتريّثي قليلاً حتّى يتبيّن الموقف، وتتجلّى الأمور، إنّ خطابك قد فتح لك صفحة خطيرة في ملّفات الأمن، وأنا أعلم أنّك لا تخشين شيئاً، ولكن قد يؤثّر ذلك على السيد نفسه.

« فقالت: إنّ المسؤولية الشرعيّة، والواجب الديني يفرض عليّ اتّخاذ هذا الموقف، إنّ زمن السكوت قد ولّى .. لابدّ أن نبدأ صفحة جديدة من الجهاد.. لقد سكتنا طويلاً، وكلّما طال زمن السكوت كلّما كبُرت محنتنا.. لماذا أسكت وأنا أرى مرجعاً مظلوماً يقع في قبضة هؤلاء المجرمين!! ألم ترهم وقد تجمعوا عليه كالحيوانات المفترسة؟ لِمَ أصبر؟ إنّ اليوم يوم جهادنا وتضحيتنا. ».

قلت لها: إنّ هؤلاء المجرمين لا يتورّعون من أن تمتد أيديهم القذرة إليك،

ويمكن أن يكون مصيرك الإعدام .

فقالت: اللّه يشهد، أنّي أتمنّى الشهادة في سبيله، لقد قرّرت أن استشهد منذ اليوم الأوّل الذي جاءت فيه الوفود .. أنا أعرف هذه السلطة، إنّها متوحّشة قاسية مجرمة، لا فرق في مقاييسها بين الرجل والمرأة، وبين الصغير والكبير، أما أنا، فسواء عندي أن أعيش أو أُقتل ما دمت واثقة أنّ موقفي كان طلباً لمرضاة اللّه ومن أجله عزّ وجلّ.

لقد كنت استمع للشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) وكأنّها زينب بنت عليّ (سلام اللّه عليها) ، إنّها تتكلّم من أعماقها كلام الواثقة كلّ الثقة بعقيدتها وقضيّتها ، كلام من صمّم على الفداء والتضحية .

إنّ الشهيدة السعيدة بنت الهدى جسّدت إيمانها العظيم ، واستقامتها وصلابتها الهائلة ليس في حادث اعتقال السيد الشهيد وحده ، بل في طيلة فترة الاحتجاز ، وفي يوم اعتقالها ، وقبل ذلك في حياتها الشخصية ، وسلوكها الفردي والاجتماعي ، فمذ عرفتها كانت بهذا المستوى الذي لا يرقى إليه إلّا القليل من الرجال والنساء .

وبقيت (رحمها اللّه) تفكّر فيما يجب أن تفعل في تلك الساعات العصيبة الحرجة ، وكأنّها تقول : أنا ابنة عليّ عليه السلام لن أسكت ، ولن أصبر على الضيم والهوان .

لقد رأيتها تمشي في ساحة البيت ، وتتكلّم مع نفسها ، وكأنّها تعيش بروحها في عالم آخر ، تفكّر في الخطوة القادمة ، تنتظر شروق الشمس ، وتواجد الزوار في حرم الإمام علي عليه السلام ، وحين أيقنت أنّ الوقت قد حان ، والفرصة قد أتت خرجت إلى الحرم الشريف ، وعند ضريح سيد المظلومين علي عليه السلام نادت بأعلى صوتها :

«الظليمة الظليمة ..

يا جدّاه، يا أميرالمؤمنين، لقد اعتقلوا ولدك الصدر ..

يا جدّاه، إنّي أشكو إلى اللّه وإليك ما يجري علينا من ظلم واضطهاد ..

ثمّ خاطبت من كان في الحرم الشريف ، فقالت :

أيّها الشرفاء المؤمنون، هل تسكتون وإمامكم يُسجن ويُعذّب؟

ماذا ستقولون غداً لجدّي أميرالمؤمنين إن سألكم عن سكوتكم وتخاذلكم؟

اخرجوا وتظاهروا واحتجّوا..».

فجاءها أحد خدّام الحضرة الشريفة ممّن يعمل للسلطة، وحاول منعها، فنهرته، وصرخت بوجهه. ثمّ قام إليه بعض من كان في الحرم، فإنهالوا عليه بالضرب، فولّى هارباً[1].

لقد ذكّرتني الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) بموقف زينب حينما رأت الحسين عليه السلام وقد خذله القريب والبعيد، إلّا القليل ممّن ثبّته اللّه على الهدى، فقامت تذبّ عنه، وتدافع عنه، وهي مثقلة بعياله وأطفاله، وهكذا كانت ـ واللّه ـ بنت الهدى، تذبّ عن أخيها وتنصره بعد أن خذله من كان يدّعي أنّه يفديه بالغالي والنفيس، وهي مع ذلك مثقلة كزينب (سلام اللّه عليها) بالعيال والأطفال، وبأُمٍّ أنهكها المرض، وحطّمتها المصائب والهموم، فقدت في شبابها الكثير من الأولاد، وها هي في شيخوختها على وشك فقد أعزّ أبنائها.

أمّا ما حدث في خارج البيت، فقد كتب عنه سماحة السيد علي أكبر الحائري (حفظه اللّه) ما يلي:

«عندما أُعتقل السيد الشهيد رحمه الله في ساعة مبكرة من صباح يوم السابع عشر من رجب سنة (١٣٩٩ هـ)، كانت الشهيدة بنت الهدى أوّل من خرجت لإشاعة هذا النبأ، وكسر طوق التعتيم البعثي الذي كانوا يخيّمونه على جرائمهم، فنطقت صارخة في حرم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، وأدّت دورها البطولي الرائع في إبلاغ خبر اعتقال هذا المرجع العظيم من قبل جلاوزة السلطة الغاشمة، وسرعان ما اشتهر هذا النبأ في أوساط المؤمنين المخلصين للسيد الشهيد رحمه الله في النجف الأشرف، وكان الخبر في

---

(١) مذكراتي عن الشهيدة بنت الهدى (كتاب مخطوط).

باديْ الأمر على شكل شائعة غير مؤكّدة، وكان جلاوزة الأمن واقفين على باب دار السيد الشهيد يراقبون الأوضاع عن كثب خشية وقوع حادثة، أو ردّ فعل معيّن.

وبعد التأكّد من الخبر وقع الاضطراب والبلبلة في أوساط المؤمنين، وكانت تخيّم علينا حالة التحيّر والشك في الوظيفة العملية، رغم إحساس الجميع بضرورة وقوع ردّ فعل جماهيري عظيم تجاه هذه الجريمة النكراء التي قامت بها السلطة الظالمة، ولكن كلّ يقول ماذا نصنع؟ كيف نتحرّك؟ ما هي الوظيفة؟ ما هو الأسلوب؟

وأنا بدوري شعرت أيضاً بأنّ هذه ساعة حرجة، لابدّ فيها من اتّخاذ موقف سريع، فذهبت مع أحد الأُخوة المؤمنين ـ من طلاب السيد الشهيد ﷺ إلى بيت شخص آخر من زملائنا الأعزّاء، فعقدنا هناك اجتماعاً ثلاثياً للتخطيط حول ما يجري صنعه في هذه الساعات الحرجة، فكانت نتيجة هذا الاجتماع هو التصميم القاطع بتنظيم مظاهرة جماهيرية للاحتجاج على هذه الجريمة النكراء، مع وضع الخطة الكاملة من حيث تعيين مكان التجمّع، وساعة الانطلاق، وكيفيّة الإعداد، فقد عيّنا الحرم الشريف مكاناً للتجمع، وصمّمنا على الانطلاق من هناك على رأس الساعة العاشرة بعد قراءة دعاء الفرج ـ وإنّما اخترنا دعاء الفرج من بين الأدعية المأثورة باعتبار أنّ هذا الدعاء ينتهي باسم الإمام الحجّة عجّل اللّه فرجه، وسيقوم الناس بطبيعتهم احتراماً لاسم الإمام ﷺ، فيكون هذا القيام إعداداً للانطلاق في المظاهرة، ـ وهكذا كان، فقد خرجت أنا وصاحبي من بيت ثالثنا لنبلّغ المؤمنين بهذا القرار، فمررنا بأكثر المدارس العلميّة في النجف، وبلّغنا من وجدنا فيها من الطلاب والمؤمنين، والتقينا بمن التقينا من المؤمنين أيضاً في الطرق والشوارع وبلّغناهم الأمر.

ولمّا قرب الموعد ذهبت إلى الحرم الشريف، وانتظرت هناك إلى أن حان الوقت، واجتمع عدد من المؤمنين، فشرعت بقراءة دعاء الفرج، وكان الجميع

يردّدون معي جملة جملة، إلى أن بلغنا اسم الإمام الحجّة (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف) فقمنا جميعاً إجلالاً له ، ثمّ بدأت الشعارات: اللّه أكبر اللّه أكبر، نصر من اللّه وفتح قريب، عاش عاش عاش الصدر... وانطلقت المظاهرة بركضة سريعة.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى مشاركة المرأة المسلمة العراقيّة في هذه الانتفاضة، حيث تواجد عدد من المؤمنات الرساليّات في الحرم الشريف، واشتركن في بداية المظاهرة، إلّا أنّ سرعة المظاهرة منعتهنّ عن إمكان الالتحاق بالرجال عند الخروج من الحرم الشريف، فتفرقنّ بطبيعة الحال، وتعرّض بعضهن إلى المراقبة والملاحقة من قبل أعضاء جهاز الأمن الإرهابي في العراق.

ولمّا انطلقت المظاهرة التحق بنا جمع غفير من المؤمنين من خارج الحرم الشريف، وسرعان ما اتّسع العدد أيضاً عندما دخلت المظاهرة شارع الإمام الصادق عليه السلام.

وحاولت أجهزت الأمن الإرهابيّة بشتّى الأساليب أن تفرّق المتظاهرين منذ خروجهم من الصحن الشريف فلم تستطع، حتّى اقتحمت سيارة الأمن جموع المتظاهرين وهم في شارع الإمام الصادق عليه السلام، فلم تحصل إلّا على ضربات قاسية على زجاجها من قبل المتظاهرين.

ثمّ واصلت المظاهرة طريقها في شارع الإمام الصادق عليه السلام إلى أن واجهت قوى أمنيّة مكثّفة من جهة الحرم الشريف، فحرفت مسيرها إلى جهة السوق الكبير من أحد الأزقة المؤدّية إليه، ولمّا دخلنا السوق وجدنا المحلات كلّها معطلة، فواصلنا السير في داخل السوق إلى أواخر السوق، حيث وقع الاشتباك بين المتظاهرين وجهاز الأمن الإرهابي، رغم تجرّد المتظاهرين من كلّ سلاح. وتعالت أصوات إطلاق الرصاص من قبل الجلاوزة، ثمّ رجع المتظاهرون في داخل السوق باتّجاه الحرم الشريف، حيث كان الجلاوزة ينتظرونا على مدخل السوق، فاضطررنا إلى الرجوع مرّة أُخرى من إحدى الأزقة إلى شارع الإمام الصادق عليه السلام، وبدأ التفرّق من

هناك، حيث هرب من هرب، وأُلقي القبض على الباقين.

ثمّ بدأت عملية إلقاء القبض على الناس بصورة عشوائيّة في أكثر شوارع النجف الأشرف، ممّا يدلّ على مدى الرعب والوحشية التي أُصيب بها الجلاوزة إثر هذه المظاهرة»[1].

وكان لهذه التظاهرة ـ رغم عفويّتها في التخطيط والتنفيذ ـ بالغ الأثر في إجبار السلطة على الإفراج عن السيد الشهيد، وتأجيل تنفيذ حكم الإعدام فيه، وقد نقل لنا المرحوم السيد علي بدر الدين أنّ برقية أُرسلت من السلطات المحليّة في النجف الأشرف إلى أحمد حسن البكر ذُكر له فيها أنّ تظاهرات كبيرة خرجت في النجف الأشرف احتجاجاً على اعتقال السيد الشهيد، وأنّ الأوضاع فيها على وشك الانفجار.

وقد حدّثني السيد الشهيد ﷺ: أنّ أُسلوب فاضل البرّاك مدير الأمن العام كان قاسياً، ولهجته فَضة حينما كان يستجوبني، «وفي أثناء ذلك دخل عليه شخص، فسلّمه ورقة صغيرة، فلمّا قرأها غيّر من أُسلوبه معي في التحقيق، وبعد ذلك بدقائق دقّ جرس الهاتف، وبدى لي أنّ المتحدّث معه كان شخصية كبيرة، إذ كان فاضل البرّاك يُجيب بعبارات من مثل: نعم سيدي، أمرك سيدي، وما شابه ذلك».

وقد علمنا فيما بعد أنّ المتحدّث كان هو المقبور أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية آنذاك.

قال السيد الشهيد:

«شعرت أنّ شيئاً ما قد حدث غيّر من مجرى التحقيق معي، وإن كنت لا أعرف حدوده، إلى أن قال لي فاضل البرّاك: ماذا فعلنا حتّى تخرج تظاهرات في النجف والكاظميّة احتجاجاً على ما يسمّونه اعتقالاً لكم، إنّ هذه زيارة وليس اعتقالاً!!!».

---

(١) هامش كتاب (دروس في علم الأُصول)، ج ١ من القسم الثاني، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

وكان المجرم (أبو أسماء) مساعد مدير الأمن العامّ ـ وهو تركماني وعضو في حزب البعث العربي !! ـ أوّل من استقبل السيد الشهيد في مديرية الأمن العامّة في بغداد، وقال له بلهجة ساخرة: (سيدنا ضعفان)، فأجابه ﷺ بلهجة خشنة: «كلا، لست كذلك، أنا طبيعي جدّاً».

وكان ردّ الفعل الجماهيري على اعتقال السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) سريعاً وقويّاً؛ وذلك لأننا تمكّنا من إخبار أحد تلاميذ السيد الشهيد في إيران بخبر الاعتقال، وهو بدوره أبلغ وكالات الأنباء العالميّة، ومنها وكالة أنباء الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران التي بثّت الخبر، وأذاعه راديو طهران بقسميه الفارسي والعربي، وبهذا الأسلوب تمكّنا من نشر الخبر على أوسع نطاق، وكان طريقنا للاتّصال يتمّ من خلال هاتف سماحة الأخ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمّد باقر المهري، الذي كان قد هاجر من العراق، وترك لنا منزله للاستفادة من الهاتف الذي لم يكن تحت المراقبة.

ولهذا السبب فإنّ ردود الفعل على حادث الاعتقال شملت عدّة مُدن في وقت واحد تقريباً، كان منها النجف، والسماوة، وديالى، والثورة، وجديدة الشط، والكاظميّة، وناحية الفهود، وغيرها من المدن، ممّا أرعب السلطة وأقلقها، والفضل في ذلك كلّه يعود إلى وسائل الإعلام[١].

وعلى كلّ حال، فإنّ فاضل البرّاك غيّر من أسلوبه في التحقيق، فقال للسيد الشهيد: لم يكن هدفنا اعتقالكم، بل أحببنا أن نتعرّف بشكل مباشر منكم على الأحداث.

فقال له السيد الشهيد ﷺ: وهل يتطلّب ذلك طرح هذا العدد الكبير من

(١) كان السيد الشهيد ؛ يخطّط قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران لشراء وقت محدود، كنصف ساعة مثلاً من إذاعة (مونت كارلو) لنشر الثقافة الإسلاميّة، والدعوة إلى الإسلام، وكان ـ على ما أتذكّر ـ قد كلّف أحد الإخوة من الطلبة اللبنانيين بدراسة إمكانيّة تنفيذ هذا المشروع إيماناً منه بأهميّة الإعلام، ودوره في خدمة القضايا الإسلاميّة.

الأسئلة، وبهذا الأسلوب. ثمّ هل يستدعي ذلك تطويق بيتي من العصر حتّى الصباح، وبهذا العدد الكبير من القوّات.

فقال: إنّ هذا خطأ ارتكبه مدير أمن النجف، وكنّا قد قلنا له: إنّنا نريد أن نستفسر من السيد الصدر عن بعض الأمور، وطلبنا منه أن يصحبكم إلى بغداد بكلّ احترام!! ثمّ قال: إن أحببت العودة إلى النجف فأنت حرّ، وأهلاً بك.

قال لي السيد الشهيد ﵁:

«رفضت الإفراج عنّي والعودة إلى النجف، إلّا إذا أُفرج عن مرافقيّ، وعن جميع الذين اعتقلوا في هذه الأحداث».

فقال فاضل البرّاك: أمّا المرافقان فنعم، سيفرج عنهما فوراً، وأمّا الآخرون، فإنّ هذا يحتاج إلى قرار من السلطات العليا».

ووعد السيد الشهيد أن يتوسّط شخصيّاً لدى رئيس الجمهوريّة أحمد حسن البكر للإفراج عنهم. وذكر أيضاً أنّ قسماً منهم قد قَتَلَ أو جَرَحَ عدداً من قوّات الأمن، فلا يمكن لمديريّة الأمن الإفراج عنهم؛ لأنّه خارج عن صلاحيّاتها.

لم يقتنع السيد الشهيد بكلامه، ولم يثق بوعده، فرفض العودة إلى النجف إلّا بعد تنفيذ هذا الشرط. هنا حاول البرّاك أن يتوسّط وبحضور السيد الشهيد، إلّا انّ محاولته فشلت، وأقسم أمام السيد الشهيد على أن يفرج عنهم في أقرب فرصة ممكنة.

عاد السيد الشهيد إلى النجف الأشرف، فأخبرته بأنّ اعتقالات واسعة شملت وكلاءه وعدداً كبيراً من المؤمنين، وخاصّة أُولئك الذين اشتركوا في وفود البيعة، فقال لي:

«كان ظنّي أنّ ذلك قد حدث وأنا في مديريّة الأمن العامّة: لأنّني أعلم أنّ السلطة لن تكتفي باعتقالي فقط، بل أنّها ستعتقل عدداً كبيراً من المؤمنين».

ثمّ أمر (رضوان اللّه عليه) سماحة الأخ حجّة الإسلام السيد محمود الخطيب (حفظه اللّه) أن يتّصل بفاضل البرّاك، ويطالبه باسم السيد الشهيد بالإفراج عن جميع المعتقلين. وفعلاً فقد تمّ الإفراج عن عدد كبير منهم، واحتجز آخرون.

وكان ممّن اعتقل إثر انتفاضة رجب ثلّة من العلماء الأفاضل، وقد استشهد بعضهم فيما بعد خلال فترة الاحتجاز، وهنا أذكر أسماء البعض ممّن استشهدوا أو اعتقلوا على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ آية اللّه المجاهد الشهيد السيد قاسم شبّر ﷺ. ويعتبر هذا السيد الجليل (شيخ الشهداء)، استشهد وعمره قد جاور التسعين.

٢ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام السيد قاسم المبرّقع.

٣ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام الشيخ عبدالجبار البصري.

٤ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام الشيخ سامي طاهر العلي.

٥ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام الشيخ محمّد علي الجابري.

٦ ـ الشهيد السعيد حجّه الإسلام الشيخ عبدالجليل مال اللّه.

٧ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام السيد محمّد حسين المبرّقع.

٨ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام السيد عبدالرحيم الياسري.

٩ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام الشيخ عبدالأمير الساعدي.

١٠ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام الشيخ خزعل السوداني.

١١ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي السماوي.

١٢ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام الشيخ محمّد يونس الأسدي.

١٣ ـ الشهيد السعيد حجّة الإسلام السيد عزالدين الخطيب.

١٤ ـ سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن عبدالساتر.

١٥ ـ سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عفيف النابلسي.

١٦ ـ سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيد حسين الصدر.

١٧ ـ سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيد حسين السيد هادي الصدر.

١٨ ـ سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر الحائري.

١٩ ـ الشهيد سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عبدالرحيم فرج اللّه.

وقائع التحقيق:

يقول السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه): «إنّ كلّ الدلائل كانت تُشير إلى أنّ السلطة كانت عازمة على إعدامي، وكان فاضل البرّاك متشنّجاً، مكفهرّ الوجه، خشن المعاملة»

وأنا هنا أذكر بعض ما سمعته من السيد الشهيد ﷺ فيما يتعلّق بالتحقيق الذي جرى معه في يوم (١٧) رجب عام ١٣٩٩ هـ.

فاضل البرّاك: ما هي علاقتكم بالسيد الخميني؟

السيد الشهيد: علاقة العالِم بالعالِم.

البرّاك: الخميني سياسي، وليس عالم.

السيد الشهيد: أنا لا زلت أعتقد أنّه عالم ديني، ومرجع من مراجع المسلمين.

البرّاك: الخميني زعيم دولة، ونحن نعتبر أيّ علاقة به خارج القنوات الدبلوماسيّة للدولة العراقيّة نوعاً من العمالة.

السيد الشهيد: فسّروا ذلك بما شئتم، أمّا أنا، فسيبق السيد الخميني في نظري مرجعاً من مراجع المسلمين.

البرّاك: لماذا أصدرت بيانات تؤيّد فيها الثورة الإسلامية في إيران؟

السيد الشهيد: واجبي الشرعي فرض عليَّ ذلك، وليس فيها ما يضرّكم.

البرّاك: هذا شأن الدولة، لا المواطنين.

السيد الشهيد: ما صدر منّي لا يخالف سياسة الدولة، أنتم تقولون نحن نؤيّد الثورة الإسلاميّة، وهذا الموقف ينسجم مع موقفكم.

البرّاك : إنّنا نعتبر ذلك تجاوزاً للسلطة والقانون ، إلاّ إذا تمّ بإشرافنا وموافقتنا ، ومن خلال القنوات الدبلوماسيّة .

السيد الشهيد : أنا عملت بتكليفي الشرعي والأخلاقي ، وليس وراء ذلك أهداف أو أغراض سياسيّة .

البرّاك : ما هو الهدف من زيارتك لبيت السيد الخميني في اليوم الذي غادر فيه العراق ؟

السيد الشهيد : هكذا هي العلاقة بين العلماء . لقد ذهبت لتوديعه ، وهذا يؤكّد ما قلته سابقاً من أنّ علاقتي بالسيد الخميني قائمة على أُسس غير سياسيّة ، إنّ زيارتي له كانت قبل انتصار الثورة .

البرّاك : ماذا يعني السيد الخميني بالبرقية التي بعثها لك ؟

السيد الشهيد : ...... (لا جواب) .

البرّاك : أين السيد محمود الهاشمي ؟ علمنا أنّه ذهب إلى إيران ليمثّلكم هناك ؟

السيد الشهيد : ...... (لا جواب) .

البرّاك : ألا يُعتبر إرسال السيد محمود الهاشمي إلى إيران عملية تحريض ضدّنا ؟

السيد الشهيد : فسّروا ذلك بما شئتم .

البرّاك : الوفود التي جاءت إلى النجف ، من نظّمها ؟ ومَن يقف خلفها ؟ وما هو الهدف منها ؟

السيد الشهيد : الشعب العراقي كان وراءها ، وهو الذي نظّمها ، جاءوا يطلبون منّي البقاء بينهم .

البرّاك : وهل كنت تنوي مغادرة العراق ؟

السيد الشهيد : كلا .

البرّاك : إذاً ألا تعتبر أنّ ذلك تحريض مدروس ، واتّفاق مسبق بينك وبين السيد الخميني ، قام بتنسيقه السيد محمود الهاشمي للإطاحة بالسلطة عن طريق تحريض

الجماهير علينا ؟

السيد الشهيد : ليس بيننا اتّفاق على شيء .

البرّاك : إذاً لماذا طلب منك البقاء في العراق ؟ هل لكي تقود الثورة ضدّنا بمساعدة إيران[1] .

السيد الشهيد : ليس لإيران ، ولا لأيّ دولة أُخرى يد في ذلك ، كلّ الذين جاءوا هم من أبناء العراق ، وأنتم تعرفون ذلك .

البرّاك : إنّنا نعتبر ذلك تحريضاً للشعب للإطاحة بالحزب والثورة .

السيد الشهيد : أنتم تقولون نحن أقوياء بما فيه الكفاية ، فهل يستطيع هؤلاء الإطاحة بالثورة من خلال تظاهرات سلميّة غير مسلّحة ، وفي النجف ؟

البرّاك : لقد ثبت لدينا أنّكم تحرّمون الانتماء لحزب البعث ؟

السيد الشهيد : ..... (لا جواب).

البرّاك : إنّ كلّ واحدة من هذه الأُمور تستحقّ عليها الإعدام .

السيد الشهيد : أنا في قبضتكم ، فافعلوا ما شئتم .

وهنا دخل أحد الأشخاص وسلّم البرّاك ورقة صغيرة ، ثمّ دقّ جرس الهاتف ، وبعدها أُفرج عن السيد الشهيد كما ذكرنا .

أمّا الاعتقال الرابع الذي انتهى إلى الاستشهاد ، فسوف نتحدّث عنه فيما بعد إن شاء اللّه تعالى .

محاولات الاغتيال:

من التاريخ غير المعروف للسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) هو محاولات الاغتيال التي تعرّض لها ، أو التي خطط لها النظام ، ولم يتمكّن من تنفيذها ، وسوف

---

(١) في خطاب للمجرم صدام التكريتي ـ مسجّل على شريط فيديو ـ شتم فيه السيد الشهيد ، وعبّر عنه بـ(المقبور) ، وأشار فيه إلى ذلك الانطباع عن السيد الشهيد على أنّه ينوي قيادة الثورة في العراق للإطاحة بالحكومة بتحريض من إيران .

أُسجّل أهمّ تلك المحاولات تخطيطاً وتنفيذاً.

المحاولة الأُولى:

كان المفروض أن تُنفذ هذه المحاولة بعد فترة قصيرة من اليوم الذي أُفرج فيه عن السيد الشهيد بعد أحداث رجب، فقد اتّصل المجرم فاضل البرّاك وكذلك مساعده المجرم (أبو أسماء) بعد وصول السيد الشهيد إلى النجف فطلبا أن يعود السيد الشهيد إلى وضعه السابق من التدريس ومقابلة الناس، وألحّا في الطلب على قاعدة «يكاد المريب أن يقول خذوني» ممّا أثار لدينا الشكوك في النوايا الحقيقيّة من هذا الطلب.

بعد ذلك ونحن في الاحتجاز علمنا من المرحوم السيد علي بدرالدين أنّ السلطة كانت قد أعدّت مخطّطاً لاغتيال السيد الشهيد، وكانت الخطّة تقضي بأن يُفتعل شجار بين بعض أفراد الأمن في سوق العمارة، أو في الطريق الذي يمرّ منه السيد الشهيد، وأثناء الشجار والعراك يطلق أحدهم النار في الوقت المناسب باتّجاه السيد الشهيد ويؤدّي ذلك إلى قتله خطأً حسب الخطة، ثمّ تقوم السلطة بإعدام القاتل، وبذلك العمل تتخلّص من أعتى وأعند معارض لها.

وفي الفترة التي رفعت فيها السلطة الحجز جزئيّاً طلب مدير أمن النجف المجرم (أبو سعد) من السيد الشهيد العودة إلى وضعه الطبيعي، وكان ذلك لنفس الهدف.

وكان أحد أفراد قوّات الأمن المحيطين بمنزل السيد الشهيد قد سأل - في تلك الفترة - الحاج عباس عن الوقت الذي سيخرج فيه السيد الشهيد لزيارة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، بل كان بعضهم يقول له: لماذا لا يخرج السيد الصدر، لقد رفعت السلطة الحجز عنه، قل له فليخرج. وبسبب هذا الإلحاح أدرك الحاج عباس رغم بساطته أنّ السلطة تنوي إنهاء حياة السيد الشهيد، ولم يكن على علم بأنّ السيد علي

بدر الدين قد أخبرنا بذلك.

المحاولة الثانية:

قام بها النظام بواسطة عمليه المجرم (......) وهو عطّار يمتلك دكاناً في سوق العمارة في النجف الأشرف، وكان يتظاهر بالتديّن والالتزام، والاهتمام البالغ بشعائر الإمام الحسين عليه السلام.

بدأت محاولة تنفيذ هذه العمليّة عندما أُصيب السيد الشهيد رضي الله عنه بألم في مفصل رجله اليسرى، فطلب من خادمه الحاج عباس شراء دهن (الفكس) المعروف لعلاج مثل هذه الأوجاع.

ذهب الحاج عباس، واشترى الدهن من هذا العطّار، وفي أثناء ذلك سأله: لمن هذا الدواء؟ فقال الحاج عباس: السيد يشكو من ألم في رجله اليسرى، وهذا الدواء له.

في اليوم الثاني وبينما كان الحاج عباس يمرّ من أمام دكانه ناداه بعد أن التفت يميناً وشمالاً، ليوهم الحاج عباس بأنّه يريد أن يطمئن من خلوّ المكان من شرطة الأمن حذراً وخوفاً من أن يكونوا على مقربة منه، فناوله جهازاً صغيراً وقال له: إنّ أخي طبيب وقد أعطاني هذا الجهاز وهو خاصّ بمعالجة أوجاع الرجل، فاعطه للسيد الصدر، وقل له أن يضعه في جيب القباء (الصاية) المحاذي لرجله المصابة، فانّه لا يمرّ عليه يوم وليلة إلّا ويشفى من كلّ الأوجاع.

استلم الحاج عباس الجهاز، وجاء به إلى البيت، وكنت قبل ذلك قد أطلعته على وجود أجهزة لإرسال واستراق الصوت وحذّرته من الحديث معي إلّا في الأماكن التي حدّدتها له، وكان منها غرفة مكتبة السيد الشهيد.

جاء الحاج عباس وكنت جالساً في المكتبة فأخبرني بما جرى، وكان قد وضع الجهاز في إحدى الغرف التحتيّة، فقلت له: اذهب وأتني به، وضعه أمامي من دون

أن تتكلّم بشيء حتّى السلام. لقد كنت أتوقّع أنّه جهاز لاستراق الصوت، ثمّ أخبرت السيد الشهيد وأُخته الشهيدة (رضوان اللّه عليهما) فشاهدا الجهاز، وكنّا أثناء ذلك لا نتكلّم وكنّا نتخاطب عن طريق الكتابة.

كان اسطواني الشكل، طوله أقلّ أو أزيد من عشرة سانتيمترات، وتوجد في كلّ طرف من طرفيه عدسة زجاجية تشبه عدسة آلة التصوير إذا نظرت من أيّهما لا ترى الطرف الآخر، قمت بفتح الجهاز بصعوبة كبيرة، فوجدت في داخله جهازاً للتوقيت متّصلاً بمادة متفجّرة مكبوسة داخل وعاء معدني، وجهاز التوقيت يسير بحركة لولبيّة باتّجاه نقطة معيّنة، ولم أعثر على قطع الكترونيّة تدلّ على أنّه جهاز لاستراق الصوت.

شاهد السيد الشهيد ﷺ محتويات الجهاز، وأيقنّا جميعاً بأنّه متفجّرة موقوتة، فقال: لعنك اللّه يا ..... إذا كنت تريد قتلي، فما ذنب هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين أنهكهم الحجز وحرمهم من أبسط ما يتمتّع به الأطفال. وكان (رضوان اللّه عليه) يتسلّى بأطفاله في فترة الحجز وهم يتسلّون به بعد أن حرمهم النظام من كلّ حقّ لهم في الحياة، وها هو اليوم يبعث لهم بمتفجّرة ليبيدهم وهم في المحنة.

قلت للسيد الشهيد: ماذا أفعل بالجهاز، هل أدمّره؟ فقال: كلا ارجعه إليه. قلت له: فلنقتله به، قال: أنت وشأنك.

وبقيت أُراقب جهاز التوقيت وهو يتحرّك باتّجاه النقطة المعدنيّة المفروض أنّه سينفجر إذا اتّصل بها، وكنت قد خمّنت أنّ ربع ساعة هي المتبقّية لانفجاره، فقمت بشدّه وإعادته إلى حالته الأُولى، ثمّ أخذه السيد الشهيد وأعطاه للحاج عباس، وقال له: قل لـ ....: إنّ السيد لا يحتاج إلى هذا العلاج.

أخذه الحاج عباس ـ وهو لا يعلم أنّه متفجّرة ـ وسلّمه لـ ..... وهنا كانت المفاجأة، لقد قفز ...... وراح يركض بسرعة، وترك دكانه مفتوحاً وهو بحالة من الرعب والخوف الشديدين.

جاءني الحاج عباس، وقال لي: إنّ ...... أُصيب بالجنون عندما سلّمته الجهاز، لقد فعل كذا وكذا، ولم يكن أحد من قوّات الأمن في السوق كي يخشى إلى هذا الحدّ. وكان الحاج عباس يظنّ أنّ هذا الشخص فعل ذلك خوفاً من قوّات الأمن.

وهكذا فشلت هذه المحاولة القذرة التي أرادت السلطة تنفيذها على يد شخص هو أبعد ما يكون ـ حسب الظاهر ـ عن أجواء الشكّ والريبة، وعن العمل مع أجهزة السلطة الإرهابيّة، خاصّة أنّه لا يحمل الجنسيّة العراقية، بل كان معرّضاً للتسفير في أي وقت.

المحاولة الثالثة:

بعد فشل تلك المحاولة سعت السلطة إلى القيام بعملية إبادة جماعيّة للسيد الشهيد وعائلته، وكادت هذه العملية أن تنجح لولا رحمة اللّه ـ عزّ وجلّ ـ.

ونُفّذت هذه العملية بالشكل التالي:

أمرت أجهزة الأمن مصلحةَ المياه بفتح أُنبوب الماء الكبير الذي يغذّي المنطقة التي يقع فيها منزل السيد الشهيد من أقرب نقطة من المنزل بحيث يتمّ ضخّ الماء تحت منزل السيد الشهيد، واستمر ضخّ الماء بقوّة كبيرة لمدّة عشرين ساعة تقريباً ـ وهي المدّة التي قُطع الماء فيها في ذلك اليوم عن المنطقة ـ، وكان المفروض أن يكفي ذلك لانهيار المنزل على من فيه. ولم نكن نعلم في ذلك الوقت بما حدث، إلّا أنّنا لاحظنا حركة غير طبيعية لقوّات الأمن التي كانت تحاصر منزل السيد الشهيد، فقد ابتعدوا عن المكان حتّى أنّنا استغربنا من خلوّ الزقاق منهم، وكان المارّ يظنّ أنّ الحجز قد رفع.

في اليوم الثاني لاحظنا أنّ السرداب قد هوى بأكمله إلى الأسفل مسافة لا تقلّ عن خمسة أمتار، وبقي البيت معتمداً على بعض الأعمدة وكأنّه معلّق في الهواء. وكان منظراً مخيفاً، لا ندري في أي لحظة سينهار ويقتل كلّ من فيه.

ولمّا لم يحدث ذلك اضطرّت السلطة إلى فحص الزقاق الذي يتواجد فيه أفراد الأمن عن طريق حفر عدّة أماكن من الزقاق لمعرفة ما إذا كان قد حصلت فيه انهيارات أرضيّة تحت التبليط أو لا ، فلمّا تأكّدت من عدم وجود خطر أمرت قوّاتها بالعودة إلى أماكنهم الأولى .

وكان قد أُشيع ونحن في الحجز أنّ السلطة وجّهت أشعة قاتلة من مكان قريب من المنزل باتّجاه بيت السيد الشهيد لقتله ، ولم يتيسّر لنا التأكّد من صحّة تلك المعلومة أو نفيها .

المحاولة الرابعة:

وأراد أنّ ينفّذها ضابط في الجيش ، أو المخابرات العسكريّة ، وكان بيته مجاوراً لمنزل السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) ، فقد اتّفقت معه السلطة على أن يقوم بدور المفاوض حول فكّ الحجز عن السيد الشهيد ، ثمّ يقوم بقتله في داخل البيت .

وهذا الرجل الذي هداه اللّه ـ تعالى ـ فيما بعد ونال درجة الشهادة كان لا يعرف السيد الشهيد رغم الجوار ، والسبب يعود إلى قلّة تواجده في النجف ، وكان يظنّ أنّ (السيد كاظم الكفائي)[1] هو السيد الشهيد الصدر ، وكان يعلم أنّ الكفائي ممّن يسهل قتله ، فأعلن عن استعداده للقيام بعملية الاغتيال .

وفي يوم من الأيام جاء يطلب موعداً من السيد الشهيد على أساس أنّه مبعوث من قبل السلطة ، ولم نكن نعرف حقيقة هذا الشخص ، وأنّه يسكن في دار مجاورة لمنزل السيد الشهيد ﵁ فلمّا التقى بالسيد الصدر أُصيب برعدة شديدة ، وظلّ يرتجف كالسعفة ، ممّا أثار استغراب السيد الشهيد ﵁ ، فسأله عن سبب ذلك ، فقال : سيدي ، إنّ السلطة بعثتني لقتلك ، وهذا المسدّس أحمله لتنفيذ هذه المهمة ، أمّا

---

(١) الكفائي أحد الأشخاص المتلبّسين بلباس الدين ، وهو يعمل للسلطة ويدور في فلكها ، وهو معروف بذلك لدى معظم أهالي النجف .

الآن فمن المستحيل أن أفعل ذلك، إنّني اهتزّ من أعماقي، ولا أعرف السبب، أرجو منك المعذرة، فقد كنت أتصوّر أنّ الهدف المطلوب هو كاظم الكفائي.

سأله السيد الشهيد: كيف حدث ذلك، وكيف تمّ اختياركم لتنفيذ الاغتيال؟

فقال: جاء ضابط كبير من المخابرات، فجمع الضبّاط الشيعة من أهل النجف، وقال لنا: هناك عميل لإيران، وعدوّ للثورة في النجف، من منكم على استعداد لاغتياله في بيته؟ فقلت له: أنا مستعدّ لذلك، وحينئذٍ كلّفوني بهذه المهمّة، ووعدوني بمنصب كبير بعد إنجازها، وأنا الآن أتوب إلى اللّه ـ تعالى ـ على يدكم، وسوف انتقم منهم بكلّ ما يتاح لي من وسائل.

هذه أهمّ محاولات الاغتيال التي تعرّض لها السيد الشهيد تخطيطاً أو تنفيذاً.

الرقابة الأمنيّة

منذ أن عسعس ليل البعث على العراق هرعت كلاب السلطة لتنتشر في كلّ مكان، ترصد الشرفاء والأخيار من أبناء العراق، وتحصي عليهم كلّ صغيرة وكبيرة، ولا أعتقد أنّ بلداً من بلدان العالم يملك منظّمة للتجسّس والإرهاب ضد شعبه ومواطنيه، وخاصّة الشرفاء وأصحاب المبادئ منهم مثل العراق.

لقد شكّل نظام البعث الحاكم في العراق مؤسّسة إرهابيّة لقمع الشعب سمّاها (مديريّة الأمن العامّة)، وشكّل أُخرى باسم (الاستخبارات العسكريّة)، لقمع الجيش والقوّات المسلّحة، وشكّل منظمة أُخرى لمراقبة تلك المنظّمات سماها العلاقات العامة لمجلس قيادة الثورة والتي تحولت إلى جهاز المخابرات الذي يشرف عليه شخص صدام، هذا بالإضافة إلى حزب البعث نفسه الذي حوّله إلى مؤسّسة أمنيّة هدفها التجسّس وقمع الشعب وكذلك المنظمات المهنية كاتحاد النساء والطلبة والعمال والجمعيات الفلاحية، مضافاً إلى منظمة الجيش الشعبي الذي أراد بها ضبط موظفي الدولة وتسخير إمكاناتهم في خدمة القمْع والتجسس.

وتفنّن في عمل تلك التشكيلات ، وأساليب قمعها للناس.

وتجاوزت سلطة البعث (القانون) حيث وضع جميع الصلاحيات التشريعية والقضائية والتنفيذية بيد ما يسمى بمجلس قيادة الثورة الذي شكّل في الغالب من أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث . فلا مانع من اعتقال أيّ أحد ، أو اقتحام بيته ، أو سجنه ، أو إعدامه ومصادرة أمواله ، أو ما تشاء من ظلم وتعسّف على أساس أنّ القانون هو قرار مجلس قيادة الثورة ورئيسه والأجهزة المخولة منه . وتبرير كلّ ذلك بفكرة الخطر المحدق بثورة تموز من قبل الصهيونيّة والإمبرياليّة والرجعيّة !! ولا زال هذا الخطر ، وسيبقى ما دامت السلطة تحكم العراق !.

وكان من الطبيعي أن تتكثّف طاقات السلطة وتتوحّد جهودها تجاه السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) ، الذي يعتبر ألدّ أعداء الفكر المادّي الصليبي الذي يحكم العراق .

واتّخذت المراقبة الأمنيّة صوراً متعدّدة ، وأشكالاً مختلفة حسب الظروف والأوضاع ، أذكر منها ما يلي :

١ ـ المراقبة البشريّة:

جنّدت السلطة عدداً من عملائها المعروفين من أمثال المنحرف أمين الساري ، وثمين البصري وأشباههم من المنحرفين ، كما جنّدت عدداً آخر من المتستّرين والمتخفّين لمراقبة السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) ، ومن يتردّد على منزله من أبناء الأمّة ، ومن الطلبة والعلماء .

والحقيقة أنّ كلّ ما نكتب عن هذا المجال لا يعبّر عن الحقيقة بحجمها الحقيقي والواقعي ، إذ أنّ هذه المراقبة امتدّت بامتداد عمر السيد الشهيد نفسه ولم تنته إلّا باستشهاده .

ولقد وجدت اللّه عزّ وجلّ مع السيد الشهيد ﷺ في كلّ تلك الفترة ، يسدّده

ويرعاه ويستره من عيون أعدائه الذين خابوا وخسروا في طول تلك المسيرة الشاقّة.

٢ ـ المراقبة الالكترونيّة:

أحسّت السلطة أنّ مراقبتها للسيد الشهيد ﵀ عن طريق أفراد الأمن ومنهم بعض المتستّرين بلباس أهل العلم لم تحقّق الأهداف المتوخّاة، فلجأت إلى التجسّس عن طريق الأجهزة الالكترونيّة.

بدأ تنفيذ هذه الخطوة بعد أن أصدر السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) فتواه الشهيرة بحرمة الانتماء لحزب البعث العميل الكافر، وعدم تمكّن الرقابة البشريّة من رصد هذه الخطوة في الوقت المناسب، ممّا شكّك السلطة في دقّة مراقبة أجهزتها الأمنيّة للسيد الشهيد ﵀.

وكان المتوقّع أن تلعب هذه الأجهزة دوراً فعّالاً في أداء مهمّاتها التجسّسيّة لو لم نكتشفها في الوقت المناسب، ونتّخذ الاحتياطات اللازمة التي من شأنها إبطال فعّالياتها في تحصيل المعلومات التي كانت السلطة تتوخّاها منها.

واستعملت السلطة أُسلوبين للتجسّس الالكتروني، أحدهما: الأجهزة السلكيّة التي تزرع في جهاز الهاتف، والآخر: الأجهزة اللاسلكيّة التي تزرع في نقاط كهربائيّة داخل المنزل لتستمدّ الطاقة الكهربائيّة منها، وتبعث الأصوات عن طريق الذبذبات اللاسلكيّة.

فقد قامت السلطة بنصب جهاز الكتروني دقيق داخل هاتف منزل السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) مهمّته التقاط الأصوات بدقّة عجيبة في حالة عدم استعمال الهاتف، فيكون هذا الجهاز بمثابة لاقطة صوتيّة تعمل ليل نهار من دون انقطاع.

وبدأت قصّة هذه المحاولة حينما وجدنا في صباح يوم من الأيام جهاز الهاتف عاطلاً عن العمل، وكان المتصوّر أنّ خللاً بسيطاً حدث فيه، وهو أمر طبيعي يحدث

لكلّ هاتف ، فاتّصلنا بدائرة الهاتف ، وطلبنا إصلاح العطل ، هنا حاول عامل البريد والهاتف أن يُعتّم علينا وهو لاشكّ يعمل ضمن مديريّة أمن النجف ، فطلب الانتظار قليلاً ليفحص خطّ الهاتف ، وبعد دقائق أخبرنا بأنّ الخطّ سالم ولا عيب فيه ، وإنّما الخلل في نفس هاتف المنزل ، فطلب إحضاره ليقوم بإصلاحه .

إلى هذا الحدّ كانت الأُمور طبيعيّة ، ولم تحصل حالة من الشكّ ، وبعثنا بالهاتف إليهم ، ووعدنا بإصلاحه بعد ساعة أو أقلّ ، ولكن خلال هذه الساعة تذكرت أنّ في المنزل هاتفاً آخر فحاولت الاستفادة منه بدلاً عن الهاتف العاطل ، فوجدت أنّ هذا الجهاز لا يعمل أيضاً ، ممّا أثار الشكّ في تصرف دائرة البريد والهاتف .

وبعد ساعة استلمنا الهاتف ، وكان من حُسن الصدف أنّ هاتفاً آخر من نفس النوع والشكل كان بحوزتنا فقمت بفتحهما معاً للمقارنة بين أجهزتهما الالكترونيّة ، ومعرفة ما إذا كانت السلطة قد أحدثت شيئاً فيه ، وكان الظنّ أنّها تحاول زرع متفجّرة لقتل السيد الشهيد ﷺ ، إذ لم يكن يخطر ببالنا أن توجد أجهزة الكترونيّة يمكنها أن تسترق الصوت من خلال الهاتف .

وفتحت الهاتف ، فوجدت فيه جهازاً زُرع في نقطة معيّنة منه ، فأخبرت السيد الشهيد ﷺ وبعض الإخوة من طلابه ، فاطّلعوا عليه ، وشاهدوا هذا الجهاز الغريب ، وكنّا في حالة من الشكّ والريب في حقيقته ، هل هو متفجّرة أو شي آخر .

وعلى كلّ حال ، فقد أمرني (رضوان اللّه عليه) بالاحتياط ، إلّا أنّي وفي نفس اليوم استطعت أن أتأكّد من حقيقته ، فقد ثبت ومن خلال تجارب بسيطة أنّه جهاز لالتقاط الصوت ، ويتمتّع بحسّاسيّة عالية جدّاً .

وبعد أن تأكّدنا من ذلك استدعى السيد الشهيد ﷺ خاصّة طلابه والمقرّبين منه ، فأطلعهم على هذا الأمر ، وطلب منهم الاحتياط التامّ ، وأن لا يتحدّثوا بشيء مهمّ إلّا إذا أشار إليهم بأن لا محذور من ذلك .

وكان لهذا الجهاز فوائد كثيرة ، فمن فوائده أنّنا استطعنا أن نستغلّه لتضليل

السلطة والتعتيم عليها، فقد كنّا نضع الجهاز في غرفة السيد الشهيد التي يعقد فيها اجتماعاته الخاصّة، وكان يأتي عدد من طلابه فيجري البحث عن مسائل أُصوليّة وفقهيّة في نفس الغرفة مع السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه).

ومن جانب آخر كنت مع بعض الإخوة نقوم بتضليل السلطة بأُسلوب آخر، وبصورة مختلفة .. وكانت السلطة تعتقد أنّ العمليّة غير مكشوفة حتّى أنّ المجرم (نجم) وهو من أخبث عناصر الأمن في النجف استوقفني يوماً في الصحن الشريف، وقال لي: إنّنا نعلم أنّ السيد الصدر لا يكنّ عداءاً للثورة، وأنت أيضاً كذلك، ولكن أُحذّركم من بعض العناصر من أعضاء حزب الدعوة العميل الذين يتردّدون على بيت السيد الصدر .. وقال: إنّنا نعلم بكلّ تحرّكاتكم وتصرّفاتكم .. وكان يشير بذلك إلى هذا الجهاز، وقد استنتجنا من هذه القضية أنّ السلطات الأمنيّة قد وقعت تحت التضليل فعلاً.

ومن أضراره أنّنا لا نستطيع إخبار كلّ أحد بذلك، وخاصّة الزوّار والضيوف الذين يتردّدون إلى المنزل لزيارة السيد الشهيد ﷺ. إنّ الزائر يفترض بيت السيد الشهيد المكان الآمن الذي يمكنه فيه أن ينال من السلطة ومثالبها وجرائمها بكلّ حرية وأمان، والتحذير أو إخبارهم جميعاً بذلك سيؤدّي إن عاجلاً أو إجلاً إلى علم السلطة باكتشافنا للجهاز، الأمر الذي لم يكن السيد الشهيد ﷺ يرغب فيه، فكنّا بين محذورين، ومن هنا كنّا نواجه حرجاً كبيراً، ومشكلة مستعصية في كيفية التعامل مع الضيوف والزوّار.

وبسبب هذا الحرج اضطررنا وبعد فترة طويلة إلى فك الجهاز من الهاتف، وتخلّصنا من هذا الرقيب المزعج، الذي كان لا يفارقنا في الليل ولا في النهار. ومن الطبيعي أن تعلم السلطة بذلك. فقطعوا الخطّ الهاتفي على أمل أن نضطرّ إلى تكرار نفس العملية السابقة، ولمّا لم يحدث ذلك جاءوا إلى المنزل وقالوا: إنّ في هاتفكم عطلاً شلّ عمل خطوط المنطقة، وطلبوا إحضار الهاتف، فأتتهم الشهيدة بنت

الهدى ـ وكانت هي الوحيدة المطّلعة على تلك القضية ـ وأعطتهم هاتفاً آخر، فقالوا لها: إنّ جهازاً آخر غير هذا كان عندكم!! فقالت لهم: إنّ ذلك كان عارية وقد أخذها صاحبها وسافر إلى خارج العراق، فأخذوا الهاتف ونصبوا فيه جهازاً آخر، وبقي هذا الجهاز حتّى استشهاد السيد الصدر ﷺ.

٣ ـ التجسّس اللاسلكي:

أحسّت السلطة بواسطة عميلها المجرم (أمين الساري) ـ وهو متلبّس بلباس أهل العلم وهم منه براء ـ أنّنا في الاجتماعات الخاصّة للسيد الشهيد نقوم بنقل جهاز الهاتف إلى مكان آخر وكنّا نفعل ذلك بصورة طبيعيّة لا تثير الانتباه والشكّ، وهذا الإجراء كنّا مضطرّين إليه، وهو ممّا لابدّ منه، إلّا أنّ تكرّر ذلك قد سبّب نوعاً من الشكّ والارتياب، خاصّة وأنّ المجرم (أمين الساري) كان لا يفارق منزل السيد الشهيد ﷺ ما دامت أبوابه مفتوحة لاستقبال الزوّار في كلّ يوم، فكان يخبر مديريّة أمن النجف بكلّ ما يشاهده في منزل السيد الشهيد، ومنها اللقاءات والاجتماعات التي تتمّ في الغرفة الخاصّة بعيداً عن جهاز الهاتف الجاسوس.

من هنا فكّرت السلطة بنصب جهاز ثابت لاستراق السمع في نقطة من نقاط الكهرباء، مهمّته التقاط الأصوات في داخل الغرفة، وإرسالها بشكل ذبذبات لاسلكيّة إلى مكان قريب من منزل السيد الشهيد، لكي تلتقط من خلال أجهزة استقبال خاصّة.

وبدأت قصّة هذه المحاولة عندما قطعت السلطة التيّار الكهربائي عن بيت السيد الشهيد والبيوت المجاورة له، وعندما خرج السيد الشهيد لإلقاء بحث الخارج على طلابه في مسجد الطوسي ﷺ قبل الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، وكان المفروض أن أُرافقه إلى هناك لأحضر البحث، لكنّني كنت ساعة خروجه مشغولاً بإسباغ الوضوء، فتخلّفت عن مرافقته وفي تلك اللحظة جاءت مجموعة من رجال

الأمن بلباس عمّال الكهرباء وقالوا لخادم السيد الشهيد الحاج عباس : إنّ خللاً في بيت السيد سبب انقطاع التيّار الكهربائي في المنطقة ، وطلبوا الإذن بالبحث عن مكان الخلل ، فصعد أحدهم إلى الغرفة الخاصّة ، فقام بفتح نقطة كهربائيّة ، ثمّ وضع جهازاً صغيراً فيها ، ثمّ أوصله بالتيار الكهربائي ، وأعاد غلق النقطة إلى حالته الأُولى ، وكنت اُشاهد ما يجري من الحمام الذي كنت أتوضأ فيه وهو لا يشعر بوجودي ، أمّا البقية ، فقد ذهبوا إلى أماكن اُخرى ليموّهوا على الحاج عباس ، ولم ينصبوا أجهزة فيها ، وقد ثبت ذلك من فحصنا لتلك النقاط فيما بعد .

ولمّا خرجوا من البيت بعد أن ادّعوا أنّهم أصلحوا الخلل وضعت مفتاح التيّار الكهربائي (الفيوز) في حالة القطع ،كي لا يتمّ جريان التيّار إلى المنزل بعد إعادته إلى المنطقة ، خشية عمل ذلك الجهاز الذي نصبوه في الغرفة ونحن لا نعلم عن حقيقته شيئاً .

وبعد أن عاد السيد الشهيد ﷺ أخبرته بما حدث ، وشاهد الجهاز ، فحذّرني من فتحه ، ولمّا لم تكن لدينا وسيلة لمعرفة حقيقته قمت بفتحه من دون علم السيد الشهيد ، فوجدت فيه قطعاً الكترونيّة ، ولاقطة صغيرة جدّاً للصوت ، وحينئذٍ أخبرته ﷺ بذلك ، فأمرني بإرجاعه إلى مكانه ، وبإعادة التيّار الكهربائي إلى المنزل ، وأيضاً حذّر من يجب تحذيره من المقرّبين منه ، وحَسِبت السلطة أنّها نجحت هذه المرّة ، وستحصل على أخطر المعلومات في المستقبل القريب .

وممّا زاد من تأكيد هذه الحقيقة أنّ مدير أمن النجف زار السيد الشهيد بعد أيام قليلة من نصب الجهاز في نفس تلك الغرفة ، فكان بين الحين والآخر يسترق النظر إلى نفس النقطة الكهربائيّة التي وضعوا فيها جهاز الإنصات ويبتسم ، وكان يظنّ أنّ العملية قد انطلت علينا .

وفي تلك الفترة أيضاً حاولت مديريّة أمن النجف شراء منزل قريب من بيت السيد الشهيد ﷺ ، وكان الهدف يتعلّق بنفس المهمّة ، حيث كان المفروض أن يوضع

جهاز استقبال الصوت في ذلك البيت القريب؛ لضمان استقبال جيّد للأمواج الصوتيّة.

وكما هو الحال بالنسبة إلى جهاز الإنصات المنصوب في الهاتف فقد تعاملنا معه بحذر أيضاً، قمنا بتضليل السلطة بمهارة ودقّة لدرجة خفّفت فيها من رقابتها للسيد الشهيد عن طريق عملائها الأراذل، بحيث كانت مطمئنة إلى أنّ أجهزتها التجسّسيّة تؤدّي مهامها على أفضل حال.

وممّا لاشكّ فيه أنّ السلطة وقعت في ارتباك كبير، ففي الوقت الذي تضع على السيد الشهيد ألف علامة استفهام، تجد أنّ أجهزتها الالكترونيّة لا ترصد إلّا الأبحاث الفقهيّة والأُصوليّة، بل لم تحصل على ما يُثبت لها وجود عداء أو مخطّطات للسيد الشهيد ضدّها، وهو أمر لا يقتنع به الوجدان، وهذه الحيرة حيرة قاتلة بالنسبة لهم، خاصّة وأنّ فترة المراقبة والرصد قد طالت ولكن من دون نتائج مهمّة.

٤ ـ محاولات لاأخلاقيّة دنيئة:

ولمّا أحسّت السلطة أنّ جهودها في مجال التجسّس على السيد الشهيد ﵀ قد تبدّدت ولم تثمر شيئاً لجأت إلى أُسلوب ينسجم مع طبيعتها وأخلاقها، ويُعبّر بوضوح عن مدى التدهور الأخلاقي الذي وصل إليه قادة حزب البعث ودوائره الأمنيّة التي كان يدّعي أنّه أسّسها لحماية أمن وكرامة وحرية العراقيين.

لقد لجأت السلطة إلى أُسلوب قذر، تمثّل بتجنيد عدد من النساء الساقطات، وزودتهنّ بكامرات صغيرة جدّاً نصبت في حقيبة اليد، وهي تعمل بطريقة الالتقاط الذاتي المؤقّت، أي تلتقط صورة كلّ دقيقة بصورة تلقائية، وبعثتهنّ إلى عدد من الأشخاص كانت قد استهدفتهم للإيقاع بهم في الرذيلة والفحشاء، وتصوير ذلك من دون علمهم، وبعد ذلك يتم استدعاؤهم إلى مديريّة الأمن لتعرض عليهم صورتهم الفاضحة في محاولة لابتزازهم والضغط عليهم للعمل معها والتجسس لصالحها،

وكانوا يهدّدونهم في حال رفضهم بإفشاء الصور الملتقطة وإرسالها إلى المراجع والعلماء لفضحهم.

ولم ينجح هذا الأُسلوب الخبيث مع من استهدفتهم السلطة من المرتبطين بالسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وإن كنا قد سمعنا أنّه نجح مع آخرين من غير الأوساط الحوزويّة والدينيّة، وقد أخبرني أحد الإخوة الثقاة من الذين اشتركوا في انتفاضة شعبان عام (١٩٩١ م)، وكان ممّن اقتحم بناية مديريّة أمن النجف، أنّ الثوّار عثروا على مجموعة من الصور والأفلام التُقطت لأشخاص تورّطوا في تلك الخدعة التي حاكتها لهم دوائر الأمن والمخابرات، وهذه الصور محفوظة فعلاً لدى بعض الثوّار.

وعلى كلّ حال فإنّ ما يردّده هذا النظام من شعارات عن العروبة وقيم العرب مدّعياً أنّه يمثّل تلك القيم وأن صدّاماً يجسّد الشرف العربي والمجد الحضاري للعرب، ها هو اليوم يمارس من الإجرام ما يبرأ منه أراذل العرب حتّى في الجاهلية، وما سمعنا أنّ حاكماً عربيّاً نبيلاً في زمن الجاهلية أو الإسلام استغلّ الماجنات والعاهرات لتثبيت حكمه وسلطانه بالشكل الذي فعله صدّام التكريتي.

هذه بعض النشاطات التي قامت بها سلطة البعث العميل للتجسّس على السيد الشهيد ﵀، وقد باءت كلّها بالفشل والخيبة، والحمد للّه رب العالمين.

الفصل الخامس

الشهيد الصدر (رض)
المواقف الجهاديّة وقيادة الثورة

الشهيد الصدر ﵀ ..
والثورة الإسلاميّة في إيران

شاء اللّه عزّ وجلّ أن يحقّق على يد الإمام الراحل آية اللّه العظمى السيد الخميني (رضوان اللّه عليه) أروع حدث من أحداث التاريخ المعاصر ، والذي تمثّل بنجاح الثورة الإسلاميّة وتأسيس الجمهورية الإسلاميّة في إيران .

فماذا سيكون موقف السيد الشهيد ﵁ من هذا الحدث العظيم الذي نذر نفسه وجاهد بكلّ طاقاته وقدراته لتحقيق نظيره في العراق ؟

هل المتوقّع أن لا يُعلن بصراحة عن تأييده للقائد الفذّ الذي **«حقّق حلم الأنبياء»** ؟

وهل يمكن أن لا يعبّر عن تأييده ودعمه لهذه الثورة التي رفعت راية الإسلام خفّاقة في بلد كانت الصهيونيّة والولايات المتحدة الأمريكيّة تعتبرانه قاعدة لهما ، ومركزاً حسّاساً من مراكزهما الحيوية في العالم ؟

لقد اتّهم السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) بأنّه تعامل مع حدث قيام الثورة الإسلاميّة تعاملاً عاطفياً ومتسرّعاً ، لم يلحظ فيه ظروف العراق ، ولا ظروفه الخاصّة ، ولم يكن مدركاً للأضرار التي ستترتّب على موقف تأييد الثورة الإسلاميّة بهذه الصراحة .. !

إنّ هؤلاء الذين اتّهموا السيد الشهيد ﵁ بذلك برّروا موقفهم بالظروف الأمنيّة

التي كانت تسود العراق بعد انتصار الثورة الإسلاميّة ، فالسلطة كثّفت من رقابتها للسيد الشهيد ، واعتبرته السند الحقيقي للثورة الإسلاميّة وَمَنْ سيقف إلى جانبها في السرّاء والضرّاء ، وهو الذي سيعمّق تأييد الثورة في المجتمع العراقي ، ويركّز قيادة الإمام الخميني فيه . كما أنّ نجاح الثورة في إيران استفزّ السلطة البعثية في العراق ، بل وأصابها بالذعر والقلق .

إنّ هذه الأُمور تجعل عملية تأييد الثورة الإسلاميّة بالشكل الذي تبنّاه الشهيد ﷺ مخاطرة كبيرة ، بل عملية انتحار أكيدة .

أمّا السيد الشهيد ﷺ فقد كان يعتقد أنّ تأييد الثورة الإسلاميّة تكليف شرعي عيني ، وهو جهاد ، والجهاد يقتضي ويستلزم التضحية والفداء في معظم الأحيان ، وكان يقول :

« إنّ هؤلاء الذين يطلبون منّي أن أتريّث ، وأن أتّخذ موقفاً من الثورة الإسلاميّة لا يثير السلطة الحاكمة في العراق حفاظاً على حياتي ومرجعيّتي لا يعرفون من الأُمور إلّا ظواهرها ، إنّ الواجب على هذه المرجعيّة ، وعلى النجف كلّها أن تتّخذ الموقف المناسب والمطلوب تجاه الثورة الإسلاميّة في إيران ... ما هو هدف المرجعيّات على طول التاريخ ؟ أليس هو إقامة حكم اللّه عزّ وجلّ على الأرض ؟ وها هي مرجعيّة الإمام الخميني قد حقّقت ذلك ، فهل من المنطقي أن أقف موقف المتفرّج ، ولا أتّخذ الموقف الصحيح والمناسب حتّى لو كلّفني ذلك حياتي وكلّ ما أملك ؟ ! » .

والحقّ أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وقف موقفاً مخلصاً بشكل منقطع النظير تجاه الثورة وقائدها المعظّم ، وقد أحسست ذلك منه عن قرب بحكم معايشتي الطويلة معه (رضوان اللّه عليه) ، وكان حريصاً غاية الحرص على تأييدها ودعمها ، بل كان مستعدّاً للتضحية من أجلها ، وقد فعل ذلك عن طيب نفس ورضا

كما سنرى من خلال عرضنا لأحداث الحجز.

وعلى ضوء ما لدينا من أرقام نستطيع أن نؤكّد أنّ موقف السيد الشهيد هذا لم يبدأ من حادث انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، بل هو موقف مبدأي ثابت، يمتدّ بجذوره إلى سنوات عديدة قبل الانتصار، حيث لم تكن تلوح في الأُفق بوادر الثورة بعد.

وكان السيد الشهيد يرى أنّ الإمام السيد الخميني ﷺ يمثّل نموذجاً فريداً من بين المراجع، في حسّه الثوري وإدراكه لمتطلّبات العصر، وحاجات الأُمّة الإسلاميّة.

وهنا نستطيع أن نقسّم مواقف السيد الشهيد في هذا المجال إلى قسمين: (الأوّل) ما كان قبل الانتصار، و(الثاني) ما كان بعد الانتصار.

أمّا مواقفه قبل الانتصار فأهمّها.

١ ـ حثّه لعدد كبير من طلّابه والمقرّبين منه على حضور أبحاث السيد الإمام ﷺ الأُصوليّة والفقهيّة رغم أنّ البعض منهم كان لا يفهم اللغة الفارسيّة، وكان ذلك من باب الدعم والتأييد لمرجعيّة السيد الإمام ﷺ، بعد أن شخّص أنّ السيد الخميني يمثّل قمّة الوعي ومن تُعقد عليه آمال الإسلام، لأنّه (قدّس اللّه روحه) كان في طليعة المراجع الذين دعوا بصراحة إلى إقامة حكومة إسلاميّة من خلال كتابه (الحكومة الإسلاميّة) الذي طبع في العراق، وكانت هذه الظاهرة وهذه الدعوة خرقاً للمتبنّيات المألوفة التي لا تقوم على أساس شرعي مُسلّم، والتي كانت تقول: إنّه لا يمكن أن تقوم حكومة إسلاميّة قبل ظهور المهدي (سلام اللّه عليه).

لقد وجد الشهيد الصدر في الإمام الخميني ﷺ الأمل المشرق، والضياء الوهّاج الذي سيملأ الأُفق نوراً، فما هي حجّة أُولئك الذين يدعون إلى عزل الإسلام عن الحياة متذرّعين بفهمهم الخاطئ للنصوص، واستنباطاتهم الساذجة، ممتطين التقية لحجز الإسلام عن أوطانه؟ ما هي حجّتهم وقد أعلن مرجع عظيم من مراجع المسلمين، وعابد من خيرة عُبّادهم وزهّادهم أنّ الإسلام يجب أن يحكم الحياة

بكلّ جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويدعو إلى ذلك بكلّ صراحة في أبحاثه العلمية في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف، ثمّ يقوم بطبع ذلك على شكل كتيب ويوزّع على أوسع نطاق ؟!

إنّ هذه الخطوة من أعظم خطى الإمام الراحل (رضوان اللّه عليه) يجب أن تُقدّر وتُشكر. وقد فعل ذلك السيد الشهيد الصدر، وكان في ذلك الوقت لا يملك أكثر من أن يدعو طلّابه لحضور أبحاث الإمام ﷺ كصورة من صور الدعم والتأييد لمرجعيّته.

٢ ـ ومن صور الدعم أيضاً ـ وهو ما أشرنا إليه سابقاً ـ ذهاب السيد الشهيد ﷺ إلى بيت السيد الإمام لزيارته وتوديعه بعد أن علم أنّ الإمام قرّر مغادرة العراق، ورغم أنّ هذا التوديع لم يتمّ، حيث كان الإمام قد غادر النجف في ساعة مبكّرة من صباح ذلك اليوم إلى الكويت فإنّ السيد الشهيد ﷺ قد دخل المنزل وجلس مع بعض من كان فيه من المرتبطين بالسيد الإمام ﷺ مُظهراً لهم التأييد والمساندة، رغم تطويق قوّات الأمن لُلمنزل ومراقبة من يتردّد عليه. وهذا الموقف اعتبرته السلطة من المواقف التي أدانت بها السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) في الاعتقال الذي تعرّض له في انتفاضة رجب. وكان قد عطّل أبحاثه في ذلك اليوم، وقال:

«إنّ رحيل السيد الخميني من النجف خسارة كبيرة».

٣ ـ والموقف الثالث له قبل انتصار الثورة الإسلاميّة تمثّل بالرسالة التاريخية الرائعة التي بعثها للسيد الإمام (رضوان اللّه عليه) وهو في باريس، والتي أشاد فيها بجهاد الشعب الإيراني وتضحياته، ووقوفه خلف قيادته الرشيدة. وهذه الرسالة تعتبر من أروع الرسائل فيما تحمل من أفكار ومعاني، ومقترحات، وعواطف، ومشاعر، وهذا نصّ الرسالة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمّد خير خلقه، وعلى الهداة الميامين من

آله الطاهرين.

وبعد: فإنّنا في النجف الأشرف إذ نعيش مع الشعب الإيراني بكلّ قلوبنا، ونشاركه آلامه وآماله نؤمن أنّ تاريخ هذا الشعب العظيم أثبت أنّه كان ولا يزال شعباً أبيّاً شجاعاً وقادراً على التضحية والصمود من أجل القضية التي يؤمن بها، ويجد فيها هدفه وكرامته.

ونحن إذا لاحظنا مسيرة هذا الشعب النضالية خلال الفترة المنظورة من هذا القرن، وجدنا أنّه خاض فيها ـ بكلّ بطولة وإيمان ـ عدداً من المعارك الباسلة في سبيل الحفاظ على كرامته، وتحقيق ما آمن به من طموحات خيّرة وأهداف عالية، فمن قضية (التبغ) التي استطاع فيها هذا الشعب العظيم أن يكسر الطوق الذي أراد حكّامه ومخدوموهم المستعمرون أن يطوّقوا به وجوده، إلى قضايا (المشروطة) التي قاوم فيها الشرفاء الأحرار من أبناء هذا البلد الكريم ألوان التحكّم والاستبداد، إلى الممارسات الفعليّة لهذا الشعب المكافح التي قدّم من خلالها حجماً عظيماً من التضحيات، ولايزال يقدّم، وهو يزداد يوماً بعد يوم إيماناً وصموداً وتأكيداً على روحه النضالية.

بين هذه الملاحم يبدو عمق الشخصية المذهبيّة للفرد الإيراني المسلم، والدور العظيم الذي يؤدّيه مفهومه الديني، وتمسّكه العميق بعقيدته ورسالته ومرجعيّته في مجالات هذا النضال الشريف. وفي كلّ هذه الملاحم نلاحظ أنّ الروح الدينيّة كانت هي المعين الذي لا ينضب للحركة، وأنّ الشعارات الإسلاميّة العظيمة كانت هي المطروحة على الساحة، وأنّ المرجعيّة الرشيدة كانت هي الزعامة التي تلتفّ حولها جماهير الشعب المؤمنة، وتستلهمها في صمودها وجهادها، ولا توجد هويّة لشعب أصدق انطباقاً عليه وتجسيداً لمضمونه من الهويّة التي

يتجلّى بها في ساحة الجهاد والبذل والعطاء، ولم يعبّر شعب عن حيويته النضالية تعبيراً أوضح وأجلى ممّا عبّر به الشعب الإيراني المسلم عن هويّته الإسلاميّة في كلّ ما خاضه من معارك شريفة، كانت التعبئة لكلّ واحد منها تتّسم بإسم الإسلام، وكانت المشاعر والقلوب تتجمّع على أساسه، وكانت القوى الروحيّة والمرجعيّة الصالحة هي التي تتقدّم المسيرة في نضاله الشريف، ولئن كان الشعب الإيراني قد عبّر عن هويّته النضالية الأصيلة باستمرار فإنّ نهضته الحيّة المعاصرة لهي التعبير الأروع عن تلك الهويّة النضالية المؤمنة التي عبّر بها الشعب الإيراني عن نفسه ولايزال، وهي من أعظم ذخائر الإسلام وطاقاته التي يملكها في التاريخ الإسلامي الحديث.

وتشير هذه الهويّة النضالية من خلال التجارب الجهادية التي مارسها ولايزال يمارسها شعب إيران المسلم إلى عدد من الحقائق تبدو واضحة كلّ الوضوح، ومن الضروري أن تشكّل إطاراً أساسيّاً ثابتاً لرؤية هذا الشعب لطريقه.

ومن تلك الحقائق الثابتة: أنّ الشعب الإيراني كان يحقّق نجاحه في نضاله بقدر التحامه مع قيادته الروحيّة ومرجعيّته الدينيّة الرشيدة التحاماً كاملاً، واستطاع هكذا أن يحوّل الشعارات التي نادى بها إلى حقيقة.

وما من مرّة غفل فيها هذا الشعب المجاهد عن هذه الحقيقة، أو استُغفل بشأنها إلّا وواجه الضياع والتآمر.

فالمرجعيّة الدينيّة الرشيدة، والقيادة الروحيّة هي الحصن الواقي من كثير من ألوان الضياع والانحراف.

ومن تلك الحقائق: أنّ القيادات الروحيّة كانت تقوم بدورها هذا، وتنجزه إنجازاً جيّداً بقدر ما يسودها من التلاحم، والتعاضد، والوقوف

جنباً إلى جنب. وما من مرّة استطاع الشعب الإيراني المسلم أن يحقّق نصراً إلّا وكان للتلاحم والتعاضد المذكور دور كبير في إمكانية تحقيق هذا النصر.

ومن تلك الحقائق أيضاً: أنّ المبارزة الشريفة لكي تضمن وصولها إلى هدفها الإسلامي لابدّ أن تتوفّر في ظلّها نظرة تفصيليّة واعية وشاملة لرسالة الإسلام، ومفاهيمها وتشريعاتها في مختلف مجالات الحياة الاجتماعيّة. وبقدر ما تتوفّر من أساس فكري ورصيد عقائدي للمبارزة - أكثر من أيّ يوم مضى - بعد أن وصلت إلى هذه المرحلة الدقيقة من مسيرتها، واكتسبت ولاء الأُمّة - كلّ الأُمّة - على الساحة أقول: إنّها مدعوّة اليوم - أكثر من أيّ يوم مضى - إلى أن تنظر بعين إلى الحاجات الفعليّة لمسيرتها، وتنظر بعين أُخرى إلى حاجاتها المستقبليّة، وذلك بأن تحدّد معالم النظرة التفصيليّة من الآن فيما يتّصل بأيديولوجيّتها ورسالتها الإسلاميّة الشريفة، وكما أنّها مرتبطة في النظرة الأُولى إلى الحاجات الفعليّة للمسيرة وتقييمها وتحديد خطواتها بالمرجعيّة الدينية المجاهدة، كذلك لابدّ أن ترتبط بالنظرة الثانية - وفي معالم آيديولوجيّة إسلاميّة كاملة - بالمرجعيّة الدينيّة الرشيدة التي قادت كفاح هذا الشعب منذ سنين؛ لأنّ المرجعيّة هي المصدر الشرعي والطبيعي للتعرّف على الإسلام وأحكامه ومفاهيمه.

كما نرى أيضاً أنّ المبارزة الشريفة قد حقّقت مكسباً كبيراً حينما أفهمت العالم كلّه بخطأ ما كان يتصوّره البعض من أنّ الإسلام لا يبرز للساحة إلّا كمبارز للماركسيّة، وليس من همّه بعد ذلك أن يبارز الطبقة الأُخرى، فإنّ هذا التصوّر كان يستغلّه البعض في سبيل إسباغ طابع التخلّف والتبعيّة على المبارزة الإسلاميّة، وقد تمزّق هذا التصوّر من

خلال المبارزة الشريفة التي برزت على الساحة الإيرانيّة، بإسم الإسلام، وبقوّة الإسلام، وبقيادة المرجعيّة الدينيّة الرشيدة، لتقاوم كياناً أبعد ما يكون عن الماركسيّة والماركسيين.

وقد أثبت ذلك أنّ الإسلام له رسالته وأصالته في المبارزة، وأنّ الإسلام الذي يقاوم الماركسيّة هو نفسه الإسلام الذي يقاوم كلّ ألوان الظلم والطغيان، وأنّ على المبارزة الشريفة ـ وقد آمن الشعب الإيراني بقيادته الإسلاميّة ـ أن تكون على مستوى هذه المرحلة، وأن تدرك بعمق ما يواجهها من عداء عظيم لتحقيق أهدافه الكبيرة في عملية التغيير؛ لأنّ بناء إيران إسلامياً ليس مجرّد تغيير في الشكل والأسماء، بل هو ـ إضافةً إلى ذلك ـ تطهير للمحتوى من كلّ الجذور الفاسدة، وملء المضمون ملأً جديداً حيّاً، تتدفّق فيه القيم القرآنيّة والإسلاميّة في مختلف مجالات الحياة.

ولا شكّ في أنّ البطولة الفريدة التي تحقّقت بها المبارزة في عملية مكافحة الواقع الفاسد وهدمه، تؤكّد كفاءتها لإدراك هذه المسؤوليات وعمقها الروحي والاجتماعي التاريخي.

ونسأل المولى ـ سبحانه وتعالى ـ أن يرعى التضحيات العظيمة التي قدّمها الشعب الإيراني المجاهد، بقيادة علمائه، ويجعل من الدماء الطاهرة التي أراقها السفّاكون على الساحة شموعاً تضيء بالنور لتُخرج إيران من ظلمات الاستبداد والانحراف إلى تطبيق الإسلام الشامل في كلّ مجالات الحياة.

وليست القافلة الأخيرة من الضحايا في مدينة مشهد المقدّسة إلّا حلقة جديدة من مجازر الطغاة. وتغمّد اللّه الشهداء بعظيم رحمته، وألحقهم بشهدائنا السابقين، والصدّيقين والصالحين، وحسُنَ أُولئك

رفيقاً، والعاقبة للمتّقين، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

محمد باقر الصدر

وكانت هناك صور أُخرى من التعاون بين السيد الشهيد والسيد الإمام (رحمهما اللّه) قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، تتمّ عن طريق الإمام السيد موسى الصدر والسيد أحمد الخميني ﷺ وغيرهم من الشخصيات الكبيرة التي كانت تعمل مع الإمام الراحل في جهاده لإقامة الحكومة الإسلاميّة في إيران.

وقد نلحظ ذلك الاهتمام من خلال هذا المقطع من رسالة للسيد الشهيد ﷺ، والتي ذكر فيها السيد الإمام الخميني ﷺ، وصراعه المرير مع الشاه المقبور، ولأجل أن نعرف أهمّية ما كتبه (رضوان اللّه عليه) يجب أن نشير إلى أجواء تلك الفترة وما عانى فيها الإمام الراحل ﷺ من جفاء من قبل بعض المرجعيّات وأطراف كثيرة في الحوزة، فقد كان البعض يوجّه إليه ألواناً من التُّهم والافتراءات الباطلة، وكانت أيضاً قوّات الشاه المتستّرة تسند تلك الحملات الظالمة بكلّ ما تملك من طاقات وإمكانات، فكانت تبدو مرجعيّة السيد الإمام ﷺ ـ وهي في النجف ـ غريبة ومعزولة عن الأُمّة.

وأتذكّر أنّ أحدهم قال لي في تلك الفترة: لا يجوز لك أن تستلم مرتّبك الشهري من الإمام لأنّه شيوعي!! وهذا القائل يمثّل ـ بلا شكّ ـ نموذجاً من التيّار المعادي للسيد الإمام ﷺ.

في مثل هذه الأجواء القاتمة كانت رؤية السيد الشهيد؛ للإمام الراحل تختلف عن الآخرين، فهو يراه القائد الذي قطع لسان الشاه العميل لأمريكا، وأنّ الإمام ﷺ كما هو عدو للشرق الشيوعي كذلك هو عدوّ للغرب الرأسمالي. يقول في تلك الرسالة التي كتبها في عام (١٩٦٣ م) ما يلي:

«وأمّا بالنسبة إلى إيران فلايزال الوضع كما كان، وآقاي خميني مبعد في تركيا من قبل عملاء أمريكا في إيران، وقد استطاع آقاي خميني

في هذه المرّة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتّهم المعارضة باستمرار بالرجعيّة والتأخّر؛ لأنّ خوض معركة ضدّ إعطاء امتيازات جديدة للأمريكان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصف ذلك بالتأخّر..».

هذه بعض مواقف السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) من الإمام الراحل ﷺ قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران.

أمّا قبيل الانتصار وبعده، فإنّ موقفه من الثورة وقائدها يعتبر من المواقف النموذجيّة في التاريخ، بل بماذا يمكن أن نعبّر عن موقف أدّى إلى الشهادة، يُقدم عليه مختاراً بنفس مطمئنّة راضية، وهو يعلم أن لا مصلحة ماديّة له بذلك. وسنعرف تفصيل ذلك من خلال أحداث فترة الاحتجاز بإذن اللّه.

أمّا مواقفه ﷺ من الثورة الإسلاميّة بعد أن انتصرت وتحقّقت فهي كثيرة، أذكر منها:

١ ـ قام (رضوان اللّه عليه) بعد أن بلغه نبأ انتصارها بإعلان التعطيل لدروسه ابتهاجاً وفرحاً بذلك الحدث التاريخي العظيم، وتحدّث في البحث الذي أعلن فيه التعطيل عن ضرورة دعمها وإسنادها ووجوب الوقوف معها في السرّاء والضرّاء.

وهذا الموقف هو الوحيد الذي وقَفَه مرجع كبير من مراجع النجف، وبهذه الصراحة في تلك الفترة الحرجة والقاسية في ظلّ حزب البعث الحاكم.

٢ ـ وأراد (رضوان اللّه عليه) أن يحرّك الساحة باتّجاه إيجاد تأييد شعبي عامّ وشامل، فدعا بعض أنصاره إلى تنظيم تظاهرة شعبيّة لتأييد الثورة الإسلاميّة في إيران، وإظهار الابتهاج بانتصارها، فهرع الشباب المؤمن فخرجوا بتظاهرة من جامع الخضراء بعد صلاة المغرب والعشاء، رفع المتظاهرون فيها صور السيد الشهيد والسيد الإمام (رضي اللّه عنهما) وهي المرّة الأُولى التي يحدث فيها مثل ذلك في العراق.

٣ ـ وكتب (رضوان اللّه عليه) رسالة إلى طلّابه الذين هاجروا إلى الجمهورية الإسلاميّة في إيران، دعاهم فيها إلى بذل كلّ الطاقات والإمكانات لخدمة الثورة، وأكّد لهم فيها ضرورة الالتفاف حول مرجعيّة السيد الخميني ﷺ والعمل على إسنادها ودعمها. وتعتبر هذه الرسالة من أروع مواقف الدعم والتأييد، وهذا نصّ الرسالة [1]:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أولادي وأعزّائي حفظكم اللّه بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم جميعاً ورحمة اللّه وبركاته.

أكتب إليكم في هذه اللحظات العظيمة التي حقّق فيها الإسلام نصراً حاسماً وفريداً في تاريخنا الحديث على يد الشعب الإيراني المسلم، وبقيادة الإمام الخميني (دام ظلّه) وتعاضد سائر القوى الخيّرة والعلماء الأعلام، وإذا بالحُلم يصبح حقيقة، وإذا بالأمل يتحقّق، وإذا بالأفكار تنطلق بركاناً على الظالمين، لتجسّد وتقيم دولة الحقّ والإسلام على الأرض، وإذا بالإسلام الذي حبسه الظالمون والمستعمرون في قمقم، يكسر القمقم بسواعد إيرانيّة فتية لا ترهب الموت، ولم يثن عزيمتها إرهاب الطواغيت، ثمّ ينطلق من القمقم ليزلزل الأرض تحت أقدام كلّ الظالمين، ويبعث في نفوس المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها روحاً جديدة وأملاً جديداً.

إنّ الواجب على كلّ واحد منكم، وعلى كلّ فرد قدّر له حظّه السعيد أن يعيش في كنف هذه التجربة الإسلاميّة الرائدة أن يبذل كلّ طاقاته، وكلّ ما لديه من إمكانات وخدمات، ويضع ذلك كلّه في خدمة التجربة، فلا توقّف في البذل والبناء يُشاد لأجل الإسالم، ولا حدّ للبذل والقضية

---

(١) وثيقة رقم (١٢)، ص ٣٤٧.

ترتفع رايتها بقوّة الإسلام، وعملية البناء الجديد بحاجة إلى طاقات كلّ فرد مهما كانت ضئيلة.

ويجب أن يكون واضحاً أيضاً أنّ مرجعيّة السيد الخميني التي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لابدّ من الالتفاف حولها، والإخلاص لها، وحماية مصالحها، والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم، وليست المرجعيّة الصالحة شخصاً، وإنّما هي هدف وطريق، وكلّ مرجعيّة حقّقت ذلك الهدف والطريق فهي المرجعيّة الصالحة التي يجب العمل لها بكلّ إخلاص.

والميدان المرجعي أو الساحة المرجعيّة في إيران يجب الابتعاد بها عن أيّ شيء من شأنه أن يُضعف أو لا يساهم في الحفاظ على المرجعيّة الرشيدة القائدة.

أخذ اللّه بيدكم، وأقرّ عيونكم بفرحة النصر، وحفظكم سنداً وذخراً.

والسلام عليكم يا أحبّتي ورحمة اللّه وبركاته.

أبوكم

٤ ـ وفي الفترة التي عمل فيها أعداء الثورة الإسلاميّة في إيران على إثارة القلاقل والفتن، وتحريض عرب إيران على التمرّد والعصيان، وجّه (رضوان اللّه عليه) رسالة إليهم دعاهم فيها إلى نبذ الفكر الجاهلي والقومي، وطلب منهم الالتفاف حول قيادة الإمام الخميني ﷺ وهذا نصّ الرسالة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

شعبنا العربي المسلم العزيز في إيران المجاهد.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

وبعد: فإنّي أُخاطبكم بإسم الإسلام، وأدعوكم وسائر شعوب إيران العظيمة لتجسيد روح الأُخوّة الإسلاميّة، التي ضربت في التاريخ مثلاً

أعلى في التعاضد والتلاحم في مجتمع المتّقين، الذي لا فضل فيه لمسلم على مسلم إلّا بالتقوى، مجتمع عمّار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، مجتمع القلوب العامرة بالفكر والإيمان، المتجاوزة كلّ حدود الأرض المفتوحة بإسم السماء ورسالة السماء.

فلتتوحّد القلوب، ولتنصهر كلّ الطاقات في إطار القيادة الحكيمة للإمام الخميني، وفي طريق بناء المجتمع الإسلامي العظيم الذي يحمل مشعل القرآن الكريم إلى العالم كلّه.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

محمد باقر الصدر

النجف الأشرف ١٦ رجب

٥ ـ ومن أهمّ صور الدعم والإسناد للثورة الإسلاميّة في إيران كتابة حلقات (الإسلام يقود الحياة). وكان سبب تأليفه أنّه ﵀ رأى أنّ بعض القوى التي برزت على الساحة الإسلاميّة في إيران بعد انتصار الثورة كانت تشكّل خطراً كبيراً على الثورة ـ وقد ثبت ذلك فيما بعد بما قامت به حركة مجاهدي خلق المنحرفة ـ فكان مهتمّاً بهذا الأمر. وقال ﵀ في تلك الفترة: لأجل تجاوز هذا الخطر يجب أن تطرح رسالة الإمام (توضيح المسائل) كشعار يرفعه كلّ إيراني، ويطالب بتطبيقها.

ومن الطبيعي أنّ هذا العمل سيفرز القوى المنحرفة، ويعزلها عن الساحة؛ لأنّ المنافق لا يطالب بتطبيق رسالة (توضيح المسائل) التي تمثّل أحكام القرآن والشريعة الإسلاميّة المقدّسة.

وقد بادر ﵀ إلى كتابة سلسلة (الإسلام يقود الحياة) لإعطاء تصوّرات عامّة وبسيطة عن موقف الإسلام من مختلف القضايا الحياتيّة، والجوانب الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ونظام الحكم وغير ذلك. وقد بعث العدد الأوّل من سلسلة الإسلام

يقود الحياة (لمحة فقهيّة) إلى أحد تلامذته المخلصين وهو سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيد محمّد الغروي (حفظه الله) إذ كان قد أخبره بأنّه عازم على الذهاب إلى إيران ضمن وفد المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان للتهنئة بمناسبة انتصار الثورة فطلب منه السيد الشهيد طباعة هذا العدد وتقديم عدّة نسخ منه إلى المسؤولين في إيران. وقام سماحة السيد الغروي بتقديم نسخة منه إلى مكتب الإمام الراحل ﵀ ونسخة إلى الشهيد السيد البهشتي وإلى عدد من المسؤولين في أجهزة الدولة العليا في ذلك الوقت.

وقد طلب السيد الشهيد ترجمة هذه الكراسات إلى اللغة الفارسيّة ليتسنّى للجميع معرفة تصوّرات عامّة عن هذه الجوانب الحيويّة من الإسلام.

وكان يقول: إنّ القادة الكرام في إيران مشغولون بالكثير من المشاكل والقضايا التي تتعلّق بحفظ الأمن واستتبابه، وتركيز قواعد الثورة، وممّا لا شكّ فيه أنّ ملء الجوانب الفكريّة لا يتيسّر لهم في الوقت الحاضر، فكان الواجب أن نمدّ يد العون والمساندة لهم، ولو بهذا الجهد البسيط، وكان ﵀ مصمّماً على كتابة أفكار حلقات (الإسلام يقود الحياة) بتفصيل واستيعاب أشمل لولا أن عاجلته يد الإجرام العفلقيّة، فحرمتنا من ذلك.

هذه بعض مواقف السيد الشهيد ﵀ التي عبّر فيها عن تأييده المطلق للثورة الإسلاميّة في إيران، ولقائدها العظيم ﵀، في الوقت الذي كانت الظروف الأمنيّة في العراق كلّها ضدّ السيد الشهيد، وكانت السلطة تتربّص به الدوائر، وتحصي عليه أنفاسه.

وكانت النجف ـ بما تمثّل ـ تتغافل هذا الحدث العظيم، وتعيش في سبات عميق، وقد ابتعدت بنفسها عن كلمة أو موقف تجاه الثورة أو قائدها، ولولا مواقف السيد الشهيد (رضوان الله عليه) لكانت النجف من دون موقف، ولكانت صفحتها في التاريخ سوداء قاتمة لا يسترها شيء وهي التي كانت تُعرف على امتداد التاريخ

بمواقفها المشرقة الناصعة.

انتفاضة رجب المباركة ١٩٧٩م

كيف بدأت انتفاضة رجب المباركة؟ وما هي مبرّرات قيامها، وما هي الأحداث التي رافقتها وأعقبتها؟

وأعتقد أنّ الكثير من الغموض يشوب معالم هذا الحدث الكبير، وسيبقى كذلك بسبب الظروف الخاصّة التي تحول دون الحديث بإسهاب عن هذا الموضوع. وهنا سوف أسعى لإعطاء القارئ الكريم بعض الملامح العامّة التي تعينه على إدراك بعض الحقائق عن انتفاضة رجب المباركة.

وكنت في فترة الحجز قد طلبت من السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) أن يكتب هذا الفصل بنفسه إيماناً منّي بأهمّية هذا الموضوع وحسّاسية بعض فصوله وأحداثه.

كانت سلطة البعث العفلقيّة تعيش حالة من الرعب والقلق بسبب انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، وما سوف يسبّبه لها هذا الحدث الكبير من مشاكل داخلية خطيرة، ذلك أنّ قيام حكومة إسلاميّة يقودها فقيه في دولة مجاورة للعراق ليس أمراً يمكن تجاهله بسهولة، فالحدث ـ على أقلّ تقدير ـ سيعزّز من تطلّع العراقيين نحو إقامة حكومة إسلاميّة في العراق.

لقد كان وهج الثورة قد غطّى آفاق العراق، وتغلغل إلى قلوب العراقيين كباراً وصغاراً، ولم نكن نستغرب ونحن نستمع لأطفالنا وهم يردّدون النشيد المعروف **(إيران إيران إيران خون ومرك وعصيان)** رغم عدم معرفتهم ما تعنيه هذه الكلمات، ولكن لكثرة سماعهم لإذاعة إيران كان هذا النشيد وغيره يعبّر عن مدى تجاوبهم وانشدادهم للثورة الإسلاميّة.

ومن هنا كان موقف السلطة موقف المنافق. فعلى الصعيد الإعلامي العلني

تظاهرت بتأييدٍ محدود جدّاً للثورة تمثّل بإرسال برقية من قِبل صدّام ـ الذي كان نائباً لرئيس ما يسمّى مجلس قيادة الثورة ـ بعثها بإسم أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية آنذاك[1] إلى الإمام الراحل السيد الخميني (رضوان اللّه عليه) . ولم يكن من مناص أمام السلطة إلّا إظهار هذا النوع من (المباركة والتأييد) للثورة خاصّة بعد أن وقفت إيران من القضايا التي تهمّ الأُمّة الإسلاميّة والشعب العراقي موقفاً مبدأياً ، كموقفها من القضية الفلسطينيّة ، أو (إسرائيل) وأمريكا وما شابه ذلك .

وفي الواقع العملي فإنّ السلطة شنّت حملة إعلاميّة مكثّفة في نطاق حزب البعث وأجهزة الدولة على الثورة وقادتها ، فوجّهت التهم والافتراءات المختلفة لهم ، وفسّرت أسباب الثورة ودوافعها بأنّها اقتصادية بحتة ، وأنّها طائفيّة ! وأمريكيّة ! وأنّها ضدّ مصالح الأُمّة العربية وإلى غير ذلك . وطلبت من الحزبيين ترسيخ هذه التهم في أذهان أبناء الشعب كما بدأت أجهزة الأمن والمخابرات برصد الكوادر والقوى الإسلاميّة التي كانت تعتقد أنّها ستقوم بدور فعّال وخطير في المستقبل على صعيد السعي لإقامة حكومة إسلاميّه في العراق .

وما من شكّ إنّ أهمّ ما كان يقلق سلطة البعث هو نجاح التحرّك الجماهيري الإسلامي بقيادة العلماء لإقامة حكومة إسلاميّة . فالثورة الإسلاميّة ليست (انقلاباً عسكريّاً) حيكت خطّته في الظلام وقاده عسكري في فجر يوم والناس نيام . إنّ الثورة الإسلاميّة كما يشهد لها واقعها ومسيرتها كانت جماهيريّة وشعبيّة تخطو إلى النصر بدماء أبناء الشعب من الرجال والنساء والأطفال ، وهم جميعاً لا يحملون من السلاح إلّا سلاح الإيمان والهتاف بنداء (اللّه أكبر) . ولم يتح لقائدها الإمام الخميني (رضوان اللّه عليه) من وسائل فعّالة إلّا قيادته الحكيمة وشجاعته النادرة ووسائل الإعلام التي كان من خلالها يوجّه الشعب ويقود الثورة .

إنّ هذه الظاهرة كانت تقلق السلطة ، فكانت تبحث عن الوسائل التي تساعدها

---

(١) هذه المعلومة مأخوذة من خطاب لصدام بصوته وصورته احتفظ به .

على التغلّب على هذه المعظلة الكبيرة التي تهدّد وجودها تهديداً واقعيّاً.

ومن الطبيعي أن تتّجه إلى السيد الشهيد الصدر (رضوان اللّه عليه) وإلى الحركة الإسلاميّة والكيان الإسلامي في العراق للقضاء عليه بأيّ أسلوب، وبأيّ ثمن.

إنّ العراق كان المرشّح الطبيعي ـ لو توفّرت بعض المستلزمات الضروريّة ـ لثورة إسلاميّة جماهيريّة على غرار ما حدث في إيران. وهذا ما تعرفه السلطة.

ولم يكن توجّه السلطة هذا وتفكيرها وسعيها الدائب في التخطيط والتنفيذ للوقوف بوجه المدّ الإسلامي في العراق خافياً على سيّدنا الشهيد الصدر فقد كان يقول:

«إذا سكتنا فسوف تقضي السلطة على الوجود الإسلامي في العراق».

إنّ السيد الشهيد كان يعلم أنّ الظروف لم تكن مهيئة لتحرّك جماهيري بمستوى التحرّك الذي حدث في إيران لأمور وأسباب معروفة لعلّ أهمّها بطش النظام ووحشيّته، التي لا نظير لها في تاريخنا المعاصر، ومنها ضعف الحركة الإسلاميّة وعدم قدرتها على مواجهةٍ قد تكون طويلة وشاقّة خاصّة مع افتقارها إلى الإمكانات المادّية، كما أنّ مرجعيّة السيد الشهيد الصدر لم تكن قد استوعبت الساحة العراقيّة استيعاباً كاملاً بحيث يتاح لها التحرّك بمفردها دون حاجة إلى مساعدة الآخرين، ومنها أنّ بعض الأوساط المرجعيّة والحوزويّة كانت لا ترى ضرورة لتحرّك من هذا القبيل.

إنّ هذه الأسباب وغيرها تحتاج إلى بحث ودراسة مفصّلة، وأنا هنا لست بصدد ذلك، وإنّما قصدت الإشارة فقط، والذي يهمّني هنا هو رأي السيد الشهيد، وأستطيع أن أجزم بأنّه (رضوان اللّه عليه) كان يرى أنّ العمل الإسلامي يجب أن لا يعتمد على التحرّك الجماهيري فقط، بل يجب أن ندخل في عملنا الأساليب التي

تقتضيها ظروف العراق وأوضاعه وما تتطلّبه من مستلزمات، ويجب أن يتمّ ذلك بدقّة وحكمة؛ ولهذا كان (رضوان اللّه عليه) قد خطّط للعمل معتمداً على أساليب أُخرى وقد تحدّثت عن ذلك في موضوع أُستراتيجيّة السيد الشهيد السياسيّة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ حدث انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران نضّج بعض الأفكار وسرّع في تجاوز بعض العقبات، وفرض أوضاعاً جديدة، وكان على السيد الشهيد؛ أن يواكب المستجدّات بدقّة بالغة.

وكان من المنطقي أن لا يخطو السيد الشهيد ﷺ من دون تنسيق وتشاور مع الإمام الخميني ﷺ، وهو ولي أمر المسلمين وقائدهم، خاصّة بعد أن دعا ﷺ إلى طاعته، والالتفاف حول قيادته، والذوبان في وجوده.

وعلى هذا الأساس جرى حديث خاصّ بيني وبينه حول الأُسلوب الأمثل للتشاور والتنسيق، فكان المقترح الأوّلي أن أقوم بحمل رسالة شفهيّة وأُسافر إلى إحدى دول الخليج، ومن هناك أتّصل بسماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيد محمّد الغروي (حفظه اللّه) وهو أحد طلّاب السيد الشهيد الأوفياء الأبرار، وهو بدوره يكون حلقة الوصل والتنسيق بين السيد الشهيد والسيد الإمام ﷺ.

إلّا أنّ السيد الشهيد عدل عن هذا المقترح بعد أن اجتمع بسماحة السيد محمود الهاشمي (حفظه اللّه) ـ ولم أحضر ذلك الاجتماع ـ، إلاّ أنّي علمت أنّ السيد الشهيد بعث سماحة السيد الهاشمي إلى إيران ليكون ممثّلاً له، ومنسّقاً مع القيادة الإسلاميّة في إيران.

وقد حرص السيد الشهيد ﷺ على أن يتمّ هذا الأمر بسرّية تامّة، وإن كانت هذه السرّية سوف لا تطول؛ لأنّ سماحة السيد الهاشمي (حفظه اللّه) من أبرز طلّاب السيد الشهيد والمقرّبين منه، وهو مراقب من قِبل السلطة، وسوف تعرف ـ ولو بعد حين ـ بسفره إلى إيران وتمثيله للسيد الشهيد فيها.

كان هذا العمل قد جعل السلطة في حالة من التوجّس والقلق عمّا سوف

يجري في المستقبل، إذ أنّها تعلم أنّ السيد الهاشمي (حفظه اللّه) شخصيّة كبيرة وخطيرة، وليس منطقيّاً أن يكون سفره بلا هدف كبير وخطير، ولهذا السبب كثّفت السلطة من رقابتها للسيد الشهيد ﷺ بشكلٍ لم يسبق له نظير.

برقية الإمام:

ولم يمض وقت طويل على مغادرة سماحة السيد الهاشمي (حفظه اللّه) إلى إيران حتّى بثّت وسائل الإعلام في جمهورية إيران الإسلاميّة ومنها إذاعة طهران القسم العربي برقيةً وجّهها الإمام الراحل إلى السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) ونصّها كالتالي:

بسمه تعالى

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيد محمّد باقر الصدر دامت بركاته.

علمنا أنّ سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض الحوادث، إنّني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النجف الأشرف مركز العلوم الإسلاميّة، وإنّني قلق من هذا الأمر، آمل إن شاء اللّه إزالة قلق سماحتكم والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

روح اللّه الموسوي الخميني

وقد أجاب السيد الشهيد ﷺ على برقية السيد الإمام ﷺ بالبرقية التالية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سماحة آية اللّه العظمى الإمام المجاهد السيد روح اللّه الخميني دام ظلّه.

تلقّيت برقيّتكم الكريمة التي جسّدت أُبوّتكم ورعايتكم الروحيّة للنجف الأشرف، الذي لايزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة،

وإنّي أستمدّ من توجيهكم الشريف نفحة روحيّة، كما أشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف الأشرف.

وأودّ أن أُعبّر لكم بهذه المناسبة عن تحيّات الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز، الذي وجد في نور الإسلام الذي أشرق من جديد على يدكم ضوءاً هادياً للعالم كلّه، وطاقة روحيّة لضرب المستعمر الكافر، والاستعمار الأمريكي خاصّة، ولتحرير العالم من كلّ أشكاله الإجراميّة، وفي مقدّمتها جريمة اغتصاب أرضنا المقدّسة فلسطين.

ونسأل المولى (سبحانه وتعالى) أن يمتّعنا بدوام وجودكم الغالي، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

الخامس من رجب ١٣٩٩هـ ـ النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر

والحقيقة أنّ السيد الشهيد لم يستلم برقية السيد الإمام ﵀ إذ أنّها احتُجزت لدى السلطة، وإنّما سمعها بعد أن سجّلتها له على شريط الكاسيت عندما أُذيعت من إذاعة طهران القسم العربي.

وكان في وقتها قد طلب منّي تكرار سماع البرقية المسجّلة عليه، فكان يستمع إليها بدقّة، ثمّ طلب السيد الشهيد ﵀ أن نتّصل بسماحة السيد الهاشمي ونستفسر عن هذا الأمر، وعن مقصود السيد الإمام الحقيقي من ذلك حيث إنّ السيد الشهيد لم يكن عازماً في واقع الأمر على مغادرة العراق، بل لم يفكّر بذلك مطلقاً، فهل هناك شيء فرض أن تكون صياغة البرقية بهذا الشكل والسيد الشهيد لا يعلم؟ وكان هذا الاحتمال أقوى المحتملات التي تتعلّق بهذا الموضوع.

لقد أجرينا عدّة اتصالات هاتفية كان السيد الشهيد ﵀ حاضراً بعضها، أو لعلّ معظمها، وإن لم يكن هو المتحدّث، نستفسر عن حقيقة البرقية، والهدف منها.

ولكن ـ للأسف ـ لم تثمر تلك الاتصالات شيئاً، ولم يتحقّق السيد الشهيد ﵀

من هذه القضية، ولم يعرف الأسباب والدوافع حتّى اليوم الذي استُشهد فيه.

وعلى ضوء ذلك ماذا سيكون موقف السيد الشهيد ﷺ والوقت يجري بسرعة والأحداث تتوالى وهي تتطلّب اتّخاذ الموقف المناسب تجاه هذه القضية.

الاجتماع التاريخي:

دعا (رضوان اللّه عليه) بعض طلابه والمقرّبين منه إلى اجتماع خاصّ لدراسة هذه القضية، وما هو الموقف منها، وكيف يجب أن نتعامل معها؟

وجرى في ذلك الاجتماع كلام كثير، وتمّت دراسة الموقف من جوانبه المتعدّدة، والآثار التي تترتّب على كلّ موقف، السلبيّة والإيجابيّة منها.

ولم يقع الكلام في أصل الجواب على برقية السيد الإمام ﷺ، فإنّ ذلك كان مقرّراً منذ البدء، وإنّما الحديث كان حول مسألة هل نبدأ مرحلة المواجهة مع السلطة؟ وهل ستتجاوب الأُمّة بالقدر المطلوب الذي يضمن نجاح المواجهة والوصول إلى وضع مطلوب يشكّل منعطفاً كبيراً في التحرّك الإسلامي في العراق.

وأخيراً استقرّ الرأي في تلك الجلسة على بدء الخطوة الجديدة..

ما هي هذه الخطوة؟

كان السيد الشهيد ﷺ يعلم أنّ قطّاعات كبيرة من أبناء الشعب قد استمعت لبرقية الإمام السيد الخميني (رضوان اللّه عليه)، وقد أقلقها أن يغادر الشهيد ﷺ العراق، ويترك الجماهير من دون قائد يرعاهم وهم في أمسّ الحاجة إليه، وفي أخطر وأهمّ مرحلة من مراحل التحرّك الإسلامي وكانت أعداد كبيرة من المؤمنين تتوافد إلى النجف، تسأل عن هذا الأمر، وهل حقّاً سيغادر السيد الشهيد ﷺ العراق؟

من هنا بدأت فكرة مجيء وفود البيعة تبرز إلى السطح وتتبلور في ذلك الاجتماع وهل هو عمل يناسب هذه المرحلة أم لا؟ فكان الرأي قد انتهى إلى أن نبدأ

بهذه الخطوة مهماكانت النتائج ، وكان هدف السيد الشهيد ﷺ أن يبدأ مرحلة جديدة من المواجهة مع السلطة ، ويضع من خلال ذلك الشعب العراقي في طريق الصراع المباشر مع النظام ، ومواصلة الطريق حتّى تحقيق الهدف المنشود بإقامة حكم الإسلام في العراق ، حتّى لو كان الثمن هو دم السيد الشهيد نفسه .

وكنت قلقاً جدّاً من نتائج ذلك الاجتماع ، ومتوجّساً من العواقب التي سينتهي إليها التحرّك ، لأنّي أعلم أنّ السلطة العميلة لا تتحمّل أقلّ من هذا العمل لو صدر من السيد الشهيد ، فكيف لو حدث أن جاءت وفود كبيرة ، وقد قلت للسيد الشهيد ﷺ بعد أن انفضّ الاجتماع : إنّ هذا يعني أنّكم قد صمّمتم على الاستشهاد في سبيل اللّه تعالى في وقت تكون الأُمّة فيه بأمسّ الحاجة إليكم ؟ فقال ؛ : هل تريد إقامة حكومة إسلاميّة في العراق ؟ قلت : نعم ، فقال :

«إنّي أرى أنّ طريقها هذا ، أن أستشهد لتستثمر الجماهير دمي ، المهمّ أنّ أعمل ما أعتقد أنّه يخدم الإسلام حتّى لو كان ثمنه حياتي ولا أُفكّر بنصرٍ سريع ».

وفود البيعة:

تقاطرت وفود البيعة ، وهي تضمّ قطّاعات واسعة وكبيرة من أبناء الأُمّة ، وخاصّة الشباب المثقّف منهم ، يطالبون السيد الشهيد ﷺ بالبقاء معهم ، وعدم مغادرة العراق .

وكان السيد الشهيد ﷺ يستقبل الوفود طوال النهار وشطراً من الليل ، بروحٍ من التفاعل والتجاوب ، وبخلقٍ محمّدي رفيع رغم المشاكل الصحّية التي كان يعاني منها .

ولأجل أن يكون تقييمنا صحيحاً للنتائج التي تترتّب على مجيء الوفود يجب أن نشير إلى أهمّ ماكان يميّزها ، وما اتّسمت به من خصائص .

أوّلاً: كان طابع الشمول من أهمّ ما يميّز تلك الوفود ، فمن الناحية الجغرافيّة كانت معظم مدن العراق قد شاركت فيها مشاركة شاملة وواسعة ، ومن ناحية الكيف فإنّ مختلف شرائح الأُمّة وطبقاتها شاركت في تلك الوفود ، فترى الكهل والشاب والمرأة ، وترى الطبيب ، والمهندس ، والمدرّس ، والطالب ، والكاسب في صفّ واحد ، وهذا الأمر يدلّ على الأُفق الكبير لمرجعيّة السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وامتداده العميق في أوساط الأُمّة ، وهذا ما كانت تخشاه السلطة وتحسب له ألف حساب .

ثانياً: الكثافة الكبيرة من حيث الكم ، فلقد ضاق سوق العمارة والأزقّة القريبة من منزل السيد الشهيد ﷺ ، وامتلأت شوارع النجف الأشرف بالوفود القادمة من كلّ مكان ، حتّى أثار ذلك استغراب النجفيين أنفسهم ، وأستطيع القول : إنّ النجف لم تشهد في تاريخها المنظور تحرّكاً جماهيريّاً بهذا الحجم والكيف ، باستثناء تشييع جنازة المرحوم الإمام الحكيم ﷺ . وكان هذا الكم الكبير هو الذي جعل السلطة تتريّث في استعمال القوّة لقمع الوفود في حينها ، واكتفت بالتقاط الصور ، وتسجيل الأسماء فقط .

ثالثاً: تحوّلت الوفود ـ وفي فترة زمنيّة قصيرة ـ من وفود للمطالبة ببقاء السيد الشهيد في العراق إلى وفود لمبايعته ، ومبايعة الإمام الخميني ﷺ ، وكانت معظم شعارات الوفود وهتافاتهم من مثل : **«باسم الخميني والصدر الإسلام دومه[1] منتصر»** ، **«عاش عاش الصدر والدين دومه منتصر»** ، وأمثالهما .

رابعاً: مشاركة أعداد من إخواننا أهل السنّة في وفود البيعة ، وتعتبر هذه الظاهرة فريدة من نوعها ، فقد أثبتت أنّ الحواجز النفسيّة سرعان ما تنهار حينما تتوفّر البيئة المناسبة ، والقيادة الواعية .

وكان لهذا التكاتف والتوحّد في الموقف دوره الكبير في إعطاء التحرّك

(١) كلمة عامّية تعني دائماً.

الإسلامي بُعداً كبيراً يصعب على السلطة تخدّيه بسهولة.

خامساً: مشاركة المرأة العراقية في تلك الوفود مشاركة فعّالة جدّاً، وكانت معظم الوفود النسائيّة تلتقي بشهيدنا الصدر في منزل العائلة، إلّا وفداً كانت تقوده المجاهدة الشهيدة سلوى البحراني (رحمها اللّه)، فقد التقى بالسيد الشهيد في البراني الخاص بالرجال، وطالبن بالبيعة، كما كان في زمن رسول اللّه ﷺ، فأحضرنا إناءاً كبيراً مملوءاً بالماء، فوضع السيد الشهيد يده فيه، ثمّ قامت كلّ واحدة منهنّ بوضع يدها فيه، وبايعنه على الشهادة.

وقد ألقى (رضوان اللّه عليه) فيهنّ كلمة قيّمة نحتفظ بتسجيلها على شريط الكاسيت هذا نصّها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

المشاعر التي أحسّ بها في قلبي اتّجاهكم، اتّجاه البنات من أمثالكم، مشاعر لا حدّ لها، إحساس بمسؤوليتكنّ في العصر الحاضر كبير جدّاً.

يا بنات فاطمة الزهراء..

أنتن المثل الأعلى لمرأة اليوم..

اليوم أنتم تقدّمون المثل الأعلى للمرأة التي تحمل بإحدى يديها إسلامها، ودينها وقيمها، ومُثلها، وحجابها، وإصرارها على شخصيّتها الأصيلة القويّة الشريفة النظيفة التي حفظها الإسلام لها، وتحمل بيدها الأُخرى العلم والثقافة، لكن لا هذه الثقافة التي أرادها المستعمرون لنا منذ أن دخل المستعمرون عالمنا الإسلامي قبل ستين سنة، أرادوا أن يقنعوا شبابنا وشابّاتنا بأنّ الثقافة عبارة عن لون من المجون.. عبارة عن ألوان السفور والاختلاط.. عبارة عن السعي وراء الشهوات والنزوات.. عبارة عن الابتعاد عن المسجد، وعن الإسلام، وعن المرجع، وعن

الصلاة..

قالوا لشبابنا وشاباتنا بأنّ الإنسان التقدّمي، والإنسانة التقدّمية المثقّفة هي من تقطع صلتها بهذه الأُمور، وتنغمس إلى رأسها في الشهوات والملذّات..

هكذا أراد المستعمرون منذ ستّين سنة أن يسرّبوا إلى نفوس بناتنا الطاهرات، وفي نفوس شبابنا الزاكين هذا المفهوم الخاطئ للتقدّمية وللثقافة.

أنتنّ يا بنات الزهراء تقع عليكنّ مسؤولية أن تعرّفوا العالم أنّ الثقافة والعلم الحقيقي يحمل مع الإيمان، يحمل مع الدين، يحمل مع رسالة السماء كما حملتها فاطمة الزهراء.

أُمّكنَّ العظيمة فاطمة الزهراء كانت مثلاً أعلى في الإسلام، في الجهاد عن الإسلام.. في الصبر على محن الإسلام.. كانت مع أبيها في كلّ شدائده، في كلّ محنه.. كانت تخرج معه في الحروب، كانت تواسي جروحه، كانت تلملم محنه، كانت دائماً إلى جنبه، كان يستمدّ منها سلوة في اللحظات العصيبة، كان يستمدّ منها طاقة في لحظات صعبة جدّاً، كانت إمرأة مسلمة مجاهدة بكلّ معنى.

هذا من جانب، ومن جانب آخر أنّ فاطمة الزهراء كانت إمرأة عالمة، وكانت المثل الأعلى في العلم والثقافة، لكن لا هذه الثقافة التي أرادها المستعمرون لنا، لا ثقافة المجون والسفور، لا ثقافة الاختلاط والتميّع، لا ثقافة التحلّل، وإنّما الثقافة الحقيقة.

انطلقت فاطمة الزهراء..

انطلقت إلى مسجد أبيها حينما اقتضى منها الواجب أن تخرج إلى مسجد أبيها، وخطبت تلك الخطبة العظيمة التي لا يقدر عليها الكبار من

العلماء.. كانت البلاغة والفصاحة والحكمة تتدفّق من كلماتها كما يتدفّق السيل من البحر، وكان عمرها الشريف أقلّ من عشرين سنة، لكنّها علّمت العلماء علّمت الحكماء، ضربت المثل الأعلى الذي لم تصل إليه حتّى الآن المرأة الأُوروبية.

هذه فاطمة الزهراء التي استطاعت أن تثبت في تاريخ الإسلام أنّ العلم يجتمع مع الدين، وأنّ الثقافة توأم مع الإيمان باللّه، ومع التمسّك بالحجاب، ومع التمسّك بشعائر الدين.

أنتنّ حملتنّ رسالة فاطمة الزهراء..

أنتنّ مَنْ سوف يعرفُ العالم عن طريقكنّ أنّ العلم يجب أن يكون إلى جانب الإيمان، وأنّه ليس من العلم في شيء السفور، وليس من الثقافة في شيء الاختلاط والتحلّل.

إنّ المرأة يمكن أنْ تصل إلى أعلى مدارج الكمال والرقي في كلّ الميادين، من دون أن تتنازل عن قيمة من قيمها الإسلاميّة، وعن شيء من تراثها، ومن رسالة ربّها ربّ العالمين.

الأُوربيون حاولوا أن يثنوكم، وعليكم أنتم أن تُفهّموا العالم كلّه أنّهم على خطأ، وأنّكم على حقّ.

نسأل اللّه أن يوفّقكم جميعاً إن شاء اللّه ويرعاكم بعينه»[1].

إنّ مشاركة المرأة العراقيّة في عملٍ اجتماعي سياسي كهذا كان خطوة كبيرة في تلك المرحلة، وتحدّياً لكلّ العقبات التي كانت تحول بينها وبين ممارسة دورها في خدمة الإسلام، وهذا الأمر أقلق السلطة قلقاً بالغاً، ويكفينا دليلاً على ذلك الشهيدة السعيدة سلوى البحراني التي أُعدمت بالسم بعد أيّام قليلة من أيّام البيعة.

لقد كان السيد الشهيد ﵀ سعيداً بما تحقّق من تحدٍّ للسلطة من قبل وفود

---

(١) من شريط مسجّل بصوت السيد الشهيد ﵀.

البيعة، إذ أعتقد أنّ ما حدث أثبت للسلطة أنّ الإسلام حيّ باقٍ، وأنّ المرجعيّة الدينيّة رغم التطويق الشديد لها لازالت أمل العراقيين، وهي أيضاً من يملك مفتاح تحريك الجماهير.

لقد رأى السيد الشهيد أنّ الجماهير ورغم الجهود الكبيرة التي بذلتها السلطة لمسخ هويّتها وإرادتها وكرامتها لازالت حيّة تستجيب لنداء الحقّ، متى ما وجدت القيادة الرشيدة والواعية، وهذا هو الذي زرع الأمل في قلبه، وقد سمعته يقول:

«من كان يظنّ أنّ الجماهير ستستجيب إلى هذا الحدّ، وتتوافد إلى النجف الأشرف تطلب منّي أن أبقى معها، أو تعلن عن بيعتها على الموت في سبيل اللّه تعالى، في مثل هذه الظروف الأمنيّة القاسية؟ إنّ هؤلاء جميعاً يعلمون أنّ ثمن مجيئهم الإعدام أو السجن على أحسن التقادير ومع ذلك فقد تحدّوا الموت وجاءوا، إنّ هذا هو النصر المبين».

وحقّاً إنّ ما حدث كان شيئاً عظيماً، بل كان ثورة جماهيريّة عارمة، وقد قال مدير أمن النجف في أوّل لقاء له بالسيد الشهيد ﷺ في فترة الحجز: «**سيدنا، إنّ ما حدث كان ثورة كادت أن تنجح لولا حزم القيادة!**».

كما أنّ السيد علي بدر الدين أخبر السيد الشهيد أنّ أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ـ لا أتذكّر اسمه ـ قال له: «**إنّ السيد محمّد باقر الصدر قاد ثورة ضدّنا، ومن الآن سوف نتعامل معه على هذا الأساس**»، وأخبره أيضاً: أنّ القيادة السياسيّة والعسكريّة كانت مجتمعة ومتأهّبة طيلة تلك الفترة، وهي في حالة إنذار قصوى.

وكانت السلطة قد استدعت معظم كوادرها الأمنيّة والحزبيّة من مختلف المدن إلى النجف لمراقبة الأوضاع فيها، أو السيطرة عليها، في حال تطوّر الأوضاع إلى حدّ المواجهة المسلّحة.

في هذا الجو الحماسي الثوري كتب السيد الشهيد البيان الأوّل الذي وجّهه إلى الشعب العراقي، وهذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين، وصحبه الميامين.

أيّها الشعب العراقي المسلم..

إنّي أُخاطبك أيّها الشعب الأبيّ وأنا أشدّ الناس إيماناً بك، وبروحك الكبيرة، وبتاريخك المجيد، وأكثرهم اعتزازاً بما طفحت به قلوب أبنائك البررة من مشاعر الحبّ والولاء، والبنوّة للمرجعيّة، إذ تدفّقوا إلى أبيهم يؤكّدون ولاءهم للإسلام بنفوس ملؤها الغيرة والحمية والتقوى، يطلبون منّي أن أظلّ إلى جانبهم أُواسيهم، وأعيش آلامهم عن قرب لأنّها آلامي.

وإنّي أودّ أن أُأكّد لك ـ يا شعب آبائي وأجدادي ـ أنّي معك، وفي أعماقك، ولن أتخلّى عنك في محنتك، وسأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل الله من أجلك.

وأودّ أن أُأكّد للمسؤولين: أنّ هذا الكبت الذي فرض بقوّة الحديد والنار على الشعب العراقي فحرمه من أبسط حقوقه وحرّياته في ممارسة شعائره الدينيّة لا يمكن أن يستمرّ، ولا يمكن أن يُعالج دائماً بالقوّة والقمع.

إنّ القوّة لو كانت علاجاً حاسماً دائماً لبقي الفراعنة والجبابرة.

أسقطوا الأذان من الإذاعة فصبرنا..

وأسقطوا صلاة الجمعة من الإذاعة فصبرنا..

وطوّقوا شعائر الإمام الحسين عليه السلام ومنعوا القسم الأعظم منها فصبرنا..

وحاصروا المساجد وملأوها (أمناً) وعيوناً فصبرنا، وقاموا بحملات الإكراه على الانتماء إلى حزبهم فصبرنا، وقالوا إنّها فترة انتقال

يجب تجنيد الشعب فيها فصبرنا، ولكن إلى متى؟ إلى متى تستمرّ فترة الانتقال؟ إذا كانت فترة عشرة سنين من الحكم لا تكفي لإيجاد الجوّ المناسب لكي يختار الشعب العراقي طريقه، فأيّ فترة تنتظرون لذلك؟

وإذا كانت فترة عشر سنين من الحكم المطلق لم تتح لكم ـ أيّها المسؤولون ـ إقناع الناس بالانتماء إلى حزبكم إلّا عن طريق الإكراه، فماذا تأملون؟

وإذا كانت السلطة تريد أن تعرف الوجه الحقيقي للشعب العراقي فلتجمّد أجهزتها القمعيّة أُسبوعاً واحداً فقط، ولتسمح للناس بأن يعبّروا خلال أُسبوع عمّا يريدون.

إنّي أُطالب بإسمكم جميعاً.. أُطالب بإطلاق حرّية الشعائر الدينيّة، وشعائر الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

وأُطالب بإسمكم جميعاً بإعادة الأذان وصلاة الجمعة، والشعائر الإسلاميّة إلى الإذاعة.

وأُطالب بإسمكم جميعاً بإيقاف حملات الإكراه على الانتساب إلى حزب البعث على كلّ المستويات.

وأُطالب بإسم كرامة الإنسان بالإفراج عن المعتقلين بصورة تعسّفية، وإيقاف الاعتقال الكيفي الذي يجري بصورة منفصلة عن القضاء..

وأخيراً أُطالب بإسمكم جميعاً بإسم القيم التي تمثّلونها بفسح المجال للشعب ليمارس بصورة حقيقيّة حقّه في تسيير شؤون البلاد، وذلك عن طريق إجراء انتخاب حرّ ينبثق عنه مجلس يمثّل الأُمّة تمثيلاً صادقاً.

وإنّي أعلم أنّ هذه الطلبات سوف تكلّفني غالياً، وقد تكلّفني

حياتي.. ولكن هذه الطلبات ليست طلب فرد لتموت بموته، وإنّما هذه الطلبات هي مشاعر أُمّة وإرادة أُمّة، ولا يمكن أن تموت أُمّة تعيش في أعماقها روح محمّد، وعلي، والصفوة من آل محمّد وأصحابه.

وإذا لم تستجب السلطة لهذه الطلبات، فإنّي أدعو أبناء الشعب العراقي الأبيّ إلى المواصلة في حمل هذه الطلبات مهما كلّفه ذلك من ثمن، لأنّ هذا دفاع عن النفس، وعن الكرامة، وعن الإسلام، رسالة اللّه الخالدة، واللّه وليّ التوفيق.

٢٠ رجب ١٣٩٩هـ

محمّد باقر الصدر

وكان لإصدار هذا البيان مبرّراته ودواعيه، إذ أنّ السيد الشهيد ﵀ كان يعتقد أنّ درجة احتمال استشهاده عالية جدّاً، ولا يمكن للسلطة أن تتجاوز هذا التحدّي الكبير من دون أن تنتقم بمستوى الفعل، فكان لابدّ من موقف أو عمل يعطي رؤية واضحة للجماهير، لتستثمر مناسبة استشهاده.

ومن الواضح أنّ هذا البيان التاريخي تضمّن مطالب مختلفة، بدأت بالمطالبة بإعادة الأذان، وصلاة الجمعة إلى الإذاعة، وانتهت بالمطالبة بأن يمارس الشعب العراقي إدارة شؤون البلاد. وعلى هذا الأساس لو أنّ السيد الشهيد ﵀ نال الشهادة في تلك الفتر، فإنّ الجماهير العراقيّة سوف تحمل نفس المطالب وتجاهد في سبيل تحقيقها، فهو (رضوان اللّه عليه) قد أعطى مبرّرات مواصلة الجهاد والهدف الذي يجب أن تتّجه إليه المسيرة.

وهذا بخلاف ما لو كان قد استشهد من دون أهداف واضحة، ومطالب معيّنة، فإنّ غاية ما يمكن أن يحدث عبارة عن ردود فعل آنيّة، ستنتهي بعد حين، ولهذا أكّد ﵀ في بيانه على أنّ «**هذه المطالب ليست مطالب فرد لتموت بموته وإنّما هذه المطالب هي مشاعر أُمّة وإرادة أُمّة**».

وأكّد أيضاً على ضرورة الاستمرار في مواصلة الطريق ، ودعا الجماهير إلى التضحية في سبيل تحقيق هذه المطالب مهما كان الثمن .

وكنت قد سمعت من السيد الشهيد ﷺ أنّه أراد أن يخلق قضيّة واضحة المعالم بالنسبة للمؤمنين والمجاهدين ، ومعقّدة جدّاً بالنسبة للسلطة . فالسلطة سوف لن تستجيب لمعظم مطالب البيان ، وإن فُرض أنّها ستستجيب ، فإنّ ذلك يعني زوالها وسقوطها في فترة زمنيّة قصيرة .

ومن الحقائق التي يجب أن أُشير إليها هي أنّ السيد الشهيد ﷺ لم يستهدف النصر السريع في كلّ تحرّكه ، لأنّه يعتقد أنّ الظروف لا تساعد عليه ، وإنّما كان هدفه التضحية الهادفة المدروسة التي تمهّد لذلك النصر المطلوب ، ولهذا السبب فإنّ بياناته الثلاثة كانت تدعو إلى مواصلة الجهاد ، ولا تشير إلى النصر ، إلّا بإشارات بسيطة جدّاً .

توقّف الوفود:

لاحظ السيد الشهيد ﷺ أنّ هذا القدر من التحرّك كان كافياً لتحقيق الهدف المقصود في تلك الفترة ، فأوعز إلى بعض وكلائه ومحبّيه أن يدعو الناس إلى الكفّ عن مواصلة مجيء الوفود إلى النجف حيث لا ضرورة تقتضي ذلك .

وكان وراء اتّخاذ هذا القرار عدّة أُمور ، أُشير إلى بعضها :

أوّلاً : أنّ السلطة أخضعت معظم الوفود لمراقبة شديدة ، ففضلاً عن التقاط صورة فتوغرافيّة لهم ، كانت مفارزها الأمنيّة في كافّة الطرق المؤدّية إلى النجف تضبط أسماءهم بدقّة ، وكانت هذه الإجراءات قد اتُّخذت تمهيداً لاعتقالهم فيما بعد .

ولم يكن السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) يجد ضرورة للتضحية بهذا الكم الهائل من الناس ، وإنّما أراد لهم أن يستغلّوا تضحيته هو ﷺ فيما بعد .

وثانياً: حرص ﷺ على عدم كشف القطّاعات الأُخرى من المؤمنين الذين كانوا يعتزمون المجيء إلى النجف، وكان يقول:

«إنّ أُولئك ذخيرة العمل المستقبلي، ويمكن أن نُفاجئ بهم السلطة في المستقبل إذا تسنّى لنا تصعيد المواجهة معها».

وثالثاً: وجد السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) في تجاوب أبناء الشعب العراقي واستعدادهم الكبير في انتفاضة رجب الفرصة المناسبة للسعي الجاد نحو إقامة حكومة إسلاميّة في العراق، وكان همّه الكبير في البحث للاستفادة من القوى الجماهيرية في هذا المجال، وقد قال لي في بداية الحجز: «**إنّ الحجز سيحقّق لنا الفرصة المناسبة لبحث هذا الأمر**» ولكن بمرور الزمن بدأت آماله تتضائل في أن يتمكّن من تحقيق ذلك لا لأنّ الشعب العراقي غير مستعد أو متجاوب بل لأنّه أحسّ بعدم اهتمام أو تجاوب من كان يعتمد عليه في هذا المجال، واستمرّت الأحداث تجري بسرعة ووجد ﷺ أنّ الاستشهاد الهادف وإراقة دمه هو السبيل الوحيد الذي يمكنه خدمة الإسلام من خلاله، وهكذا فعل. والحديث في هذا المجال واسع لا أرى ضرورة لخوض تفاصيله في هذا الكتاب المختصر عن السيد الشهيد ﷺ.

بداية الحجز:

كان هدف السلطة من اعتقال السيد الشهيد ﷺ في يوم (١٧) رجب هو تنفيذ حكم الإعدام فيه، ولمّا فشلت في تحقيق ذلك اضطرّت إلى اتّخاذ إجراء آخر تمثّل بفرض الإقامة الجبريّة (الحجز) عليه، فبعد ساعات قليلة من عودة السيد الشهيد إلى النجف، اتّصل المجرم مدير الأمن العام ومدير الشعبة الخامسة المعروف بزهير ـ أبو أسماء ـ ليبلّغ بقرار الحجز، وقال: لا يحقّ للسيد الصدر الخروج من المنزل، ولا يحقّ لأحدٍ الدخول عليه.

تطويق المنزل:

ثمّ طوّقت أجهزة الأمن منزل السيد الشهيد من كلّ الجهات، ومنعت الناس من المرور من الزقاق الذي يقع فيه، وضيّقوا الخناق على المنطقة كلّها، كما وضعوا جهازاً للمراقبة فوق بناية مطلّة على منزل السيد الشهيد والمنطقة لتصوير ما قد يحدث، وكانت تعمل ليل نهار.

وهكذا بدأ الحجز الذي استمرّ تسعة أشهر، وانتهى بالشهادة.

وممّا يجب أن نشير إليه: أنّ السلطة العميلة كانت مضطرّة لفرض الإقامة الجبريّة على السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه)، إذ كانت تعتقد أنّ الأحداث سوف تكون خطيرة جدّاً لو تُرك السيد الشهيد حرّاً[1].

وكان الاعتقاد السائد أنّ ردوداً من الفعل ستحصل من خارج العراق، وخاصّة من قبل العراقيين المتواجدين هناك ستساهم في تحقيق فرصة أُخرى تتيح للسيد الشهيد تحرّكاً أكثر خطورة وأهمّية.

قطع الماء والكهرباء والهاتف:

ثمّ قامت السلطة بقطع الماء والكهرباء والهاتف واستمرّ ذلك ما يقرب من خمسة عشر يوماً، ولولا وجود خزّانات المياه لقتلنا العطش حتماً، ويبدو أنّ السلطة كانت تستهدف ذلك.

منع خادم السيد الشهيد‌ من دخول البيت:

ورافق ذلك أنّ السلطة منعت الحاج عباس ـ خادم السيد الشهيد ـ من دخول المنزل، وهو الذي كان يوفّر ما تحتاجه عائلة السيد الشهيد من مواد غذائيّة قبل الحجز، وكان الهدف من ذلك هو قتل السيد الشهيد وعائلته جوعاً.

---

(١) أخبرنا بذلك المرحوم السيد علي بدر الدين خلال فترة الاحتجاز.

وبسبب هذه المحاصرة الجائرة اضطررنا إلى الاستفادة من **الخبز اليابس الذي لا يصلح للأكل**، وكنت يوماً أتغدّىٰ مع السيد الشهيد ﵀ **من هذا الطعام، فلمّح في** وجهي علامات التأثّر، وكنت في نفسي أقول: سبحان اللّٰه: إنّ نائب **المعصوم يأكل** من هذا الفتات بينما يأكل الطغاة ما لذّ وطاب! فقال لي:

«إنّ هذا الطعام ألذّ طعام ذقته في حياتي؛ لأنّه في سبيل اللّٰه ومن أجل اللّٰه».

وكلّما مرّت الأيّام كانت تشتدّ المحنة على السيد الشهيد سيّما من الناحية العاطفيّة، فإنّه كان يحسّ بحرج كبير وهو يرى أطفاله جياعاً، وأُمّه المريضة المقعدة تطلب الدواء ولا دواء، وكان يقول لي:

«سيموت هؤلاء جوعاً بسببي، ولكن ما دام ذلك يخدم الإسلام فأنا سعيد به، ومستعدّ لما هو أعظم منه».

كانت أوّل عملية اقتحام لفكّ الحصار الغذائي قام بها سماحة العلّامة السيد مير حسن أبو طبيخ (حفظه اللّٰه)، وكان موقفاً شجاعاً وبارّاً، فقد هيّأ كمّية من المواد الغذائيّة، وجاء إلى الزقاق الذي يقع فيه منزل السيد الشهيد ﵀ بعد أن سمحت السلطة للناس بالمرور عبره متظاهراً بالمرور منه إلى جهة شارع الإمام زين العابدين ﵇، ولمّا وصل إلى الباب طرقه فهرعت الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّٰه) لتعرف ماذا حدث، فسمعت السيد مير حسن أبو طبيخ يقول لقوّات الأمن التي حاولت منعه:

«الآن أذهب معكم إلى حيث تريدون، هل تريدون قتل الأطفال جوعاً وعطشاً؟».

وعندها فتحت الشهيدة الباب لأنّها كانت تعرف صوته، فألقى زنبيلين من المواد الغذائيّة، وأغلق الباب.

ولم تنجح خطّة الحصار الغذائي بعد أن انتشر خبرها، وشاع بين الناس، **فقد**

واجهت السلطة ضغطاً لا من المرجعيّة، ولا من الحوزة، بل من الشباب وعامّة المؤمنين الذين ملأوا الجدران بالشعارات، وبالمناشير التي توزّع بسرّية، وتندّد بالحصار الغذائي ممّا اضطرّ السلطة إلى فكّ الحصار، فسمحت للحاج عباس بإيصال الغذاء يوميّاً ولكن في ظلّ رقابتها، وكان شرطي الأمن يرافقه كظلّه في السوق، ولا يسمح له بالكلام مع عائلة السيد الشهيد، فكان يستلم ورقة صغيرة كُتبت عليها احتياجات العائلة من المواد الغذائيّة فيقوم بشرائها تحت إشراف الأمن، وهكذا استمرّ الحال لفترة طويلة.

الأمن يبحث عنّي:

في الشهر الأول من الحجز شكّت السلطة بوجودي في مزل السيد الشهيد ﷺ، فجاء مساعد مدير أمن النجف، وطلب من الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) حضوري إلى دائرة الجنسيّة والإقامة لمدّة خمس دقائق فقط، لأنّي كنت قد كفلت سماحة الشيخ المسلمي ـ وهو أحد طلّاب السيد الشهيد ـ وقد صدر الأمر بتسفيره إلى إيران، فكان يجب عليّ أن أفي بما التزمت به لدائرة الإقامة، وأقوم بإحضاره.

نفت الشهيدة وجودي في البيت، وقالت لهم: فتّشوا عنه في غير هذا المكان، ولم يكن أحد يعلم بوجودي في البيت إلّا السيد الشهيد وأُخته الشهيدة (رحمها اللّه) وكان ذلك في بداية الأحداث.

وبعد ثلاثة أيّام جاء أحد ضبّاط الجنسية وطلب من الشهيدة حضوري إلى دائرة الجنسيّة لنفس السبب، فواجه نفس الجواب، واستمرّ الحال على هذا المنوال مدّة شهر تقريباً.

وكان لابدّ من حلّ، فاتّفقت مع السيد الشهيد على تضليل السلطة بتقديم دليل قاطع على عدم وجودي في منزل السيد الشهيد، وذلك بأن أخرج من البيت بطريقةٍ ما، ثمّ أتّصل هاتفياً بالسيد الشهيد، وأُعرّفه نفسي وأستفسر عن صحّته وأحواله،

وبما أنّ الهاتف مراقب ، والمكالمات تسجّل ، فإنّ السلطة ستعتقد أنّي خارج المنزل قطعاً ، بل ستطمئن أنّي في خارج العراق حسب بعض فقرات المكالمة الهاتفيّة التي سأتحدّث بها مع السيد الشهيد .

وهكذا كان ، وبعدها انقطع السؤال عنّي تماماً وعدت إلى البيت ، وبقيت مع السيد الشهيد ﵀ إلى آخر يوم من حياته ، والحمد للّه ربّ العالمين على ذلك .

العزلة التامّة:

من اليوم الثامن عشر من رجب تقريباً وحتّى اليوم الأخير من شهر شعبان كنّا في عزلة كاملة عن العالم ، فلا أخبار الناس تصل إلينا ، ولا أخبارنا تصل إليهم ، وكأنّنا أحياء دُفِنّا في قبر كبير .

كان يؤنسنا المذياع ، نستمع إلى أخباره ، وكانت تسرّنا أبواق السيارات ، فنسعد بها ؛ لأنّنا نشعر بأنّنا قرب العالم ، وكان صوت أُمّ تنادي ولدها أو صراخ طفل يصل إلى مسامعنا يؤنسنا غاية الأُنس ، وكان دويّ المخبز الملاصق للمنزل أحلى من أيّ لحن ، هكذا يشعر الإنسان إذا وضع في قفص خانق .

بداية الاتّصال:

وبدأت لنا أوّل صلة بخارج البيت في اليوم الأخير من شهر شعبان حينما صعدت إلى سطح المنزل ، ووقفت في زاوية منه بحيث لا تراني أجهزة المراقبة ولا عيون الأمن مترقّباً هلال شهر رمضان المبارك ، فرأيت سماحة الأخ حجّة الإسلام والمسلمين السيد عبدالعزيز الحكيم (حفظه اللّه)[1] ، وكان هو أيضاً قد صعد إلى

---

(١) كان لسماحته دور بطولي وفدائي في خدمة السيد الشهيد ؛ فمن اليوم الأخير من شهر شعبان وحتّى نهاية الحجز كان أهمّ حلقة توصل السيد بخارج البيت ، والمنفّذ الحكيم لكلّ ما كان يطلبه السيد الشهيد ، رغم احتمال أن يؤدّي به الأمر إلى أن يضحّي بنفسه وعائلته في أيّ لحظة . وقد أشاد به السيد الشهيد كثيراً ، وفي آخر رسالة كتبها ؛ وهي أقرب ما تكون إلى ⇦

السطح مترصّداً الهلال .

وبما أنّ المسافة بعيدة ـ نسبياً ـ بين دار السيد الشهيد وداره ، كان تفاهمنا عبارة عن إشارات باليد ، بعضها كانت مفهومة والأُخرى غير مفهومة ، ولكن الشيء الذي اتّفقنا عليه من خلال الإشارات أن نلتقي في اليوم التالي في نفس الوقت .

وهكذا بدأت لنا أول صلة بالعالم من خلال هذا الطريق بعد عزلة تامّة استمرّت ما يقرب من خمسين يوماً .

وفي اليوم الثاني صعدت إلى السطح ، فرأيته من بعيد يشير إليَّ بإشارات ، وأنا أيضاً أُقابله بإشارات مماثلة حاولت من خلالها أن أفهم ما يقول وأُفهمه بما أُريد ، ولكن من دون نتيجة تذكر ، حيث لم يفهم بعضنا مراد البعض عبر الإشارات فاتّفقنا على موعد آخر .

وفي اليوم الذي بعده كتب عبارات على قطعة من الكارتون ، استطعت أن أقرأ بعضها ، وعجزت عن قراءة البعض الآخر ، وكانت هذه المحاولة بداية التوصّل إلى الأُسلوب المناسب للتخاطب ، فبعد ذلك كنت أكتب ما يريده السيد الشهيد ؛ على (صينية الطعام) بخط كبير ـ وقد يستدعي ذلك عدّة صواني وأقوم بعرضها الواحدة بعد الأُخرى على حسب تسلسل كلمات الجملة ، فأُقدّم الأُولى ثمّ الثانية وهكذا حتّى تتمّة الجملة ، وهو يقرأها بواسطة الناظور المقرّب (الدوربين) ويفهم ما نريد إيصاله إليه ، وهكذا نحن نقرأ ما كان يكتبه لنا ، ويتمّ التفاهم بيننا بهذا الأُسلوب .

وكنّا فيما بعد نتّفق على أكثر من موعد في اليوم حسب ما تقتضيه الظروف ، وقد يحدث أن يتمّ الاتّصال من دون موعد في بعض الأحيان .

⇦الوصيّة ، وبعثها إلى سماحة آية اللّه السيد محمود الهاشمي ، أوصاه به وبي بعبارات قلّما يعبّر السيد الشهيد بمثلها لأحد ، فجزاه اللّه (تعالى) خير الجزاء .

ولا أنسى دور سماحة الأخ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبدالحليم الزهيري (حفظه اللّه) فقد قام بدور كبير في تلك الفترة وكان أكبر همّه خدمة السيد الشهيد والدفاع عنه وتنفيذ أوامره فجزاه اللّه خيراً .

وبهذه الطريقة استطاع السيد الشهيد ﵀ أن يكون على اطّلاع كامل على الأوضاع، ومن خلاله كانت تصل توجيهاته وتعليماته إلى المجاهدين والمؤمنين.

السلطة تبعث طبيباً:

بعثت السلطة الدكتور ضياء العبيدي من دون طلب سابق بحجّة إجراء فحوصات للسيد الشهيد، والكشف عن وضعه الصحّي، فقالت له الشهيدة بنت الهدى: إنّ صحّة السيد بخير، ولا يحتاج إلى طبيب، فأصرّ على السيدة الشهيدة وقال: إنّ السلطة سمحت لي بذلك. وهي أيضاً أصرّت على عدم وجود ضرورة لذلك، ولم تسمح له بدخول البيت، ولا ندري ما هو الهدف الحقيقي من هذه المبادرة!!

وإذا كان لنا الحقّ في أن نشكّ في كلّ أعمال السلطة على ضوء ما نعرف عنها من خبث وحقد، فإنّ ما حدث قد يكون محاولة لاغتيال السيد الشهيد ﵀.

السلطة تبعث بجاسوسة:

وعلى الرغم من وجود أجهزة التجسّس الالكترونيّة المنصوبة في داخل البيت فإنّ السلطة كانت قلقة من الأوضاع في داخل منزل السيد الشهيد ﵀، فبعثت إحدى النساء لمعرفة ما يجري في داخله.

طرقت الباب، ففتحت لها الشهيدة بنت الهدى الباب، ومن دون استئذان دخلت وقالت: إنّي أرغب بزيارتكم.

فقالت لها الشهيدة: وكيف حصلت على الإذن من السلطة بزيارتنا؟

فقالت: لا يحتاج ذلك إلى الإذن.

الشهيدة: ورجال الأمن الذين يطوّقون بيتنا لم يمنعوك من ذلك؟!

قالت: كلّا.

كان الانطباع الأوّلي أن تكون المرأة كغيرها من النساء أو الرجال الذين لم

يكونوا على اطّلاع كامل عن الأوضاع فجاءوا لزيارة السيد الشهيد أو عائلته وهم في الحجز فألقي القبض عليهم ، إلّا أنّ السيدة الشهيدة لاحظت أنّ هذا الوجه غريب ، بل لم تكن المرأة هذه تعرف مَنْ المتحدّثة معها أيضاً ، هل هي بنت الهدى أو أمّ جعفر ، ثمّ إنّ هذه التضحية الكبيرة ـ وهي الزيارة العلنية في هذا الظرف العصيب ـ التي لم يجرأ عليها أقرب المقرّبين من السيد الشهيد ، أو الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) باعثة على الاستفهام والاستغراب .. وما هي إلّا دقائق معدودة حتّى كشفت هذه المجرمة عن هويّتها من خلال الأسئلة التي كانت تطرحها . واستمرّت هذه المجرمة تتردّد على منزل السيد الشهيد بين الحين والآخر حتّى نهاية الحجز .

مجيء سفير الجمهوريّة الإسلاميّة:

وفي تلك الفترة حاول سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيد محمود دعائي (حفظه اللّه) سفير جمهوريّة إيران الإسلاميّة في بغداد زيارة السيد الشهيد ﷺ وهو في الحجز .

حدث ذلك حينما كنت أنظر إلى الزقاق من فتحة أحدثها كسر صغير في زجاجة النافذة التي تطلّ عليه ، فشاهدت السيد الدعائي يقترب من منزل السيد الشهيد ﷺ ، فذهبت بسرعة ووقفت خلف الباب لأستمع للحديث الذي سيدور بينه وبين قوّات الأمن التي تطوّق المنزل .

حاول سماحته أن يدقّ الجرس ، فقال له أحدهم : سيدنا ، إنّ السيد الصدر غير موجود .

السيد الدعائي : أنا أعلم أنّ السيد في بيته .

(الأمن) : السيد ذهب إلى الكاظميّة ، أو سامراء للزيارة ـ والترديد منّي ـ .

وجرى بينهم حديث آخر يدور حول نفس الموضوع ، كان بعضه يصل إلى مسامعي ، والبعض الآخر لا يصل ، ولم يتمكّن من زيارة السيد الشهيد ﷺ .

بعد محاولة سماحة السيد الدعائي زيارة السيد الشهيد شدّدت السلطة من إجراءاتها الأمنيّة، ومراقبتها للمنزل وللزقاق. وكان بعض أفراد الأمن المجرمين يصيح بصوت عالٍ ليُسمع السيد الشهيد، أو عائلته عبارات مثل (عملاء إيران مصيرهم الإعدام)، أو (انكشفت الحقائق، وتبيّنت العمالة) وأمثال ذلك.

كتابة البيان الثاني:

وكتب السيد الشهيد ﵀ البيان الثاني وهذا نصّه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله الطاهرين، وصحبه الميامين.

يا شعبي العراقي العزيز..

يا جماهير العراق المسلمة التي غضبت لدينها وكرامتها ولحرّيتها وعزّتها، ولكلّ ما آمنت به من قيم ومُثل..

أيّها الشعب العظيم:

إنّك تتعرّض اليوم لمحنة هائلة، على يد السفّاكين والجزّارين الذين هالهم غضب الشعب، وتململ الجماهير، بعد أن قيّدوها بسلاسل من الحديد، ومن الرعب والإرهاب، وخيّل للسفّاكين أنّهم بذلك انتزعوا من الجماهير شعورها بالعزّة والكرامة، وجرّدوها من صلتها بعقيدتها وبدينها، وبمحمّدها العظيم، لكي يحوّلوا هذه الملايين الشجاعة المؤمنة من أبناء العراق الأبي إلى دمى وآلات يحرّكونها كيف يشاؤون، ويزقّونه ولاء عفلق وأمثاله من عملاء التبشير والاستعمار، بدلاً من ولاء محمّد وعلي صلوات اللّه عليهما.

ولكنّ الجماهير دائماً هي أقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة، وقد

تصبر ولكنّها لا تستسلم، وهكذا فوجئ الطغاة بأنّ الشعب لايزال ينبض بالحياة، ولاتزال له القدرة على أن يقول كلمته، وهذا هو الذي جعلهم يبادرون إلى القيام بهذه الحملات الهائلة على عشرات الآلاف من المؤمنين والشرفاء من أبناء هذا البلد الكريم، حملات السجن والاعتقال والتعذيب والإعدام، وفي طليعتهم العلماء المجاهدون، الذي يبلغني أنّهم يستشهدون الواحد بعد الآخر تحت سياط التعذيب.

وإنّي في الوقت الذي أُدرك فيه عمق هذه المحنة التي تمرّ بك يا شعبي، يا شعب آبائي وأجدادي أُؤمن بأنّ استشهاد هؤلاء العلماء، واستشهاد خيرة شبابك الطاهرين، وأبنائك الغيارى تحت سياط العفالقة لن يزيدك إلّا صموداً وتصميماً على المضي في هذا الطريق، حتّى الشهادة أو النصر.

وأنا أُعلن ـ يا أبنائي ـ أنّي صمّمت على الشهادة، ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي، وإنّ أبواب الجنّة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء، حتّى يكتب اللّه لكم النصر.

وما ألذّ الشهادة التي قال عنها رسول اللّه ﷺ: إنّها حسنة لا تضرّ معها سيّئة، والشهيد بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت.

فعلى كلّ مسلم في العراق، وعلى كلّ عراقي في خارج العراق، أن يعمل كلّ ما بوسعه ـ ولو كلّفه ذلك حياته ـ من أجل إدامة الجهاد والنضال، لإزالة هذا الكابوس عن صدر العراق الحبيب، وتحريره من العصابة اللاإنسانيّة، وتوفير حكم صالح فذّ شريف، يقوم على أساس الإسلام.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

١٠ شعبان ١٣٩٩هـ

محمّد باقر الصدر

زيارة مدير أمن النجف:

عندما تسلّم صدّام السلطة قام بدعوة إفطار لمجموعة من العلماء أكثرهم من علماء اخواننا السنة وبعض الأفراد من علماء الشيعة منهم سماحة السيد حسين السيد إسماعيل الصدر (حفظه اللّه) وقد رفض الاستجابة لهذه الدعوة فاعتقل، وفي مديرية الأمن صعدوا به إلى مقصلة الإعدام إن لم يستجب لحضور دعوة الإفطار، فاضطرّ لقبول ذلك، وفي هذه الدعوة سلّم صدّام على السيد حسين وسأله عن السيد الصدر سؤالاً عابراً، وكان سلام وسؤال عزّت الدوري أوسع، وهناك طلبوا منه أن يتدخّل لفكّ الحصار وتسوية الصراع، ولم يكن من خيار أمامه إلّا القبول، وكان النظام قد أطلق سراح بعض السجناء، وهم أكثر من مائتين كإبداء لحسن النيّة في عهد الطاغية الأسود، وعلى أثرّ ذلك وبعد عيد الفطر المبارك اتّصل مدير أمن النجف وطلب من الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) الإذن لزيارة السيد الشهيد ﵀، فقالت له: إنّ السيد نائم، ولا يمكن أن أتحدّث معه، فقال لها: سوف اتّصل بكم بعد ساعة.

وخلال هذه الساعة جرى حديث بيننا حول الموقف المناسب تجاه هذا الطلب، وكان موقف السيد الشهيد الرفض أوّلاً على أساس أنّ الزيارة قد تمتصّ همم وغضب العاملين، أو من كان يُعتقد أنّه مهتم بأمر احتجاز السيد الشهيد، وكان يريد أن يجعل عملية الاحتجاز قضيّة كبيرة تؤجّج الروح الثوريّة لدى الناس، وتدفعهم إلى مواصلة الجهاد، ومن ناحية ثانية كان السيد الشهيد بحاجة إلى معرفة المستجدّات في موقف السلطة، ليتمكّن على ضوء ذلك من معرفة ما يجب أن يفعله. وبما أنّ زيارة مدير الأمن ستكون شبه سرّية، ولن تنعكس إلّا على نطاق محدود من الناس، فقد وافق على أن تتمّ بعد الظهر، حيث يقلّ تردّد الناس في زقاق المنزل إلى حدّ كبير.

وبعد ساعة اتّصل مدير أمن النجف فقالت له الشهيدة (رحمها اللّه): لا مانع

من ذلك على أن تكون الزيارة بعد الظهر.

وبعد الظهر جاء مدير أمن النجف ، والتقى بالسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) ، وجرى بينهما الحوار التالي :

مدير الأمن : سيّدنا أنا آسف على أن أزوركم في هذه الظروف ، وكنّا نرغب في أن لا يحدث هذا الوضع .

السيد الشهيد : أيّ وضع ؟

مدير الأمن : الاحتجاز .

السيد الشهيد : أنا راضٍ بهذا الوضع ، ولست متضايقاً منه .

مدير الأمن : نحن غير راضين به ، ونتمنّى أن ينتهي بسرعة ، وتعود الحياة إلى طبيعتها .

السيد الشهيد : إذا كان هذا الوضع غير طبيعي ، فأنتم سببه .

مدير الأمن : سيّدنا أنت لا تعلم بما حدث ـ في رجب ـ ، لقد كانت ثورة حقيقية كادت أن تنجح لولا حزم القيادة . إنّنا لم نواجه حدثاً كهذا منذ ثورة ١٧ تموز وحتّى ذلك اليوم ، إنّ الأوضاع كانت خطيرة جدّاً ، وإلى الآن توزّع المناشير ، وتكتب الشعارات على الجدران التي تحرّض الناس علينا .

ثمّ قال : نحن نعلم أنّ ظروفكم غير طبيعيّة ، وقد تكون بحاجة إلى المال ، نحن بخدمتكم لأي مقدار تحتاجون إليه .

السيد الشهيد : لست محتاجاً إلى المال .

مدير الأمن : هل من خدمة أُقدّمها لكم ؟

السيد الشهيد : أطلقوا سراح المعتقلين ، فإنّ هؤلاء لا ذنب لهم .

مدير الأمن : سأنقل طلبكم إلى الجهات المختصّة .

هذا بعض ما جرى في تلك الزيارة .

ومن المؤكّد أنّ السيد الشهيد ﷺ قد حصل على كلّ ما كان يريد ، وتأكّد له أنّ

الحجز يمكن أن يكون قضيّة كبيرة تُستثمر لخدمة الإسلام، وعلى هذا الأساس تشدّد في اللقاءات الأُخرى في موقفه من فكّ الحجز.

موفد آخر للسلطة:

وبعد مضي شهر واحد تقريباً من لقاء مدير أمن النجف بالسيد الشهيد ﷺ بعثت السلطة الشيخ عيسى الخاقاني بمهمّة خاصّة.

وقبل أن نعرف طبيعة هذه المهمّة يجب أن نشير إلى حقيقة مهمّة، وهي أنّ الشيخ الخاقاني لا يرتبط بأيّ شكل من العلاقات بالسيد الشهيد ﷺ، فليس هو من تلاميذه، ولا من وكلائه، كما أنّ الشيخ المذكور يعتبر من أعداء الثورة الإسلاميّة في إيران، وكان له دور كبير في تأجيج الفتن في المنطقة العربية من خوزستان.

والحقيقة أنّ السيد الشهيد ﷺ استغرب كثيراً حينما اتّصل الشيخ الخاقاني هاتفياً، وطلب الإذن بزيارته ﷺ، وكان الاحتمال الأقرب الذي تبادر إلى أذهاننا قبل أن يلتقي بالسيد الشهيد هو أنّ ضغطاً حصل من قبل الشيعة في دول الخليج على السلطة البعثيّة ممّا أجبرها على السماح لممثّل لهم يزور السيد الشهيد ليطمئن على صحّته وسلامته، أمّا أن يأتي على أساس أنّه ممثّل أو مبعوث للسلطة، فهو أمر لم يكن محتملاً لدينا.

التقى الشيخ الخاقاني بالسيد الشهيد، وكان يرافقه شخص آخر، لم نعرفه بشكل دقيق ومن المحتمل أن يكون من أقاربه.

وبدأ الخاقاني حديثه مخاطباً السيد الشهيد بخجل مفتعل، فقال: لقد جئت إلى خدمتكم لأجل حلّ هذه المشكلة، وإعادة الأُمور إلى طبيعتها.

السيد الشهيد: ومن كلّفك بهذه المهمّة؟

الخاقاني: القيادة.

السيد الشهيد: ماذا تقصد بالقيادة؟

الخاقاني : رئيس الجمهورية والمسؤولين .

السيد الشهيد : الأزمة سبّبتها الدولة ، إنّها لا تتحمّل مجيء وفود لم يرفعوا شعاراً ضدّها ، ولم يهدّدوا الأمن ، إنّ كلّ وفد منها كان يأتي ويجلس معي عشرة دقائق يطلب منّي أن لا أُغادر العراق ، ثمّ يعود بكلّ هدوء إلى بلده ، هل هذا العمل يعتبر جريمة أو تهديداً للسلطة ؟

الخاقاني : كلّا ، فالحكومة لا تعتبر ذلك جريمة ، وإنّي أودّ أن أُطلعكم بأنّ المسؤولين قالوا لي : أبلغ السيد الصدر أنّ بإمكانه أن يفتح بابه ، ويستقبل أيّ أحد يرغب بزيارته ، أو يخرج إلى أيّ مكان شاء ، ويمارس حياته الطبيعيّة .

السيد الشهيد : إنّ حياتي طبيعيّة ، وأنا سعيد للوضع الذي أنا فيه ، ولا حاجة إلى ذلك كلّه .

بعد ذلك كشف الشيخ عيسى الخاقاني عن المهمّة الحقيقيّة التي بعثوه من أجلها ، فقال : سيّدنا ، تعلمون أنّ الحوزة العلمية بحاجة إلى تغيير وبناء جديد ، وبحاجة إلى دعم وإسناد .

السيد الشهيد : نعم ، إنّها بحاجة إلى ذلك .

الخاقاني : وخاصّة الحوزة العلمية العربيّة ، إنّها بحاجة إلى بناء جديد ، ولا أحد يستطيع أن يفعل ذلك غيركم ، وأنا مستعد لتنفيذ كلّ أوامركم بهذا الشأن .

السيد الشهيد : الحوزة العلميّة في النجف الأشرف كيان واحد لا يتجزّأ ، ليس لدينا حوزة عربية وأُخرى فارسيّة ، وثالثة أفغانيّة ، بل لدينا حوزة فيها العربيّ ، والفارسيّ ، والأفغاني ، والباكستانيّ ، ومن مختلف القوميات .

الخاقاني : ولكن يا سيدي سيطر العجم على الحوزة ، فمعظم المراجع منهم .

السيد الشهيد : الأجواء في الحوزة العلمية حرّة ، وكلّ من يثبت لياقة وجدارة يتقدّم ، ولا يمنعه من ذلك أحد .

الخاقاني : هل تعلم ـ يا سيدي ـ ماذا فعل العجم بالعرب في خوزستان ، لقد

قتلوا شبابهم، وهتكوا أعراضهم، وسلبوا أموالهم، لقد وقف الخميني ضدّ العرب، أذلّهم وسحق كرامتهم.

السيد الشهيد: أنا لا أسمح لك أن تتكلّم بهذا، إنّ السيد الخميني مرجع عادل لا يفرّق بين عربيّ وأعجميّ، كان هنا في النجف يمنح المرتب الشهري للعرب والعجم، لا يفرّق بين أحد منهم. وإذا كان الغرض من مجيئك إلى هنا هو هذا فلست مستعدّاً لمواصلة الحديث.

الخاقاني: معذرة، لم يكن الهدف هذا، وإنّما كان الهدف تطوير الحوزة، وفي أثناء ذلك أحببت أن أُخبركم بأنّ أحداثاً مؤلمةً وقعت لعرب خوزستان.

السيد الشهيد: عرب خوزستان يعيشون في ظلّ دولة إسلاميّة، لهم ما لغيرهم، وعليهم ما على غيرهم، ولا أُحبّ أن يتكرّر هذا الكلام مرّة أُخرى.

انتهى هذا اللقاء، ومن الواضح أنّ هدف السلطة كان تحريك الحسّ القومي، واستغلاله لإيجاد فاصلة كبيرة بين النجف والثورة الإسلاميّة.

إنّ الشيخ عيسى الخاقاني يعيش في دولة من دول الخليج لا في النجف، وهو يعلم أنّ السيد الشهيد محتجز لا تسمح السلطة بالاتصال به، فكيف استطاع تجاوز هذه الحدود، وبادر إلى تحمّل مسؤوليّة بناء الحوزة العلميّة العربيّة في النجف!! بل ولماذا في هذا الوقت بالذات؟!

إنّ التفسير الأقرب لما حدث هو أنّ السلطة استهدفت ـ عن غباء ـ أن تجعل من السيد الشهيد ﵀ منافساً قويّاً لقيادة السيد الخميني ﵀، وتجعل من النجف منافساً قويّاً لحوزة قم، وتقوم بتأجيج الصراع بينهم. وهذا لو حدث فإنّه يحقّق لها من الآمال مالم تكن تحلم به.

ولا أدري كيف خطر في ذهن القيادة البعثيّة هذا وهي ترى السيد الشهيد ﵀ وقد ألقى بكلّ ثقله لتأييد الثورة الإسلاميّة وقائدها الإمام الخميني ﵀.

وعاد الخاقاني مرّة أُخرى:

وبعد فترة قصيرة جاء الشيخ عيسى الخاقاني مرّة أُخرى، وقال للسيد الشهيد (رضوان الله عليه) : إنّ هذه هي الفرصة الوحيدة التي يمكن أن تستفيدوا منها لحلّ هذه الأزمة ، إنّنا بحاجة إلى حوزة ومرجعيّة عربيّة ، والسلطة مستعدّة لتقديم كافّة المساعدات ، كالرواتب للطلبة ، والإعفاء من الخدمة العسكريّة ، وقد بحثت مع المسؤولين كافّة التفاصيل .

فأجابه السيد الشهيد ﷺ : **بأنّ الحوزة والمرجعيّة ليست بحاجة إلى مساعدة أحد ، الحوزة قائمة بنفسها، وإمام العصر يرعاها ، وأنا لست مستعداً لقبول أي عرض ممّا تقول .**

وخابت مؤامرة السلطة التي حاولت تنفيذها بواسطة الشيخ عيسى الخاقاني ، أمام صمود ووعي وحكمة السيد الشهيد ، وتضحيته في سبيل مبادئه .

وساطة السيد علي بدرالدين:

ومن المحاولات التي جرت أثناء فترة الحجز محاولة قام بها المرحوم السيد علي بدرالدين ، فمن خلال علاقاته الواسعة بالمسؤولين في السلطة ، وخاصّة القياديين منهم طلب أن يتوسّط لديهم لحلّ الأزمة بينهم وبين السيد الشهيد ، وكان يتصوّر أنّ بإمكانه ذلك .

وحينما علم السيد الشهيد ﷺ أنّ السيد علي بدرالدين سوف يأتي لهذه المهمّة استرّ لذلك ؛ لأنّه يعلم أنّ السيد بدرالدين على اطّلاع كبير بما يجري خلف الكواليس ، ولن يتردّد في الكشف عن كلّ مخطّطات السلطة تجاه هذه القضية ، وأنّ ما سوف يكشف عنه علي بدرالدين سيكون له تأثير كبير على تخطيط السيد الشهيد ﷺ .

وبعد مكالمة هاتفيّة استأذن فيها لزيارة السيد الشهيد ﷺ جاء وجلس في الغرفة

الخاصّة باستقبال الضيوف لوحده ، وكنت في مكان بحيث يمكنني أن أستمع لما يجري فيها من حديث ، فسمعته يقول : إلهي بحقّ محمّد وآل محمّد وفّقني لحلّ هذه المشكلة وإنقاذ السيد الصدر من القتل .

بعد ذلك حضر السيد الشهيد ﷺ ، فسأله عن موقف السلطة ، وبماذا تفكّر ؟

فقال : لقد سمعت منهم كلاماً خطيراً ، وأنا قلق جدّاً من ذلك ، إنّ ما يستفزّهم جدّاً ويغيظهم ويثير فيهم الحقد عليكم هو تأييدكم للثورة الإسلاميّة في إيران ، لابدّ من إيجاد حلّ لهذه القضية .

السيد الشهيد : وماذا يريدون ؟

السيد بدر الدين : يريدون شيئاً من التأييد لهم ، أو التراجع عن موقفكم من تأييد الثورة الإسلاميّة في إيران بشكل مناسب .

السيد الشهيد : وإذا لم أفعل ؟

السيد بدر الدين : واللّه ـ يا سيدي ـ إنّهم يفكّرون بإعدامكم ، والتخلّص منكم ، لا حديث لهم إلّا هذا ، ولا همّ لهم إلّا التفكير في كيفيّة تنفيذه ، إنّ هؤلاء قُساة لا رحمة في قلوبهم .. إنّي أرجوك ـ يا سيدي ـ أن تفكّر ولو بقليل من التنازل لإنقاذ حياتك ، إنّ استشهادك خسارة كبيرة .

السيد الشهيد : كيف ينظرون لما حدث في رجب ، وما أعقبه من أحداث ؟

السيد بدر الدين : إنّهم في قلق وخوف دائمين ، إنّهم يخشون من تصاعد الأحداث وتطوّرها ، إنّهم يعتبرون ما حدث في رجب ثورة لم تنجح ، وخوفهم من تكرّر ذلك .

السيد الشهيد : لا أتنازل أبداً ، وموقفي ثابت ، وإذا كان هؤلاء يفكّرون بإعدامي ، فأنا مستعدّ لذلك .

السيد بدر الدين : سيّدي ، هل من أمل ولو ضعيف ؟

السيد الشهيد : أبداً .

وبكى السيد علي بدر الدين بكاءاً شديداً، ثمّ قال: إنّني سأترك العراق، وأُسافر إلى لبنان، أنا لا أُريد أن أبقى هنا وأُشاهد جنازتكم.

وكان هذا آخر لقاء له بالسيد الشهيد ﵀، وبعدها غادر إلى لبنان، وبعد مضيّ فترة من الزمن قامت المخابرات العراقيّة باغتياله هناك.

وعلى ضوء المعلومات التي أدلى بها السيد علي بدر الدين، وكذلك الانطباعات التي حصلت بعد زيارة مدير أمن النجف للسيد الشهيد ﵀ تأكّد أنّ الحجز رغم ما فيه من صعاب وآلام يعتبر مشكلة كبيرة للسلطة، كما أنّه يمكن أن يكون قضيّة تستثير الجماهير، وتحرّضها على مواصلة الجهاد.

وكانت الأدلّة تتوارد، ففي كلّ يوم تقع أحداث تؤكّد صحّة هذه الرؤية، فكانت أعمال الاغتيال والتفجير، والمواجهات المسلّحة، وكتابة المناشير[1] وتوزيعها، وكتابة الشعارات على الجدران من الأحداث اليوميّة التي أصبحت وكأنّها طبيعيّة، وكان السيد الشهيد يسمع بنفسه أصوات إطلاق النار في بعض الليالي أثناء المواجهات المسلّحة بين المؤمنين وقوّات السلطة، فكان شعوره بصحّة هذه الرؤية يقوى يوماً بعد آخر.

---

(١) وبرع المجاهدون الأبرار في توزيع المناشير، وكانت بعض أساليبهم في غاية الطرافة، فمثلاً قام أحد المجاهدين بكتابة شعارات على قصاصات ورقيّة صغيرة، ثمّ غلّف بها قطع الحلوى ـ الجكليت ـ وأعاد تغليفها مرّة أخرى بورقها الأصلي وأعطاها لأحد عملاء السلطة الذين يخدمون في الحرم الشريف، وقال له: انثر هذه الحلوى في الصحن على الزوّار ـ وهذا العمل من الأعمال المتعارفة على أنّه وفاء لنذر أو عهد، فقام بنثره على رؤوس الزوّار، وكان ممّن أخذ من تلك الحلوى بعض رجال قوات الأمن المرابطين في الصحن، فلمّا فتحوها وجدوا الأوراق التي تحمل شعارات تندّد بالسلطة، فألقوا القبض على عميلهم، وانهالوا عليه بالضرب داخل الصحن الشريف، ثمّ أخذوه إلى مديريّة أمن النجف وضاع من ذلك اليوم شخصه وخبره.
وكانت معظم الملابس الجاهزة المعروضة للبيع في شركة (اورزدي باك) ملغمة بالمناشير، ففي جيب كلّ بدلة أكثر من منشور، ممّا جعل أكثر الناس يتجنّبون الاقتراب منها.
وتجد في معظم المصاحف وكتب الأدعية عدّة مناشير تندّد بالسلطة، وتطالب بالإفراج عن السيد الشهيد ﵀.

إنّ السيد الشهيد ﵀ قدّم كلّ ما يملك وفعل كلّ ما يمكن، ولا شيء أكبر من أن يستعدّ لقبول الاحتجاز له ولعائلته وأطفاله في سبيل ضمان مستقبل التحرّك والجهاد لإسقاط السلطة، وإقامة حكومة إسلاميّة ربّانيّة على أرض العراق، تحكم بما أنزل اللّه، وتحقّق للشعب حرّيته وكرامته وحقوقه.

قد لا أستطيع أن أعبّر بشكلٍ دقيقٍ عن واقع الحجز، إنّه في الحقيقة مأساة مروّعة عاشتها عائلة كاملة، ولولا وصيّة السيد الشهيد ﵀ لي بكتمان بعض تلك المأساة لذكرت من الأحداث ما يشيب له الرضيع[1].

فأيّ أبٍ يحبّ أن يرى أبناءه جياعاً وهو لا يعرف إلى متى ستستمرّ هذه الحالة؟

وأيّ أبٍ يتحمّل أن يرى مشهداً لطفلةٍ له تتلوّى من ألم الأسنان وهو لا يستطيع أن يوفّر لها قرصاً مسكّناً؟

وأيّ ابن يتحمّل أن يرى أُمّه العجوز التي أنهكتها مصائب الدنيا تختنق من شدّة السعال وهو يعجز عن توفير الدواء لها؟

وأيّ أبٍ يتحمّل أن يرى عائلته وأطفاله يعيشون عدّة أشهر في بيت لا يعلم في أيّ لحظة سينهار بهم جميعاً.. ولا منجاة لهم منه؟!

وإنّي على يقين من أنّ تلك المشاهد العاطفيّة، وغيرها من اللحظات المثيرة وما هو مشعر بالخطر منها كانت تأخذ من قلبه مأخذاً كبيراً لدرجة جعلته يتمنّى الموت أحياناً، ولكنّه كان يقول: «إنّ ذلك بعين اللّه تعالى، إنّ الناس سبقونا إلى ما هو أعظم ممّا نحن فيه»، وكان يهوّن ممّا ألمّ به ذكر الشهيد السعيد السيد قاسم شبّر ﵀ ويقول:

---

(١) ذكرت بعض ذلك لسماحة آية اللّه السيد الحائري حرصاً على حفظه وعدم ضياعه، وهو غير صالح للنشر.

«إنّه يعاني من التعذيب مالم نعانِ نحن بمقدار عشره...».

ويذكر حصار الرسول ﷺ وجميع آل هاشم في شعب أبي طالب لا يظلّهم من أشعة الشمس شيء، وهم يفقدون الماء والغذاء، فيقول:

«كان ذلك من أجل الإسلام، فلنكن امتداداً لهم، وعلى خطّهم وهدفهم».

إنّ أحداً من أهله لم يشتكِ من المأساة ولم يتململ يوماً من الأيام، ولكن ما طفح كان من مشاعر الأبوّة العطوفة الحانية التي يعنيها أمر أُسرتها وأبنائها، ويهولها ما يحدق بها من مخاطر، ويحوطها من محن، فيؤلمه ما يؤلمها، ويسرّه ما يسرّها.

ومع ذلك كلّه صمّم على أن يستمرّ ـ هو ومن معه ـ على تحمّل هذه المأساة وتحويلها إلى قضيّة تحقّق للإسلام وللعمل الإسلامي أكبر قدر ممكن من الانتصار، ومراراً سمعته يقول:

«إنّني مستعد لأن أبقى مع عائلتي محتجزاً مدى العمر، أو أُضحّي بنفسي وبهم، إذا كان ذلك يحقّق للإسلام نصراً في العراق».

كان السيد الشهيد ﵀ يعتقد أنّ قضيّة الاحتجاز سوف تُستثمر من قِبَل المهتمّين بأمر العمل الإسلامي، وكان يتوقّع أن يسمع أخباراً تسرّه، فليس منطقيّاً أن يتقدّم القائد إلى الأمام ويبقى المقاتلون في مواضعهم ينظرون إلى أشلائه تُقطّع بأيدي أعدائه، وليس من المتوقّع أن يُحتجز السيد الشهيد ﵀ وفي خارج العراق الكثير من فرص العمل الإعلاميّة، والسياسيّة، والجهادية التي يمكن أن تُسخّر لخدمة القضيّة.

كنّا نتابع الإعلام ليلاً ونهاراً عسى أن نستمع لحدث، أو قضيّة تخصّ قضيّتنا، وكنّا نقول: هل يُعقل أنّ أحداً لم يخطّط لاختطاف طائرة، أو اقتحام سفارة، أو اغتيال مسؤول قيادي في السلطة يتجوّل في دول العالم بهدف إلفات نظر العالم إلى هذه القضيّة الكبيرة مثلاً؟ إنّ ذلك غير محتمل على الإطلاق.

إلّا أنّ السيد الشهيد ﵀ فوجئ بأنّه وبدلاً من أن يستمع لإخبار من هذا القبيل

أخذ البعض يطالبه من خلال الهاتف المراقب وهو في الحجز بأن يُجيب على برقيّات لبعض العلماء الأعلام ممّا زاد من غضب السلطة وحقدها عليه بسبب ذلك! كما أنّه لم يحدث شيء ممّا كان يتوقّعه. فلا طائرة تُختطف، ولا سفارة تُقتحم، بل برقيات وأخبار لا طائل من ورائها غير إلحاق الأذى بالسيد الشهيد ﵀.

وحاول (رضوان اللّه عليه) أن يطّلع على الحقيقة كاملة، فأرسل رسالة إلى أحد الأشخاص في خارج العراق وكان قد كتبها على شكل أسئلة لتكون الإجابة دقيقة، وركّز في معظم أسئلتها على مثل هذه القضايا.

ولمّا جاء الجواب ـ على بعض الأسئلة ـ أُصيب بخيبة الأمل، وبدأ بتغيير تصوّراته وخططه في العمل، وقال في حينها:

«إنّه لو قدّر للسلطة أن ترفع الحجز عنّي من دون قيد أو شرط، وأعود إلى حياتي ووضعي الطبيعي، فسوف أعتمد في العمل على أمثال (أصحاب الرسالة)[1]، إنّ هؤلاء أسخى للّه تعالى بدمائهم من أجل الإسلام والقيادة الإسلاميّة، وسأبذل معظم الحقوق الشرعيّة على تربيتهم، إنّ الإسلام اليوم بحاجة إلى المضحّين الفدائيين، إنّ واحداً من هؤلاء يستطيع بعملٍ تضحويٍّ ما أن يغيّر وضعاً قائماً كان يبدو من المستحيل تغييره، ولا يستعدّ أن يفعل بعض ذلك مَنْ بذلنا الكثير من أجله»[2].

وعلى هذا الأساس فكّر بإعادة النظر في كلّ الأُمور، وقد كتب بعض ذلك بخطّه.

---

(١) أُنظر ص ١٠٧.

(٢) من المؤسف أنّ أحدهم كان يتكلّم في مجالس النجف فيقول: إنّ السيد الصدر جاءني يبكي فقال لي: ماذا يمكن أن أفعل للخلاص من هذه الورطة؟!! فقلت له: سيّدنا إنّك تناطح جبلاً ـ يعني السلطة ـ فهل يمكن أن تؤثّر فيه، وكان المفروض أن لا تفعل ذلك منذ البدء. هذا في الوقت الذي كان فيه السيد الشهيد محتجزاً في منزله ولا يمكنه مغادرته فكيف تسنّى له الاتصال بهذا الرجل الخائر خوفاً ورعباً من السلطة!!.

وقد أدّت هذه الرؤية إلى تعزيز فكرة الاستشهاد، وأحسّ أنّ فكّ الحجز حتّى لو حصل من دون ثمن يذكر فإنّه لا يجدي بالنسبة له كقائد. وحديث هذه القضيّة طويل لا أجد ضرورة إلى ذكره.

أمّا في الداخل، فإنّ الأوضاع كانت على أفضل حال قياساً إلى الإمكانات المتوفّرة، وفقدان القيادات الميدانيّة التي تنظّم الأعمال الجهاديّة، بالرغم من إرهاب السلطة وبطشها.

ومن نافلة القول أن أتحدّث عن هذا بعد أن أشاد السيد الشهيد؛ في بياناته بالشعب العراقي ومواقفه الشجاعة والبطوليّة في مقارعة السلطة البعثيّة العميلة، وكان ممتنّاً من العراقيين في داخل العراق، وقد أشار إلى ذلك في موارد كثيرة كان آخرها في الرسالة الأخيرة التي كتبها إلى سماحة السيد الهاشمي، وعبّر فيها عن اعتزازه بهم.

الزيارة الثانية لمدير أمن النجف:

وجاء مدير أمن النجف مرّة أُخرى، وكانت مهمّته تتلخّص بما يلي:

١ ـ محاولة الحصول على شيء بسيط من التنازل، فقد قال للسيد الشهيد ﷺ: إنّ السلطة تشعر أنّ كرامتها أُهينت، وأنّ أبسط تجاوب منكم سوف يُنهي الأزمة.

ورفض (رضوان اللّه عليه) أن يتجاوب مع هذا المقترح، وقال له: لم يصدر منّي شيء من هذا القبيل، إنّ هذه افتراضات تفترضونها، وأنا على كلّ حال لا أشعر بالضيق من الوضع الحالي.

٢ ـ أخبره بأنّ السلطات تسمح للعائلة بالخروج من البيت وللأطفال بالذهاب إلى المدارس، كما تسمح بزيارة بعض الأرحام لكم.

هذا أهمّ فقرات تلك الزيارة.

وكان السماح بالخروج من البيت أهمّ فرصة للشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) للعمل رغم مراقبة قوّات الأمن لها، من لحظة خروجها وإلى

لحظة عودتها ، وقد تحدّثنا عن ذلك فيما سبق .

البرّاك يتّصل هاتفياً ويُبلّغ برفع الحجز:

وممّا لا شكّ فيه أنّ السلطة واجهت ضغطاً جهاديّاً وجماهيريّاً أجبرها على رفع الحجز عن السيد الشهيد ﷺ ، وهو أيضاً كان بحاجة إلى فرصة مناسبة وكافية يستطيع استثمارها ، وينفّذ خططه الجديدة على ضوء التجربة المرّة التي عاشها في الحجز ، والتي كشفت له عن عدم صحّة بعض المتبنّيات الخاصّة في أساليب العمل والعاملين .

وعلى كلّ حال فقد اتّصل فاضل البرّاك مدير الأمن العام ، وأبلغ الشهيدة بنت الهدى أنّ القيادة قرّرت رفع الحجز عن السيد الشهيد ، وأنّ بإمكانه العودة إلى حياته الطبيعيّة .

وفي الوقت نفسه رفعت السلطة جميع مظاهر الاحتجاز التي كانت تطوّق بها المنزل والزقاق الذي يقع فيه ، وأبقت نقطة مراقبة ثابتة في مقبرة (آل زيني) التي تشرف على الزقاق .

ولم تكن تخفى على السيد الشهيد حقيقة هذه المبادرة ، فهو يعرف أنّ السلطة في العراق لا تتعامل بمنطق المرونة والحرّية مع عدوّ لدود لها ، إلّا إذا بلغت إلى مرحلة الاضطرار والقهر التي تجبرها على اتّخاذ موقف يخالف طبيعتها الإرهابيّة والإجراميّة ، كما أنّه ليس من الطبيعي أن ترفع الحجز من دون ثمن يحفظ لها هيبتها وموقعها كدولة وسلطة حاكمة إن لم تكن مضطرّة إلى ذلك .

وتعامل (رضوان اللّه عليه) بالمزيد من الحذر والاحتياط تجاه هذه المبادرة ، وقد قال لي في حينها :

« يجب أن نجعل رفع الحجز أمراً واقعاً لا يمكن للسلطة تحدّيه ، ونجعل تردّد أصناف من الناس أمراً طبيعيّاً لنتمكّن من خلال ذلك اقتناص

الفرص لتنظيم التحرّك الجهادي في العراق، فليس منطقيّاً أن تستمرّ عملية الجهاد دون قيادة ميدانيّة تمتلك رؤية واضحة عن تفاصيل العمل، وكيفيّة تطويره، وجعله كياناً قويّاً متراصّاً دائم الحركة والتواصل».

إنّ الهدف الحقيقي للسيد الشهيد ﷺ من الاستجابة المحدودة لمبادرة رفع الحجز كان هو ما أشرت إليه، ولهذا السبب منع مجيء الشباب وتردّدهم عليه في تلك الفترة، وكان يقول:

«إنّ هؤلاء هم الطاقة الحقيقيّة، والقوّة الضاربة، فيجب أن لا نعرّضهم للخطر في الوقت الحاضر».

كما أنّ السيد الشهيد ﷺ بقى من الناحية العمليّة محتجزاً فلم يخرج من بيته مطلقاً، وكان يقصد بذلك أن تستمرّ الحالة اللّاطبيعيّة في أذهان الناس والمجاهدين، ويُحبط أيضاً محاولة السلطة التي استهدفت امتصاص نقمة الجماهير وغضبهم برفع الحجز عن السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه).

وقد شاع خبر فكّ الحجز بين الناس، واستعدّ الكثيرون للمجيء على شكل وفود كبيرة، كما حدث في رجب الحرام، إلّا أنّه رفض ذلك، وكانت رغبته أن يقتصر التردّد على كبار السن، والعلماء والطلبة في المرحلة الأُولى، وبعد ذلك يكون لكلّ حادث حديث.

وكان من الممكن أن يتحقّق ذلك، ويصبح رفع الحجز أمراً واقعاً يصعب على السلطة تحدّيه أو إعادة النظر فيه لو أنّ المرجعيّة العامّة والحوزة العلمية وقفتا مع السيد الشهيد ﷺ موقفاً ينسجم مع المسؤوليّة الشرعيّة والواجب الديني.

وكانت خيبة الأمل الكبيرة حينما أحجمت المرجعيّة العامّة من الاستجابة لطلب عدد كبير من العلماء وأبناء الأُمّة لزيارة السيد الشهيد ﷺ، واكتفت بتمثيل شخصيّة تنوب عنها في ذلك، وكان لهذا الموقف أهمّية خاصّة من وجهة نظر السلطة؛ لأنّه يكشف عن أنّ ردّ فعل المرجعيّة في حال اتّخاذ السلطة لإجراء انتقامي

ضدّ الشهيد الصدر ﷺ سوف لا يكون بالمستوى الذي يولّد للسلطة أزمة، وهو ما حدث بالضبط بعد استشهاده ﷺ إذ لم يحدث من ردّ فعل حتّى على مستوى الحداد الصامت، أو الاحتجاج غير المعلن ولو بحجّة التمارض مثلاً، ولم يكن يوم استشهاد السيد الصدر ﷺ إلّا مثل اليوم الذي سبقه.

كان المرجع الوحيد الذي بادر لزيارة السيد الشهيد هو المرحوم آية اللّه العظمى السيد عبدالأعلى السبزواري ﷺ، فقد جاء متحدّياً السلطة، ومحيّياً بطولة السيد الشهيد وصبره وتضحيته، فكان موقفه موقفاً مشكوراً، عبّر من خلاله عن موقف العالم الربّاني الذي لا يخشى في اللّه لومة لائم، وعندما خرج من بيت السيد الشهيد ألقت قوّات الأمن القبض عليه، وحاولت اقتياده إلى مديريّة أمن النجف، فقال لهم: إنّ واجبي أن أزور السيد الصدر، وأنا مستعدّ لتحمّل مسؤوليّة ذلك، اذهبوا بي إلى حيث تشاؤون.

وبادر أيضاً الكثير من العلماء والطلبة إلى زيارة السيد الشهيد ﷺ، وامتنع الأكثر، ومع ذلك أوشكت الأُمور أن تعود إلى حالتها الطبيعيّة، ويصبح رفع الحجز حقيقة واقعة بمعنى الكلمة، وتعجز السلطة حينها عن اتّخاذ أيّ ردّ فعل ضدّ السيد الشهيد ﷺ ولحقّقت المرجعيّة والحوزة ـ أيضاً ـ قوّة ومكانة، ولما تعرّضت للذلّ والهوان فيما بعد.

بعد تلك المؤشّرات قال لي (رضوان اللّه عليه):

«إنّ السلطة ستعود إلى فرض الحجز».

وهكذا كان، فبعد أيّام قليلة أعادت كلّ الإجراءات الإرهابيّة، وفرضت الإقامة الجبريّة بشدّة بالغة، ووحشيّة لا نظير لها إلى درجة اضطرّ خادم السيد الشهيد الحاج عباس إلى ترك العمل، والانقطاع عنّا، وعادت حالة الفاقة من جديد بشدّة، وأوشكنا على مجاعة حقيقيّة، لولا أن بادر بعض الأُخوة إلى إقناع الحاج عباس بالعودة إلى العمل مرّة أُخرى فعادت الأُمور إلى ماكانت عليه

وكان السيد الشهيد ﵁ يقول :

« ليس من حقّنا أن نكلّف الحاج عباس أكثر من طاقته ، إنّ الرجل كان يتحمّل مسؤوليّة خدمة الضيوف وشراء احتياجات المنزل ، أمّا أن يشاركنا المحنة إلى هذا الحدّ فهو أمر فوق طاقته ، وخارج عن واجبه ، ونحن لا نتوقّع ذلك منه » .

وكان الحاج عباس إذا حضر صباحاً لشراء احتياجات العائلة يرافقه أحد أفراد الأمن ، ويتجوّل معه في السوق ، وهو معه كظلّه لا يفارقه لحظة ، وقد يسأله لمن هذه الحاجة ، ومَنْ يأكل هذا ؟ ولِمَ اشتريت هذه ؟ فإذا أكمل مهمّته وعاد بما اشترى إلى البيت ، وسلّمه إلى العائلة يرافقه الأمن إلى بيته عند عودته إليه . وكان في بعض الأحيان يتعرّض لتفتيش غير متوقّع ، وكان السبب في ذلك أنّ أحد عملاء السلطة واسمه (باسم) ، وكان بيته قريباً من بيت السيد الشهيد ﵁ قد حرّض قوّات الأمن على ذلك ، وكنت قد سمعته يتحدّث معهم حول هذا الموضوع ، وأخبرهم أنّ بعض المؤمنين يبعثون رسائل إلى السيد الشهيد بواسطة الحاج عباس . وكان بعضهم يستعمل معه الحرب النفسيّة ويهدّده بالإعدام ، وكانت الأجواء تساعد على تصديق ذلك . فشكّلت هذه الأمور وغيرها ضغطاً نفسيّاً عليه اضطرّته إلى ترك العمل فترة معيّنة .

وعلى كلّ حال فإنّ السلطة استهدفت من إعادة الحجز أحد أمرين :

الأوّل: أن يتنازل السيد الشهيد للسلطة ، ويخضع لها خضوعاً كاملاً .

الثاني: التمهيد لعملية إعدامه ، أو اغتياله حسب طبيعة الظروف الآتية .

وكنت قد تحدّثت مع السيد الشهيد ﵁ عن فكرة الخروج من العراق ، وطُرُق تنفيذ ذلك ، وكان الأخ السيد عبدالعزيز الحكيم يخطّط أيضاً لتنفيذ هذه الفكرة ، وكانت رغبتنا قويّة في تحقيق ذلك ، خاصّة وأنّني تمكّنت من الخروج من البيت أكثر من مرّة بسبب ضرورات ومسائل مهمّة كان لابدّ لي من تنفيذها -حسب أوامر السيد

الشهيد ، وكما يقال ، فإنّ الوقوع دليل الإمكان ، فلماذا إذن لا نحقّق ذلك للسيد الشهيد ، وننقذه من مخالب الطغاة المجرمين ؟

وكان بعض المؤمنين قد خطّط لعمليات إنقاذ اُخرى ، منها أنّه فكّر بحفر نفق يتّصل بمنزيل السيد الشهيد ﷺ وإنقاذه من خلاله.

كما أنّ سماحة السيد محمود دعائي (حفظه اللّه) كان قد هيّأ للسيد جوازاً للسفر ، وآخر لي على أمل أن يستفيد ﷺ من فكّ الحجز المؤقّت للخروج من العراق بواسطة الجواز.

إلّا أنّ السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) كان قليل الاهتمام بهذه الخطوات ، وكان يعتقد أنّ خياره الوحيد هو الاستشهاد ، فلم يتجاوب مع هذه المبادرات ، وكنت حينما أطرح عليه هذا الموضوع يسعى جهد الإمكان إلى طرح موضوع آخر.

وكانت الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) تشاركنا في بعض الأحيان تلك الجلسات ، وقد قالت له يوماً :

أخي، إذا كنّا نحن المانع لك من ذلك فنحن واللّه لا نبالي، ولا تفكّر بنا، فنحن على استعداد لأن نموت من أجلك، إنّ هذا طريقنا.

فقال لها : أوبعد ما استشهد السيد قاسم شبّر وأمثاله من المؤمنين أُفكّر بالحياة والأمن ؟ ! إنّ هذا اليوم يوم التضحية ، إنّ لديّ رؤية واضحة ، إنّ خياري هو الشهادة ، فهو آخر ما يمكن أن أخدم به الإسلام[1].

كتابة البيان الثالث:

وكتب (رضوان اللّه عليه) البيان الثالث والأخير ، وهذا نصّه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والحمد للّه ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد وآله وصحبه الميامين.

---

(١) من مذكّراتي عن الشهيدة بنت الهدى (كتاب مخطوط).

يا شعبي العراقي العزيز..

أيّها الشعب العظيم..

إنّي أُخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك، وحياتك الجهاديّة، بكلّ فئاتك وطوائفك، بعربك وأكرادك، بسنّتك وشيعتك، لأنّ المحنة لا تخصّ مذهباً دون آخر، ولا قوميّة دون أُخرى، وكما أنّ المحنة هي محنة كلّ الشعب العراقي، فيجب أن يكون الموقف الجهادي، والردّ البطولي، والتلاحم النضالي هو واقع كلّ الشعب العراقي.

وإنّي منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأُمّة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسنّي على السواء، ومن أجل العربي والكردي على السواء، حين دافعت عن الرسالة التي توحّدهم جميعاً، وعن العقيدة التي تضمّهم جميعاً، ولم أعش بفكري وكياني إلّا للإسلام طريق الخلاص، وهدف الجميع.

فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي، أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام، وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم لإنقاذ العراق من كابوس التسلّط والذلّ والاضطهاد.

إنّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا البررة من السنّة: أنّ المسألة مسألة شيعة وسنّة، ليفصلوا السنّة عن معركتهم الحقيقيّة ضدّ العدوّ المشترك.

وأُريد أن أقولها لكم ـ يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر ـ: إنّ المعركة ليست بين الشيعة والحكم السنّي، إنّ الحكم السنّي الذي مثّله الخلفاء الراشدون، والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل علي السيف للدفاع عنه، إذ حارب جنديّاً في حروب الردّة تحت لواء الخليفة الأوّل (أبي بكر) وكلّنا نحارب عن راية الإسلام،

وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي.

إنّ الحكم السنّي الذي كان يحمل راية الإسلام، قد أفتى علماء الشيعة ـ قبل نصف قرن ـ بوجوب الجهاد من أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة، وبذلوا دمهم رخيصاً من أجل الحفاظ على راية الإسلام ومن أجل حماية الحكم السنّي الذي كان يقوم على أساس الإسلام.

إنّ الحكم الواقع اليوم ليس حكماً سنّياً، وإن كانت الفئة المتسلّطة تنتسب تاريخيّاً إلى التسنّن، إنّ الحكم السنّي لا يعني حكم شخص ولد من أبوين سنّيين، بل يعني حكم أبي بكر وعمر، الذي تحدّاه طواغيت الحكم في العراق في كلّ تصرّفاته، فهم ينتهكون حرمة الإسلام، وحرمة علي وعمر معاً في كلّ يوم، وفي كلّ خطوة من خطواتهم الإجراميّة.

ألا ترون يا أولادي وإخواني أنّهم أسقطوا الشعائر الدينيّة التي دافع عنها علي وعمر معاً.

ألا ترون أنّهم ملأوا البلاد بالخمور وحقول الخنازير، وكلّ وسائل المجون والفساد التي حاربها علي وعمر معاً.

ألا ترون أنّهم يمارسون أشدّ ألوان الظلم والطغيان تجاه كلّ فئات الشعب، ويزدادون يوماً بعد يوم حقداً على الشعب، وتفنّناً في امتهان كرامته، والانفصال عنه، والاعتصام ضدّه في مقاصيرهم المحاطة بقوى الأمن والمخابرات، بينما كان علي وعمر يعيشان مع الناس، وللناس، وفي وسط الناس، ومع آلامهم وآمالهم.

ألا ترون إلى احتكار هؤلاء للسلطة احتكاراً عسكريّاً عشائريّاً، يسبغون عليه طابع الحزب زوراً وبهتاناً.

وسدّ هؤلاء أبواب التقدّم أمام كلّ جماهير الشعب سوى أُولئك الذين رضوا لأنفسهم بالذلّ والخنوع، وباعوا كرامتهم وتحوّلوا إلى عبيد

أذلاءَ.

إنّ هؤلاء المتسلّطين قد امتهنوا حتّى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي، حيث عملوا من أجل تحويله من حزب عقائدي إلى عصابة تطلب الانضمام إليها والانتساب لها بالقوّة والإكراه، وإلّا فأيّ حزب حقيقي يحترم نفسه في العالم يفرض الانتساب إليه بالقوّة؟!

إنّهم أحسّوا بالخوف حتّى من الحزب العربي الاشتراكي نفسه الذي يدّعون تمثيله، أحسّوا بالخوف منه إذا بقي حزباً حقيقيّاً له قواعده التي تبنيه، ولهذا أرادوا أن يهدموا قواعده لتحويله إلى تجميع يقوم على أساس الإكراه والتعذيب، ليفقد أيّ مضمون حقيقي له.

يا إخوتي وأبنائي من أبناء الموصل والبصرة، من أبناء بغداد وكربلاء والنجف، من أبناء سامرّاء والكاظميّة، من أبناء العمارة والكوت والسليمانيّة؟ من أبناء العراق في كلّ مكان، إنّي أُعاهدكم بأنّي لكم جميعاً، ومن أجلكم جميعاً، وأنّكم جميعاً هدفي في الحاضر والمستقبل، فلتتوحّد كلمتكم، ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الإسلام، ومن أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلّطة، وبناء عراق حرّ كريم، تغمره عدالة الإسلام، وتسوده كرامة الإنسان، ويشعر فيه المواطنون جميعاً على اختلاف قوميّاتهم ومذاهبهم بأنّهم إخوة، يساهمون جميعاً في قيادة بلدهم وبناء وطنهم، وتحقيق مُثلهم الإسلاميّة العليا المستمدّة من رسالتنا الإسلاميّة، وفجر تاريخنا العظيم.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

محمّد باقر الصدر

النجف الأشرف

القيادة النائبة:

وفي الفترة الأخيرة من أيّام الحجز كان السيد الشهيد ﷺ مهتمّاً بقضيّة ملء الفراغ الذي سيحدث بعد استشهاده، فمن سيواصل المسيرة؟ ومن سيقود الثورة؟ ومن يستثمر دمه الطاهر لخدمة الإسلام؟

ولم تكن الخيارات المتاحة له (رضوان اللّه عليه) كثيرة؛ وذلك لأنّ التجربة المرّة أثبتت أنّ الساحة تفتقر إلى القيادة الرشيدة التي ستستثمر دمه وتواصل المسيرة بحكمة وشجاعة، وخاصّة ساحة المرجعيّة والحوزة التي لم تكن مهتمّة إلّا بحياتها الروتينيّة وأعرافها وأوضاعها الخاصّة، وما تجربة الحجز إلّا شاهد حيّ على صحّة تلك الرؤية إذ لم يتحرّك أحد ممّن كان يُفترض أنّه سيتحرّك، وهكذا فليس متوقّعاً أن تستثمر المرجعيّة أو الحوزة دمه الزكي في حال استشهاده، فكان لابدّ من عمل ما يكفل قيادة الثورة من ناحية، والاستفادة من دم السيد الشهيد ﷺ إلى أقصى حدّ في خدمة القضيّة الإسلاميّة من ناحية اُخرى.

وعلى هذا الأساس جاءت فكرة القيادة النائبة كخيار اضطراري لابدّ منه، وكان تخطيطه أن تواصل القيادة النائبة قيادة الثورة وبيدها أعظم محفّز لتحريك الجماهير واستثارتهم، وهو دم السيد الشهيد ﷺ.

وكانت الخطوط العامّة لفكرة القيادة النائبة كما يلي:

١ ـ اختار السيد الشهيد ـ مبدأيّاً ـ أربعة أشخاص من أجلّة العلماء، ليكونوا القيادة النائبة التي كان من المفروض أن يُعلن عن أسمائهم للأُمّة.

٢ ـ وضع ﷺ قائمة بأسماء أشخاص آخرين ـ لعلّ عددهم أكثر من عشرة ـ يكون من حقّ القيادة الرباعيّة انتخاب من تشاء منهم، للانضمام إليها فيما إذا اقتضت المصلحة ذلك، أو اقتضى توسّع العمل إضافة أشخاص آخرين لها، حسب نظام كان قد كتبه.

٣ ـ أن يكتب السيد الشهيد ﷺ رسالة مفصّلة إلى الإمام الراحل السيد

الخميني ؛ يشرح له فيها فكرة القيادة النائبة ، ويبيّن له تفاصيلها ، ويطلب منه الاهتمام بالقيادة النائبة ، وإسنادها بكلّ ما يمكن .

٤ ـ تسجيل بيان بصوت السيد الشهيد ﷺ موجّه إلى الشعب العراقي يوصيه فيه بوجوب الالتفاف حول القيادة وإسنادها ، وإطاعتها ، والعمل بتوجيهاتها .

٥ ـ كتابة بيان مفصّل حول نفس الموضوع موقّع من قِبلِه .

٦ ـ أن يخرج السيد الشهيد ﷺ إلى الصحن الشريف في الوقت الذي يكون فيه مملوءاً بالناس ، وهو الفترة الواقعة بين صلاة المغرب والعشاء ، وهناك يلقي خطاباً على المصلّين ، يعلن فيه عن أسماء أعضاء القيادة النائبة ، ويطلب من الناس إطاعتهم ، والسير تحت رايتهم .

وقال لي (رضوان اللّه عليه) :

«سوف أظلّ أتكلّم وأتهجّم على السلطة ، وأُندّد بجرائمها ، وأدعو الناس إلى الثورة عليها ، إلى أن تضطرّ قوّات الأمن إلى قتلي في الصحن الشريف أمام الناس ، وأرجو أن يكون هذا الحادث محفّزاً لكلّ مؤمن وزائر يدخل الصحن الشريف ، لأنّه سيرى المكان الذي سوف اُقتل فيه فيقول : (ها هنا قتل الصدر) ، وهو أثر لا تستطيع السلطة المجرمة محوه من ذاكرة العراقيين» .

وكان (رضوان اللّه عليه) قد أمرني أن أخرج من البيت ، وأشتري قطعة سلاح ـ وهي المرّة الثانية التي خرجت فيها ـ ، وتمكّنت بمساعدة أحد الإخوة الطلبة أن اُوفّر له ذلك ، وآتي به إلى البيت .

ثمّ قال لي : **«هل أنت مستعدّ لتشاركني الشهادة ؟»**

فقلت : نعم إن شاء اللّه .

فقال : إذاً نخرج معاً ، فإذا حاولت قوّات الأمن منعي من الذهاب إلى الصحن فحاول إطلاق النار عليهم ، لكي يتاح لي الوصول إليه .

وكان المفروض ـ كشرط ضروري لتنفيذ الفكرة وضمان نجاحها ـ أن يكون كافّة أعضاء القيادة الرباعيّة في خارج العراق، لأنّ الإعلان عن أسمائهم وهم في داخله يعني ـ على أقلّ الاحتمالات ـ قيام السلطة باعتقالهم إن لم يكن إعدامهم. وعلى هذا الأساس عرض (رضوان اللّه عليه) فكرة مشروع القيادة النائبة على أحدهم، وبعد نقاش للمشروع وشِكْل اشتراكه فيه اعتذر عن الاشتراك.

وفشل مشروع القيادة النائبة، وأصابت السيد الشهيد ﷺ خيبة أمل قاتلة، وهمّ دائم، فتدهورت صحّته، وأُصيب بانهيار صحّي، وضعف بدني، حتّى كان لا يقوى على صعود السُلّم إلّا بالاستعانة بي، وظهرت على وجهه علامات وحالات لا أعرف كيف أُعبّر عنها.

قلت لسماحته: سيّدي لماذا هذا الهمّ والحزن والاضطراب...؟

فقال: لقد تبدّدت كلّ التضحيات والآمال، أنت تعرف أنّني سوف لن أتنازل للعفالقة، وسوف أُقتل.. أنا لا أُريد أن أُقتل في الزنزانات ـ وإن كان ذلك شهادة مقدّسة في سبيل اللّه ـ بل أُريد أن أُقتل أمام الناس، ليحرّكهم مشهد قتلي، ويستثيرهم دمي، هل تراني أملك شيئاً غير سلاح الدم، وها أنذا قد فقدته، إن قتلني هؤلاء فسوف لن يُفلحوا بعدي، ولن ينتصروا.

وبعد أيّام طلب منّي أن أخرج من البيت، وقال لي:

«قد أتعبتك، وقد وفيت لي، ولا أجد فائدة في استشهادك معي، حاول أن تنجو بنفسك، فرفضت الخروج، وقلت له: سأبقى معك مهما كان الثمن».

وحاول مرّات عديدة وبأشكالٍ مختلفة أن أخرج من البيت، وأتركه وحده، فرفضت، فقال لي:

«لقد وفيت لي، وصبرت معي، فهل من طلب تطلبه؟»

فقلت: نعم.

فقال: وما هو؟

فقلت: تعاهدني على أن لا تدخل الجنّة إلّا وأنا معك.

فقال (رضوان اللّه عليه):

«عهد اللّه عليَّ أن لا أدخل الجنّة إلّا وأنت معي إن شاء اللّه».

ولا أعتزّ بشيء في حياتي بمثل هذا العهد.

اللّهم أسألك بدم أبي جعفر، وآلامه، وما جرى عليه من أجلك إلّا ما جعلتني معه كما عاهدني، يا وفي يا كريم..

هذه هي فكرة القيادة النائبة ملخّصة، وقد أعرضت عن ذكر تفاصيلها حيث لا أجد ضرورة تستدعي ذلك.

الفصل السادس

المفاوضات الأخيرة والاستشهاد

المفاوضات الأخيرة

لقد حدثت مفاوضات متعدّدة في الفترة الأخيرة التي سبقت استشهاده (رضوان اللّه عليه)، وكانت كلّها عقيمة، لأنّ موقفه ﷺ كان ثابتاً فيها جميعاً، ولم تنجح أساليب الترهيب والترغيب في زعزعة موقفه أبداً.

وإذا كانت الظروف والأوضاع لا تسمح لي بذكر كلّ التفاصيل الدقيقة، فلا حرج من ذكر ما يجوز منها على سبيل الاختصار، والإيجاز.

إنّ آخر المفاوضات التي جرت، والتي استشهد (رضوان اللّه عليه) بعدها بأيّام قليلة كانت بينه وبين مبعوث خاصّ ومفوّض من قبل القصر الجمهوري، وقد طال كلّ لقاء من هذه اللقاءات أكثر من ثلاث ساعات، وهنا أسعى لحذف التفاصيل، وأقتصر على البعض المهم من فقراتها موكلاً التفصيل إلى وقت آخر.

بدأت المفاوضات الأخيرة بهذا الشكل: اتصّل فاضل البرّاك مدير الأمن العام بالسيد الصدر ﷺ، وقال له: إنّ القيادة ستبعث لكم اليوم ممثّلاً لها ليبحث معكم كافّة القضايا، وأرجو أن تكون النتائج طيّبة وإيجابيّة.

وبعد ساعة واحدة جاء (المبعوث) محاطاً بعدد من قوّات الحماية، وطلب من الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه) الإذن بلقاء السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه)، وكان مؤدّباً حسن المعاملة والتصرّف قياساً بغيره من المسؤولين.

دخل إلى البيت بعد أن طلب من حمايته البقاء خارج المنزل، ومنعت قوّات

الأمن التي تطوّق منزل السيد الشهيد المرور من الزقاق، بما في ذلك السكّان الذين تقع دورهم فيه.

التقى هذا الشخص بالسيد الشهيد، وعرّف نفسه بأنّه مبعوث خاص من قبل رئاسة الجمهوريّة، ومخوّل من قبلها، وكنّى نفسه بأبي علي.

ويدأ خطوته بمجاملة حارّة! وقال: يصعب على السيد الرئيس وعلينا هذا الوضع الذي لم نكن نرغب فيه، ولم نكن نتمنّى لكم هذا الوضع، وأرجو أن نتوفّق لحلّ هذه المشكلة، فأنت عربي منّا، ومفكّر إسلامي كبير.

السيد الشهيد: إذا كنت تقصد الحجز فأنا لست متضايقاً منه.

المبعوث: لا أعني الحجز وحده، بل الحالة غير الطبيعيّة بيننا.. ثمّ قال: سيّدنا، إنّني مخول من قبل القيادة لبحث كلّ القضايا والمشاكل، وإن شاء اللّه سنتوصّل إلى حلّ لها في هذا اليوم يرضي الطرفين، وتعود الأُمور إلى طبيعتها، بل وتحدث بيننا محبّة وصداقة.

السيد الشهيد: تفضّل.

المبعوث: سيّدنا، إنّ ما حدث ـ في رجب ـ كان تحدّياً للدولة، وقد أُهينت كرامتها، وهُتكت حرمتها، إنّ مسؤوليّة ذلك تقع عليكم. وأحبّ أن أُخبركم أنّ القيادة لم تتسامح مع أحد ـ بما في ذلك رفاق قياديين في حزب البعث ـ كما تسامحت معكم، إنّ من أصعب الأُمور بالنسبة لنا هو كيفيّة التعامل معكم، إنّ هذا من الأُمور المعقّدة بالنسبة للقيادة، إنّ ما صدر منكم ممّا لا يمكن للقيادة تحمّله.

السيد الشهيد: وما الذي صدر منّي؟

المبعوث: أشياء كثيرة، العلاقة بإيران، وفود المعارضة للسلطة، تحريم الانتماء لحزب البعث..

السيد الشهيد: علاقتي بإيران لا تتجاوز علاقتي بالسيد الخميني، وهي علاقة العالِم بالعالِم، وأمّا تأييد الثورة الإسلاميّة فهو موقف ينسجم مع موقف السلطة، فأنتم

أيضاً أيّدتم الثورة الإسلاميّة.

المبعوث : ولكن يجب أن يكون ذلك بموافقتنا ، ومشورتنا ، وما سوى ذلك يعتبر تحدّياً لنا ، وليس من حقّ أيّ مواطن أن يقيم علاقة بدولة ، إنّنا نعتبر ذلك عمالة للأجنبي ، وعلى كلّ حال فلأجل حلّ هذه المشاكل وضعت القيادة شروطاً ، فإن استجبتم لها فسوف تنتهي هذه الأزمة وتعيش معزّزاً مكرّماً .

السيد الشهيد : وما هي الشروط ؟

المبعوث :

١ ـ عدم تأييد الثورة الإسلاميّة في إيران ، والاعتذار عمّا صدر منكم من مواقف بهذا الخصوص من خلال بيان يصدر منكم .

٢ ـ وأن يتضمّن البيان شجباً صريحاً للوفود التي جاءت لتأييدكم في رجب .

٣ ـ أن تُصدر فتوى خطّية تعلن فيها حرمة الانتماء لحزب الدعوة .

٤ ـ التخلّي عن فتواكم حول حرمة الانتماء لحزب البعث .

٥ ـ إصدار بيان تؤيّد فيه السلطة ولو في بعض منجزاتها كتأميم النفط ، أو منح الأكراد الحكم الذاتي ، أو محو الأُمّية .

السيد الشهيد : وإذا لم أستجب لهذه المطالب ؟

المبعوث : الإعدام .

السيد الشهيد : تفضّل ، أنا الآن مستعدّ للذهاب معك إلى بغداد لتنفيذ حكم الإعدام .

قال لي السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) حينما سمع جوابي بقي متحيّراً مذهولاً ، تارةً ينظر إليّ ، وتارةً يطرق برأسه إلى الأرض ، وتغيّر لونه وكأنّه تفاجأ بالجواب ، ثمّ التفت إليّ وقال : هل هذا هو الجواب الأخير ؟

السيد الشهيد : نعم ، لا جواب آخر عندي .

المبعوث : ألا تفكّر بالأمر ؟

السيد الشهيد : لا فائدة .

وانتهى اللّقاء ، ولكنّه جاء في يوم آخر بمشروع جديد ، كان يعتقد أنّ السيد الشهيد ﷺ سيقبل به لما يحمل من إغراءات كبيرة ، فقال المبعوث : سيّدنا ، إنّ السيد الرئيس يعدكم في حال قبولكم بهذه الشروط بما يلي :

١ ـ سيقوم بزيارتكم ، وتغطّى الزيارة من خلال وسائل الإعلام ، ومنها التلفزيون .

٢ ـ في خلال الزيارة سيقدّم السيد الرئيس صدّام حسين سيّارته الشخصيّة هديةً لكم ، وهذا أعلى مراتب التكريم والحفاوة ، ولكي تطمئنّوا إلى صحّة نوايانا فسوف لا نطلب منكم نشر البيان قبل أن تشاهدوا ذلك من التلفزيون .

٣ ـ تكون أوامركم وطلباتكم نافذة في دوائر الدولة ، وبهذا نكون قد بدأنا صفحة جديدة من الصداقة والمحبّة ، لأنّنا أقرب إليك من الخميني ، وأنت أقرب إلينا منه .

السيد الشهيد : موقفي هو الموقف السابق .

المبعوث : نحن لا ندري ماذا تريد ، واللّه (بشرفي) إنّ القيادة لم تتنازل لأحد بهذا المقدار ، واللّه لقد نفّذنا الإعدام بأشخاصٍ عارضونا أقلّ من هذا ، وكان منهم رفاق في الحزب فلماذا هذا الإصرار ؟ ماذا تريد أن نفعل ؟

السيد الشهيد : أنا لم أطلب منكم شيئاً ، وكما قلت لكم إذا كان الحلّ لهذه الأزمة هو الإعدام فأنا مستعدّ لذلك ، ولا كلام آخر عندي .

ظلّ هذا المبعوث ساكتاً ، ولم يتكلّم بشيء ، وبعد فترة عاد إلى الحديث ، ففاوض السيد الشهيد ﷺ على الشروط متنازلاً عنها الواحد تلو الآخر ، والسيد الشهيد مصرٌّ على موقفه ، بعدها قال المبعوث : سيّدنا ، بقي شيء لابدّ منه ، كما أنّه ليس من حقّي أن أتنازل عنه مطلقاً .

السيد الشهيد : ما هو ؟

المبعوث: أن توافق على إجراء مقابلة مع صحيفة أجنبية، وإن شئت أن تكتب الأسئلة بنفسك فلا مانع ـ حتّى لو كانت فقهيّة ـ، ولكن بشرط أن تؤكّد في المقابلة أن لا عداء بينكم وبين السلطة أو تشيد ببعض إنجازاتنا كمحو الأُمّية، أو تأميم النفط، أو منح الأكراد الحكم الذاتي، وفي مقابل ذلك نتعهّد بتنفيذ كلّ التعهّدات السابقة.

السيد الشهيد: وإذا لم أفعل؟

المبعوث: الإعدام، بشرفي لا حلّ غيره.

السيد الشهيد: أنا مستعدّ، ولا كلام آخر عندي.

وتحيّر المبعوث، وظلّ ساكتاً فترة طويلة، ثمّ قام وودّع السيد الشهيد، وجرت دموعه على وجهه، وقال بلهجته العامّية: «حيف مثلك تاكله الگاع ـ أي الأرض ـ حيف، واللّه حيف».

وكانت هذه المفاوضات قد جرت في آخر شهر من أشهر الحجز.

بعد أن انتهى هذا اللقاء قلت للسيد الشهيد ﷺ وكانت أُخته الشهيدة بنت الهدى حاضرة: إنّ الشرط الأخير لا يعتبر مهمّاً، ولا يُفسّر قبولكم به على أنّه تنازل، ثمّ مَنْ لا يعذركم وأنتم تعيشون هذه الظروف القاسية وقد تخلّى عنكم الجميع. إنّ حياتكم أهمّ للإسلام وللعمل الإسلامي في العراق، وإذا كان الحجز قد كشف لكم عن حقائق هامّة، وغيّر من تصوّراتكم عن بعض القضايا، فمن سيستفيد من هذه التجربة إن أنتم استشهدتم، إنّني أرى أن نستفيد من هذه الفرصة ونهيّئ أنفسنا للفرار من العراق، وإذا كنتم لا ترغبون بالخروج من العراق فلنذهب إلى منطقة آمنة في شمال العراق، فمن هناك يمكن أن تقودوا العمل بشكلٍ أفضل ممّا هو في الحجز.

لقد تحدّثت معه (رضوان اللّه عليه) كثيراً حول هذا الموضوع، وتحدّثتْ معه أيضاً الشهيدة بنت الهدى، ولكن دون جدوى، فقد أجابني بأنْ رفع رأسه إلى السماء وقال:

«اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد أن ترزقني الشهادة وأنت

راضٍ عنّي، اللّهمّ أنت تعلم أنّي ما فعلت ذلك طلباً للدنيا، وإنّما أردتُ به رضاك، وخدمة دينك، اللّهم ألحقني بالنبيين والأئمّة والصدّيقين والشهداء، وأرحني من عناء الدنيا».

ثمّ كفكف دموعه، وغسل وجهه، وكان يحرص قدر المستطاع أن لا يدخل الحزن على قلوب عائلته وأطفاله، فأمر الشهيدة بنت الهدى أن لا تخبر أحداً بنتيجة هذا اللقاء.

وكنت أحسّ منه بعد تلك المفاوضات أنّه كان ينظر إلى أطفاله برقّة وعطف، إذ كانت تعلو وجهه ابتسامة يشوبها الحزن كلّما نظر إلى أحدهم، وهذه الحالة لم أكن أعهدها منه قبل هذه الفترة، وكأنّه قد أيقن أنّ أجله قد حان.

الرؤيا:

وبعد فجر ذلك اليوم جاء (رضوان اللّه عليه) فأيقظني للصلاة، فقمت وصلّيت الفجر، ثمّ قال لي: إنّي أُبشّر نفسي بالشهادة إن شاء اللّه.

قلت: خيراً إن شاء اللّه.

فقال:

«رأيت في عالم الرؤيا أنّ خالي المرحوم الشيخ مرتضى آل ياسين وأخي المرحوم السيد إسماعيل الصدر قد جلس كلّ واحد منهم على كرسيّ، وتركوا كرسيّاً لي بينهما، وهما ينتظران قدومي إليهما، ومعهم ملايين البشر ينتظروني أيضاً. ووصف لي النعيم وما هما فيه من سعادة لا تتصوّر».

فقلت: لعلّ هذه الرؤيا تدلّ على الفرج والنصر إن شاء اللّه.

فقال: إنّ الشهادة أعظم نصر إن شاء اللّه.

السيد يكتب وصيّته:

وقد كتب في نفس اليوم وصيّته، أو لعلّ الصحيح أنّه أعاد كتابة وصيّته وضمّنها أشياء جديدة، وكان قد أطلعني على بعضها شفهاً، وبما أنّ المقدار الذي أطلعني عليه خاصّ بي فلا أجد ضرورة لذكره.

وكان (رضوان اللّه عليه) قد بعث في أول فرصة أُتيحت له في فترة الحجز بكلّ ما يملك من أموال إلى خارج العراق بما في ذلك أمواله الشخصيّة لكي لا تقع هذه الأموال بيد السلطة في حال استشهاده وفيها حقوق شرعيّة، وأيضاً بعث بما لديه من أمانات كأموال العبادات إلى الإمام الخوئي بواسطة المرحوم السيد محمّد صادق الصدر، ولم يُبقِ شيئاً في ذمّته.

إرهاصات ما قبل الإعدام:

بعد فشل كافّة المفاوضات والمحاولات مع السيد الشهيد ﷺ للحصول ولو على أبسط قدر من التنازل للسلطة، لأجل حفظ ماء الوجه ـ حسب تعبيرهم ـ قرّروا تنفيذ حكم الإعدام بشهيدنا المظلوم، ومفجّر ثورتنا العظيم.

وقد مهّدت السلطة لذلك باتّخاذ عدّة إجراءات وخطوات، كان أهمّها ما يلي:

١ ـ أعلن الحزب العميل لكوادره عن عزم السلطة على تنفيذ هذه الجريمة، وطلب منهم الإعلان عن ذلك على نحو الاحتمال لا اليقين، تمهيداً لتهيئة الأرضيّة ولمعرفة ردود الفعل الجماهيريّة على تلك الجريمة لو حدثت.

وأتذكّر أنّ الحاج عباس ـ خادم السيد ـ جاء بعد ظهر يوم من تلك الأيام مضطرباً خائفاً وهو يبكي، فأخبر السيد الشهيد ﷺ بأنّ إشاعة قويّة انتشرت بين الناس مؤدّاها: أنّ السلطة ستنفّذ حكم الإعدام بالسيد الصدر في المستقبل القريب.

فقال له (رضوان اللّه عليه): **«لقد بشّرتني، بشّرك اللّه بكلّ خير»**.

٢ ـ عرض تلفزيون السلطة مقابلة مع أحد المعارضين ـ ولست أعرف مضمون

هذه المقابلة ولا الشخص المتّهم ـ ذكر فيها اسم السيد الشهيد الصدر استطراقاً خلال حديثه عن حزب الدعوة الإسلاميّة .

٣ ـ ثمّ جاء حادث المستنصريّة المعروف وما تلاه من ضرب المشيّعين الذين كانوا في موكب تشييع من قتل في ذلك الحادث . ومن خلال شاشة التلفزيون أعلن صدّام التكريتي أنّه سينتقم لتلك الدماء ، فقال : « واللّه .. واللّه .. واللّه .. إنّ هذه الدماء التي جرت على أرض المستنصريّة لن تذهب سدى » .

وأثناء زيارته للجرحى في المستشفى قالت له إحدى الجريحات : سيّدي سفّر الإيرانيين ، فقال لها : نعم ، سنفعل ذلك .

وكان ذلك قبل أن تثبت التحقيقات أنّ منفّذ العملية من أصل إيراني . وما هي إلّا ساعات قليلة حتّى شنّت السلطةِ حملة هائلة لتهجير حتّى العراقيين الذين يحملون شهادات الجنسيّة من الدرجة الأُولى ! فأحدث ذلك رعباً عظيماً بين الناس .

ورافق حملة التهجير عمليات اعتقال كبيرة للشباب المؤمنين الذين كانت السلطة تعتقد أنّ ردّ الفعل سيصدر منهم في حال إعدام السيد الشهيد ﷺ .

وبعد أيّام قليلة من علم السيد الشهيد بتلك المؤشّرات أمرني بالخروج من البيت ، وقال لي :

« إنْ قَتَلَك هؤلاء فسوف يضيع تاريخ هذه الفترة من حياتي » .

وكان من الطبيعي أن لا أستجيب ، وقلت له : هل يجوز أن أتخلّى عنك وأنت في هذه الظروف ؟ ! لا واللّه ، لا يكون ذلك أبداً ، فقال لي :

« إذا حدث ، وجاء هؤلاء الطغاة لاعتقالي ، فلا تخرج معي ، إنّي أُحرّم عليك ذلك » .

وكان قد كتب رسالة أشبه ما تكون بوصيّة عامّة ، وقال لي :

« يجب عليك أن تسلّم تلك الرسالة إلى السيد الهاشمي إن تمكّنت من ذلك وكتب اللّه لك السلامة من هؤلاء » .

ثمّ طلبت منه مسبحة كانت بيده، وقلت له: أُريدها أن تبقى ذكرى، فقال: **«هاك خذها»**، وهي عندي مازلت أحتفظ بها.

أمّا الرسالة فقد بقيت نسختها الأصلية عند سماحة السيد عبدالعزيز الحكيم (حفظه اللّه)، وقد استنسختها بخطّي قبل خروجي من العراق، وأخفيتها في جهاز راديو صغير، ولم أحمل النسخة الأصليّة خوفاً من أن أُعتقل، وتضيع آخر رسالة، أو وصيّة للسيد الشهيد ﷺ، ولمّا وصلت إلى إيران سلّمتها لسماحة آية اللّه السيد محمود الهاشمي (حفظه اللّه) حسب وصيّة السيد الشهيد ﷺ.

انقطاع كامل للّه تعالى:

وفي هذه الفترة انقطع (رضوان اللّه عليه) إلى ربّه (تعالى) انقطاعاً كاملاً، فكان بين تالٍ للقرآن، أو مسبّح حامد، وكان أكثر ذكره (سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلّا اللّه، واللّه أكبر) وكان صائماً في الأيّام الأخيرة من الحجز، ولم يكن له من همّ إلّا العبادة، وكنت في بعض الأحيان أُثير أمامه بعض المواضيع التي تتعلّق بالعمل الإسلامي فلا يجيب بشيء، ويكتفي بابتسامة بسيطة، وكأنّه لا يريد أن يتحدّث عن شيء من هذه الأُمور، إذ لا فائدة ولا أمل في ذلك.

كان الهمّ والحزن ينخر في قلبه حتّى أصبح كأنّه هيكل عظمي من الضعف، وأعتقد أنّ البعض لو رآه لظنّه شخصاً آخر، وما كان ذلك واللّه خوفاً من القتل، ولا حرصاً على الحياة، ولا حبّاً للدنيا، وما حياته المادّية تستحقّ ذلك، إذ كانت بلا رفاه ورغدٍ، فلا قصور منيفة، ولا سيّارات فارهة، استشهد وهو لا يملك من الأرض شبراً واحداً، ولا وضع حجراً على حجر، وما كان همّه في يوم من الأيّام السعي وراء زخارف الدنيا وزينتها.

لقد قضى حياته بين مخالب السلطة العفلقيّة وأنيابها، لا همّ لها إلّا اعتقاله ومضايقته والتجسّس عليه، وقد قال لي يوماً:

«إنّي ـ والله ـ أخشى أن أُقبّل أطفالي خشية أن تسترق أجهزة الصوت الموضوعة في البيت ذلك، وتسخّرها السلطة لأغراض دعائيّة ضدّي، وتصوّرها للناس بشكل آخر».

وإنّي ـ والله ـ لولا خوفي من الاتّهام بالمبالغة والتطرّف لذكرت أشياء تدمي القلب، وتحزّ الفؤاد، فللّه صبرك يا سيّدي يا أبا جعفر.

اليوم الأسود:

في اليوم الخامس من شهر نيسان الأسود عام (١٩٨٠ م) وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر جاء المجرم مدير أمن النجف ومعه مساعده الخبيث (أبو شيماء)، فالتقى بالسيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) وقال له: إنّ المسؤولين يودّون لقاءك في بغداد.

فقال السيد الشهيد: إذا أمروك باعتقالي فنعم، أذهب معك إلى حيث تشاء.

مدير الأمن: نعم، هو اعتقال.

السيد الشهيد: انتظرني دقائق حتّى أُودّع أهلي.

مدير الأمن: لا حاجة لذلك ففي نفس هذا اليوم أو غدٍ ستعود.

السيد الشهيد: وهل يضرّكم أن أُودّع أطفالي وأهلي؟

مدير الأمن: لا، ولكن لا حاجة لذلك. ومع ذلك فافعل ما تشاء.

فقام (رضوان اللّه عليه) وودّع أهله وأطفاله. وهذه هي المرّة الوحيدة التي أراه يودّعهم من بين الاعتقالات التي تعرّض لها.

ثمّ عاد والابتسامة تعلو وجهه، فقال لمدير أمن النجف: هيّا بنا نذهب إلى بغداد.

وذهب السيد الشهيد ﷺ إلى بغداد لينال الشهادة، ويفي لشعبه بوعده حينما خاطبه قائلاً:

« وأنا أُعلن لكم يا أبنائي أنّي صمّمت على الشهادة، ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي، وأنّ أبواب الجنّة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء، حتّى يكتب اللّه لكم النصر، وما ألذّ الشهادة التي قال عنها رسول اللّه ﷺ: إنّها حسنة لا تضرّ معها سيّئة، والشهيد بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت..».

كانت أُولي بوادر الشؤم أنّ السلطة قامت بسحب كافّة قوّاتها من الزقاق، وذهبت الشهيدة بنت الهدى تستطلع الأمر فلم تجد أحداً منهم، فعلمنا أنّ هذا الاعتقال نذير شؤم.

وذهبت الشهيدة (رضوان اللّه عليه) إلى غرفتها، فأبدلت ملابسها بأُخرى وربطت كمّي ثوبها على معصميها ظنّاً منها بأنّها ستسترها حين التعذيب، وقالت لي: أترى أنّ هذا يسترني ؟ فقلت لها: سوف لا تتعرّضين للاعتقال إن شاء اللّه، وجرى حديث آخر بيني وبينها لا أجد ضرورة لذكره.

وجاء الليل، وأيّ ليلة كانت، فلقد خيّم فيها الحزن على قلوبٍ طاهرة، عانت من العذاب والحرمان أكثر من تسعة أشهر لينفجر صباحها عن تطويق جديد لمنزل السيد الشهيد، فهل جاء هؤلاء لأنّ السيد الشهيد سيعود من بغداد سالماً ويُحتَجز مرّة أُخرى ؟كنّا نقول: يا ليت ذلك، إنّها نعمة ما أعظمها.

أمّا الشهيدة بنت الهدى، فقد قالت: كلّا، إنّ هؤلاء جاءوا لاعتقالي ؟ فاستعدّت، وتهيّأت، وكانت واللّه كأنّها زينب أُخت الحسين عليه السلام في صبرها، ورباطة جأشها، وشجاعتها.

وفي اليوم السادس من نيسان الأسود جاء المجرم الخبيث مساعد مدير أمن النجف المعروف بـ(أبي شيماء) ولم تسمح له السيدة الشهيدة بالدخول إلى الدار، فقال لها: علوية، إنّ السيد طلب حضورك إلى بغداد.

فقالت: نعم، سمعاً وطاعةً لأخي إن كان قد طلبني، ولا تظنّ أنّي خائفة من

الإعدام، والله إنّي سعيدة بذلك، إنّ هذا طريق آبائي وأجدادي.

ضابط الأمن : لا علوية ، بشرفي إنّ السيد طلب حضورك .

أجابته الشهيدة مستهزئة: صدقت، بدليل أنّ قوّاتكم طوّقت بيتنا من جديد.

ثمّ قالت له: دعني قليلاً، وسوف أعود إليك، ولا تخف، فأنا لن أهرب، وأغلقت الباب بوجهه.

ثمّ جاءتني وقالت لي :

«أخي أبا علي ، لقد أدّى أخي ما عليه ، وأنا ذاهبة لكي أُؤدّي ما عليّ ، إنّ عاقبتنا على خير .. أُوصيك بأُمّي وأولاد أخي ، لم يبقَ لهم أحد غيرك ، إنّ جزاءك على أُمّي فاطمة الزهراء ، والسلام عليك ..» .

قلت لها : لا تذهبي معهم .

فقالت: لا واللّه حتّى أُشارك أخي في كلّ شيء حتّى الشهادة[1].

وشهد اللّه ، لقد صُعقت وأنا أستمع إليها ، وتحيّرت ماذا سأقول لهذا الجبل الشامخ من الإيمان ، والفداء ، والشجاعة ، وهي تهزأ بالموت والتعذيب من أجل اللّه تعالى .

خبر الاستشهاد والدفن:

وفي مساء اليوم التاسع من نيسان ١٩٨٠ م ، وفي حدود الساعة التاسعة أو العاشرة مساءاً قطعت السلطة التيّار الكهربائي عن مدينة النجف الأشرف . وفي ظلام الليل الدامس تسلّلت مجموعة من قوّات الأمن إلى دار المرحوم الحجّة السيد محمّد صادق الصدر ﷺ ، وطلبوا منه الحضور معهم إلى بناية محافظة النجف ، وكان

(١) من مذكّراتي عن الشهيدة بنت الهدى (كتاب مخطوط) .

بانتظاره هناك المجرم مدير أمن النجف (أبو سعد)، فقال له: هذه جنازة الصدر وأُخته، قد تمّ إعدامهما، وطلب منه أن يذهب معهم لدفنهما.

فقال المرحوم السيد محمّد صادق الصدر: لابدّ لي من تغسيلهما.

فقال له مدير الأمن: قد تمّ تغسيلهما وتكفينهما.

فقال: لابدّ من الصلاة عليهما.

فقال مدير الأمن: نعم، صلِّ عليهما.

وبعد أن انتهى من الصلاة قال له مدير الأمن: هل تحبّ أن تراهما؟

فقال: نعم.

فأمر الجلاوزة بفتح التابوت، فشاهد السيد الشهيد (رضوان اللّه عليه) مضرّجاً بدمائه، وآثار التعذيب على كلّ مكان من وجهه، وكذلك كان حال الشهيدة بنت الهدى (رحمها اللّه).

ثمّ قال له: لك أن تُخبر عن إعدام السيد الصدر، ولكن إيّاك أن تُخبر عن إعدام بنت الهدى، إنّ جزاءك سيكون الإعدام.

ولمّا حانت وفاة المرحوم السيد محمّد صادق الصدر ﷺ أخبر عن شهادة بنت الهدى.

وقد دفن السيد الشهيد في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف وإلى جانبه أُخته الطاهرة بنت الهدى في مكان أعرفه على نحو الإجمال.

التكتّم على الجريمة:

وضربت السلطة العفلقيّة المجرمة طوقاً من التعتيم على جريمتها النكراء، فلم يعلم بالحادث إلّا القليل من أبناء النجف الذين تسرّب إليهم الخبر عن طريق بعض (الدفّانة) الذين يعملون في مقبرة النجف المسمّاة بـ(وادي السلام).

وكانت السلطة تنفي في بعض الأحيان وقوع الجريمة، وفي أحيان أُخرى

تثبتها ، وكان النفي والإثبات يتمّ عن طريق كوادر حزب البعث العميل ، فوقع الناس في حيرة شديدة ، ولا أحد يستطيع أن يشخّص الموقف العملي المناسب تجاه هذه الجريمة الكبرى . وكانت الأسماع في تلك الفترة متّجهة إلى إذاعة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران ـ القسم العربي ـ فكان أملهم أن تنجلي الحيرة بما سوف يُذاع عن هذا الأمر الخطير من خلالها . ويظهر أنّ خبر استشهاد السيد الصدر ﷺ وصلهم بعد وقوع الجريمة بعدّة أيّام ، فأعلن الإمام الراحل السيد الخميني ﷺ نبأ الاستشهاد من خلال بيان تأبيني مهم ، ومنه عرف الناس بوقوع الجريمة الكبرى .

وهكذا خسر العالم الإسلامي والشعب العراقي خسارة لن تُعوّض ، وفقدا علماً خفّاقاً في سماء الإيمان والعلم والمعرفة ..

اغتالته يد الطاغية الجبّار ، المولغ بدماء المؤمنين الأبرار المجرم صدّام حسين التكريتي . فويل لكلّ جبّار أثيم ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**﴾ .

بيان الإمام الخميني ﷺ

وقد أصدر الإمام الراحل السيد الخميني (رضوان اللّه عليه) بياناً تاريخياً أعلن فيه عن استشهاد الإمام السيد الصدر وأُخته المظلومة بنت الهدى، هذا نصّه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

إنّا للّه وإنّا إليه راجعون!

تبيّن ـ ببالغ الأسف ـ من خلال تقرير السيّد وزير الشؤون الخارجيّة، والذي تمّ التوصّل إليه عن طريق مصادر متعدّدة وجهات مختصّة في الدول الإسلاميّة، وحسب ما ذكرته التقارير الواردة من مصادر أُخرى: أنّ المرحوم آية اللّه الشهيد السيد محمّد باقر الصدر وشقيقته المكرّمة المظلومة، والتي كانت من أساتذة العلم والأخلاق ومفاخر العلم والأدب، قد نالا درجة الشهادة الرفيعة على أيدي النظام البعثي العراقي المنحطّ، وذلك بصورة مفجعة!.

فالشهادة تراثٌ ناله أمثال هذه الشخصيات العظيمة من أوليائهم، والجريمة والظلم أيضاً تراثٌ ناله أمثال هؤلاء ـ جنات التاريخ ـ من أسلافهم الظلمة.

فلا عجب لشهادة هؤلاء العظماء الذين أمضوا عمراً من الجهاد في سبيل الأهداف الإسلاميّة، على أيدي أشخاص جناة قضوا حياتهم بامتصاص الدماء والظلم، وإنّما العجب هو أن يموت مجاهدو طريق الحقّ في الفراش دون أن يلطّخ الجناة أيديهم الخبيثة بدمائهم!.

ولا عجب أن ينال الشهادة المرحوم الصدر وشقيقته المظلومة، وإنّما العجب أن تمر الشعوب الإسلاميّة، وخاصّة الشعب العراقي النبيل، وعشائر دجلة والفرات، وشباب الجامعات الغيارى، وغيرهم من الشبّان الأعزّاء في العراق، على هذه المصائب الكبرى التي تحلّ بالإسلام وأهل بيت رسول الله ﷺ دون أن تأبه لذلك، وتفسح المجال لحزب البعث اللعين لكي يقتل مفاخرهم ظلماً الواحد تلو الآخر.

والأعجب من ذلك هو أن يكون الجيش العراقيّ وسائر القوى النظاميّة آلة بيد هؤلاء المجرمين، يساعدونهم على هدم الإسلام والقرآن الكريم.

إنّني يائس من كبار القادة العسكريين، ولكنّني لست يائساً من الضباط والمراتب والجنود، وما أتوخّاه منهم هو: إمّا أن يثوروا أبطالاً وينقضّوا على أساس الظلم، كما حدث في إيران، وإمّا أن يفرّوا من معسكراتهم وثكناتهم، وألّا يتحمّلوا عار مظالم حزب البعث.

فأنا غير يائس من العمال وموظّفي حكومة البعث المغتصبة، وآمل أن يضعوا أيديهم بأيدي الشعب العراقيّ، وأن يزيلوا هذا العار عن بلاد العراق.

أرجوه تعالى أن يطوي بساط ظلم هؤلاء الجناة.

وها أنا أُعلن الحداد العامّ لمدّة ثلاثة أيام اعتباراً من يوم الأربعاء الثالث

من شهر (أُرديبهشت) الثالث والعشرين من نيسان، كما أُعلن يوم الخميس عطلة عامّة؛ وذلك تكريماً لهذه الشخصية العلمية، ولهذا المجاهد الذي كان من مفاخر الحوزات العلميّة، ومن مراجع الدين ومفكّري المسلمين.

وأرجو الخالق تعالى أن يعوّضنا عن هذه الخسارة الكبرى والعظيمة على الإسلام والمسلمين.

والسلام على عباد اللّه الصالحين.

الثاني من شهر أُرديبهشت ١٣٥٩

روح اللّه الموسوي الخمينيّ

الوثائق

الوثيقة رقم (١)　　　«رسالة بخطّ السيد الشهيد»

وقد كان آخر ما تسلمته منكم رسالتكم العزيزة التي تستفهمون فيها عن مقدار حاجتي من استنساخ الدفاتر الأصولية والرسالة تطفح بالاهتمام كما هو شأنكم في كل ما يتصل بأبيكم والواقع أن المهم عندي مباحث القطع والظن والبراءة والاشتغال فقط والقضية أيضاً ليست مبنية على العجلة بل على السعة

« وقد كان آخر ما تسلّمته منكم رسالتكم العزيزة التي تستفهمون فيها عن مقدار حاجتي من استنساخ الدفاتر الأُصوليّة، والرسالة تطفح بالاهتمام كما هو شأنكم في كلّ ما يتّصل بأبيكم، والواقع أنّ المهم عندي مباحث القطع والظن والبراءة والاشتغال فقط، والقضية أيضاً ليست مبنيّة على العجلة بل على السعة».

الوثيقة رقم (٢)　　　«رسالة بخطّ السيد الشهيد»

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدنا العزيز الفاضل الحاج (. . . . .) رعاه الله بعينه التي لا تنام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا وقد أرسلت إليكم بضع نسخ من الفتاوى الواضحة التي جسدنا فيها جانباً مهماً من جوانب التجديد في المرجعية إذ قدمنا للأمة أحكام الشريعة بلغة تفهمها وبمستوى أسلوب العصر ومنهجه وقد كان إقبال الأمة على الفتاوى الواضحة منقطع النظير حتى نفذت الطبعة الأولى تقريباً في أقل من شهر وهذه سرعة مثالية لا نظير لها في الحالات المشابهة السابقة وهذا يدل على مدى عمق تمسك الأمة بعقيدتها ورسوخ علاقتها بمرجعيتها القادرة على التفاهم والتخاطب معها

هذا والسلام عليكم وعلى سائر [illegible] إليكم من المؤمنين ورحمة الله وبركاته

«بسم الله الرحمن الرحيم

ولدنا العزيز الفاضل .... رعاه الله بعينه التي لا تنام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا. وقد أرسلت إليكم بضع نسخ من الفتاوى الواضحة التي جسّدنا فيها جانباً مهمّاً من جوانب التجديد في المرجعيّة إذ قدّمنا للأمّة أحكام الشريعة بلغة تفهمها وبمستوى أسلوب العصر ومنهجته، وقد كان إقبال الأُمّـة علـى الفـتاوى الواضـحة منقطع النظير حتّى نفدت الطبعة الأُولى تقريباً في أقلّ من شهر، وهذه سرعة مثالية لا نظير لها في المجالات المشابهة السابقة، وهذا يدلّ على مدىٰ عمق تمسّك الأُمّة بعقيدتها ورسوخ صلتها بمرجعيّتها القـادرة عـلىٰ التـفاهم والتـخاطب مـعها، هـذا والسلام عليكم وعلىٰ سائر من إليكم من المؤمنين ورحمة الله وبركاته.»

الوثيقة رقم (٣) «رسالة بخطّ السيد الشهيد»

«.. من أشغال ومواجهات وهموم وآمال وقد أحسّست أخيراً برغبة عامّة في أن أكتب مقدّمة للطبعة الثانية من الفتاوىٰ الواضحة في إثبات الصانع والنبوّة، وقد أخذ منّي ذلك وقتاً كبيراً أيضاً، والخلاصة إنّي منذ أشرب كوب الشاي صباحاً أبدأ بالعمل إلى الساعة العاشرة ليلاً ..».

«رسالة بخطّ السيد الشهيد»

الوثيقة رقم (٤)

تم اختيار شخص جيد لترجمة كتاب الاسس
المنطقية للاستقراء وهو شخص مصري درس في جامعات
انكلترا قرابة عشرين عاما وكانت اطروحته
في الدكتوراه في الاستقراء ويدرس المنطق
في الجامعات المصرية ولهذا فان المأمول ان
يكون جديرا بذلك وقد طلب الف جنيه
اي ~~[illegible]~~ ما يقل عن عشرين
الف تومان بكثير فانظروا الفرق الهائل
بين السعرين
ارسلنا (بحث حول المهدي) الى الشيخ الاسلامي لترجمته
الى اللغة الفارسية غير انا ارسلنا المسودة لا المطبوع

«تمّ اختيار شخص جيّد لترجمة كتاب الأُسس المنطقيّة للاستقراء، وهو شخص مصري درس في جامعات انكلترا قرابة عشرين عاماً، وكانت أُطروحته في الدكتوراه في الاستقراء، ويدرّس المنطق في الجامعات المصريّة، ولهذا فإنّ المأمول أن يكون جديراً بذلك، وقد طلب ألف جنيه مصري، أي ما يقلّ عن عشرين ألف تومان بكثير فانظروا الفرق الهائل بين السعرين.

أرسلنا (بحث حول المهدي) إلى الشيخ الإسلامي لترجمته إلى اللغة الفارسيّة غير أنّا أرسلنا المسودّة لا المطبوع ...».

كما صدر لنا (بحث حول المهدي عليه السلام) على وزان
(بحث حول الولاية) و صدر (بحث حول الولاية) بصورة
شبه مضاعفة كما طبعت الكلمة الموجزة في أصول الدين
(المرسل والرسول والرسالة) بصورة مستقلة و
كذلك (نظرة عامة في العبادات) و ارجو ان
اتوفق اذا ساعد حالي واعانت صحتي الى
كتابة كتاب دراسي في أصول الدين تخرج [?]
فيه المقدمة المعهودة للطبعة الثانية من الفتاوى
الواضحة بقدر كبير من ابحاث فلسفتنا بجزء معتد به
من نظريتنا في الأسس المنطقية للاستقراء لكي
يكون كتابا دراسيا حديثا في أصول الدين ان شاء الله
تعالى

«كما صدر لنا (بحث حول المهدي) على وزّان (بحث حول الولاية)، وصدر (بحث حول الولاية) بصورة شبه مضاعفة، كما طبعت الكلمة الموجزة في أُصول الدين (المرسل والرسول والرسالة) بصورة مستقلّة، وكذلك (نظرة عامّة في العبادات)، وأرجو أن أتوفق إذا ساعد حالي وأعانت صحّتي إلى كتابة كتاب دراسي في أُصول الدين فيه المقدّمة المعهودة للطبعة الثانية من الفتاوى الواضحة بقدر كبير من أبحاث فلسفتنا بجزء معتدّ به من نظريتنا في الأُسس المنطقيّة للاستقراء؛ لكي يكون كتاباً دراسيّاً حديثاً في أُصول الدين إن شاء الله تعالى ...».

الوثيقة رقم (٦) «رسالة بخطّ السيد الشهيد»

«الإلحاح عيلنا في كتابة الجزء الثاني من الفتاوىٰ الواضحة شديد. وعلى الرغم من إيماني بأهميّة ذلك إسلاميّاً من زاوية المرجعيّة إلّا أنّي قدّمت عليه فعلاً التشاغل بالبحث المشار إليه سابقاً والذي كنت أُشير إليه باسم البحث في أُصول الدين؛ لأنّي أشعر أنّ ما تجمّع لديّ من المطالب في ذلك الحِقل إذا لم أُوفّق إلى تسجيله فعلاً فقد لا يُسجّل بعد ذلك إطلاقاً، ولا أدري مدىٰ التوفيق. نسأله سبحانه وتعالىٰ التأييد والتسديد ...»

الوثيقة رقم (٧) «رسالة بخطّ السيد الشهيد»

١٥ محرم الحرام ١٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الولد البار الزكي الصفي والمؤمن المهذب التقي محمد علي
حرسه الله بعينه التي لا تنام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تسلمت رسالتكم الكريمة وكنت في تلهف
للاطلاع على احوالكم واستقراركم ففرحت بالرسالة كثيرا
وحمدت المولى سبحانه وتعالى على وصولكم وسائر
افراد العائلة صحيحين سالمين ويعلم الله ان ذكراك و
صورتك في قلبي والبراني بكل ما فيه يذكرني بك وبلطفك
وانسك فانت لم تكن لنا رفيقا في البراني وانما كنت ابنا من
ابنائه البارين وولدا من اولاده المخلصين اعادك الله
اليه على افضل حال بجاه محمد وآله الاطهار والمرجو ان تكتب لي
في جميع الاحوال مباشرة اذا قدرتم عليه من حوائجك ومسائلك
وان ولدنا آقا شيخ ابراهيم حفظه الله تعالى يمكنك
ان تلجأ اليه كلما احتجت الى شيء

ان الرفقاء والعائلة جميعا يذكرونك بأفضل الذكر واعطره
ويشعرون بالوحشة لفراقك وولدنا محمد جعفر حينما
اطلع على ان الرسالة منك اخذ يلثمها بفمه وانفه
يقبلها وهو يبكي وقلبه الصغير يتدفق حبا ووفاء
لك وثناء عليك

ارجو ان لا تنقطع اخبارك عنا لنكون في اطمئنان
عليك وعلى صحتك واستقرارك والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وعلى والدكم الجليل وعلى سائر اخوتكم
ومن يتعلق بكم خصوصا اخيكم حجة الاسلام الشيخ حسن طالب
حفظه الله ورعاه وفي الحقيقة ان ما تذكرونه ايها الاولياء
من الشكر لا موجب له ما دمنا لم نعمل الا ما يجب ونسأل الله
تعالى لكم جميعا ان يسبغ عليكم من نعمه وآلائه وبركاته
ما نصرنا على ذلك وهو ارحم الراحمين

محمد باقر الصدر

١٥ محرم ١٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الوفي الزكي الصفي والمؤمن المهذّب النقـي محمّد علي حرسه الله بعينه التي لاتنام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد تسلّمت رسالتكم الكريمة وكنتَ في تلهّف للاطّلاع على أحوالكم واستقراركم ففرحت بالرسالة كثيراً وحمدت المولى سبحانه وتعالى على وصولكم وسائر أفراد العائلة صحيحين سالمين، وعلم الله أنّ ذكرك وصورتك في قلبي، والبرّاني بكلّ ما فيه يذكّر بك وبنبلك وأمانتك، فأنت لم تكن خادماً للبرّاني وإنّما كنت ابناً من أبنائه البارّين، وولداً من أولاده المخلصين، أعادك الله إليه على أفضل حال بجاه محمّد وآله الأطهار، وإنّي على أي حال وفي جميع الأحوال حاضر لما أقدر عليه من عونكَ ومساعدتك، وإنّ ولدنا آقاي أبو أحمد حفظه الله تعالى يمكنك أن تلجأ إليه كلّما احتجت إليّ.

إنّ الرفقاء والعائلة جميعاً يذكرونك بأفضل الذكر وأعطره ويشعرون بالوحشة لسفرك، وولدنا محمّد جعفر حينما اطّلع على أنّ الرسالة منك أهوىٰ عليها بفمه وأخذ يقبّلها وهو يناديك وقلبه الصغير ممتلأ حبّاً ووفاءاً لك وثناءاً عليك.

أرجو أن لا تقطع أخبارك عنّا لنكون في اطمئنان عليك وعلىٰ صحّتك واستقرارك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى والدكم الجليل وعلى سائر إخوتكم ومن يتعلّق بكم خصوصاً أخيكم الكبير ثقة الإسلام الشيخ حسن علي محقّق حفظه الله ورعاه، وفي الحقيقة أنّ ما تذكرونه أيّها الأوفياء من الشكر لا موجب له لأنّا لم نقم إلّا بما يجب. وفّقنا الله تعالىٰ لخدمتكم جميعاً وأسبغ عليكم من نعمه وآلائه وبركاته ما هو أهل لذلك وهو أرحم الراحمين

محمّد باقر الصدر»

الوثيقة رقم (٨) «رسالة بخط السيد الشهيد»

بسم الله الرحمن الرحيم

العزيز المعظم حفظه الله تعالى ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حدثني السيد علاء الدين حفظه الله تعالى عن اهتمامكم واهتمام الوجيه العزيز الحاج سالم عبد الحسين بشأن شراء دار ووجود تبرع بمبلغ سبعة [illegible] وانني اقدر لكم ايها الاحبة هذه الاهتمامات وارجو من المولى سبحانه وتعالى ان يثيب المتبرع الموفق بافضل ما يثيب به المحسنين ويزيد في توفيقه ويجعل له خير الدنيا وخير الآخرة انه سميع مجيب غير انني في نفس الوقت أعتذر عن قبول هذا التبرع لشراء دار لي لانا لا نشعر بحاجة إلى الأخذ من هذه الدنيا إلا بمقدار ما يوفر لنا الاستقرار اللازم لممارسة المسؤوليات الدينية وهذا يحصل في بيت الايجار المناسب أيضاً ولئن كان اولادي سوف لن يحصلوا من أبيهم على ميراث من هذا القبيل فلهم أسوة بابيهم الذي لم يخلف له ابوه دارا ولا عقارا وها أنا [illegible] و[illegible] والنفس [illegible]

نعم في الوقت الذي يتاح لنا فيه ان نحول المرجعية من ذات

بسم الله الرحمن الرحيم

العزيز المعظّم حفظه الله تعالى ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حدّثني السيد علاء الدين حفظه الله تعالىٰ عن اهتمامكم واهتمام الوجيه العزيزز الحاج كاظم عبدالحسين بشأن شراء دار ووجود متبرّع بمبلغ سبعة بهذا الشأن وإنّي أُقدّر لكم أيّها الأحبّة هذه الاهتمامات وأرجو من المولىٰ سبحانه وتعالىٰ أن يثيب المتبرّع الموفّق بأفضل ما يثيب به المحسنين ويزيد في توفيقه ويجمع له خير الدنيا وخير الآخرة إنّه سميع مجيب.

غير أنّي في نفس الوقت أعتذر عن قبول هذا التبرّع لشراء دار؛ لأنّي لا أشعر بحاجة إلى الأخذ من هذه الدنيا إلّا بمقدار ما يوفّر لي الاستقرار اللازم لممارسة المسؤوليات الدينيّة، وهذا ما يحصل في بيت الإيجار المناسب أيضاً، ولئن كان أولادي سوف لن يحصّلوا من أبيهم علىٰ ميراث من هذا القبيل فلهم أُسوة بأبيهم الذي لم يقتنِ له أبوه داراً ولا عقاراً، وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مضانها إلى جدث.

نعم في الوقت الذي يتاح لنا أن نحوّل المرجعيّة من ذات ...»

الوثيقة رقم (٩)   «رسالة بخطّ السيد الشهيد»

عزيزي ابا جواد في الفترة الاخيرة جاء الى الزيارة السيد ....

صهر السيد ...... وهو شخص لنا علاقات معه [illegible] طويلة الامد

وقد اجتمع بي ودارت احاديث مفصلة خلال خمسة مجالس

في محاولة لتصفية العلاقات وتوثيقها بين الحركة ومرجعية السيد

...... وكان بودي ان تكون قريب لاتحدث اليك

بكل ما دار من حديث كما تعودت في كل قضية ولكن ما لا يدرك كله

كله لا يترك كله وتحدث الشيخ [illegible] مليا بالموضوع كله

وكلفته بان ينقله اليك لكي تتضح انت سياسة الحركة

هناك من الناحية الاخلاقية والحوزوية على اساس الالتزام وتلزم

كل ابنائنا بذلك ان السيد .... كان يعترض ويقول كيف

تتصدى للمرجعية في عهد السيد وتريد شرحت له كل الظروف وكل

سلبيات مرجعية السيد [illegible] ذاتياً فرضت الاضطرار الى موقف من

هذا القبيل وبعد اخذ ورد طويلين قلت له ماذا تريدون

قالوا نريد ان تذكر بان مرجعيتك طولية قلت نعم انا

التزم بذلك قالوا نريد ان تؤكد لمحبيك ان اصح الرسالة

للمقلدين شيء ومزاحمة المرجعية العليا وايجاد التفاضل في الاعلمية

والتعديل عن التقليد شيء آخر قلت وهذا ايضا انا

اراه منذ البداية والآن سوف اجدد التأكيد على اصحابي

هذا المجال وعلى هذا الأساس أنا أريد يا عزيزي أن تفهم كل
إخوتك إني تعهدت عنهم جميعاً بأن يلتزموا بما التزمت به
فلا يصدر من أحدهم دعوى أن الأعلم من السيد ..... ولا يصدر
من أحدهم محاولة تعديل شخص من تقليد السيد .... عن تقليده
ولا يطرح أسس بنحو يوجب الاستفزاز

«عزيزي أبا جواد، في الفترة الأخيرة جاء إلى الزيارة السيد (.......)، وهو شخص لنا علاقات ورفاقة طويلة الأمد معه، وقد اجتمع بي، ودارت أحاديث مفصّلة خلال خمسة مجالس في محاولة لتصفية العلاقات، وتوثيقها بين الجهة (اصطلاح يعني به مرجعيّته؟) ومرجعيّة السيد (......) وكان بودّي أن تكون قربي لاتحدّث إليك بكلّ ما دار من حديث، كما تعوّدت في كلّ قضية، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه، وقد حدّثت الشيخ (.....) بلباب الحديث كلّه، وكلّفته بأن ينقله إليك لكي تضع سياسة الجهة هناك من الناحية الآخنديّة والحوزويّة على أساسها، وتُلزم كلّ أبنائنا بذلك.

إنّ السيد (.......) كان يعترض ويقول: كيف تتصدّى للمرجعيّة في عهد السيد، وقد شرحت له كلّ الظروف، وكلّ سلبيات مرجعيّة السيد تجاهنا، والتي فرضت الاضطرار إلى موقف من هذا القبيل. وبعد أخذ وردّ طويلين قلت له: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد أن تذكر بأنّ مرجعيّتك طوليّة. قلت: نعم، أنا أتلزم بذلك. قالوا: نريد أن تؤكّد لمحبّيك أنّ طبع الرسالة للمقلّدين شيء، ومزاحمة المرجعيّة العليا وإيجاد التفاضل في الأعلميّة والتعديل عن التقليد شيء آخر. قلت: وهذا أيضاً إنّي أراه منذ البداية، والآن سوف أُجدّد التأكيد على أصحابي في هذا المجال.

وعلى هذا الأساس أنا أُريد يا عزيزي أن تفهّم كلّ إخوتك أنّي تعهّدت عنهم جميعاً بأن يلتزموا بما التزمت به، فلا يصدر من أحد منهم محاولة تعديل شخص من

مقلّدي السيد .... عن تقليده، ولا يطرح اسمي بنحو يوجب الاستفزاز، مثلاً كان السيد (.......) ينقل: (أنّه حيما زار (.......) وكانت الجلسة عامرة فقال (......): إنّ السيد الصدر استغنى في المسألة الفلانيّة، وأفتى يكذا، وقال أحد رفقائه: نعم، والسيد (.......) يوافق السيد الصدر، إنّ مثل هذه الكلمات لا يمكن أن أتحمّلها) هذا كلام السيد (.......)، وأنتم ترون يا ولدي أنّ مثل هذا الكلام جانب الإثارة فيه أكبر بكثير من الجوانب الأُخرى.

إنّ الجهة يا أولادي وصلت بعناية اللّه (سبحانه) إلى مرحلة جيّدة وقد تعتبر نوعاً من الإعجاز مع أخذ كلّ الظروف والعوامل بعين الاعتبار، ولهذا فإنّها أحوج ما تكون الآن إلى حلّ التعقيدات بقدر الإمكان، وتمييع منابع الإثارة حتّى ولو لم يحصل أي توسّع عددي...».

الوثيقة رقم (١٠) **«رسالة بخطّ السيد الشهيد»**

ارسلنا اليكم ثلاثين دورة من الحلقات
الثلاث في البريد واذا امكن ان يطلب
بعض اصحاب المكتبات كمية من الكتاب
من بيروت ابتداء فهو اسهل ونحن هنا استوردنا
الف دورة والاقبال على الشراء قياسي وكبير
جدا الامر الذي جعلني افكر - على الخط الطويل -
في كتابة مشروع مماثل لما يدرس من الفقه في
السطوح ايضا

أرسلنا اليكم ثلاثين دورة من الحلقات الثلاث في البريد، وإذا أمكن أن يطلب بعض أصحاب المكتبات كميّة من الكتاب من بيروت ابتداءاً فهو أسهل، ونحن هنا استوردنا ألف دورة، والإقبال على الشراء قياسي وكبير جداً، الأمر الذي جعلني أُفكّر - على الخطّ الطويل - في كتابة مشروع مماثل لما يدرس من الفقه في السطوح أيضاً.

الوثيقة رقم (١١)   «رسالة بخط السيد الشهيد»

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر دام ظله

ما هو الاسلوب الذي يجب أن يمارسه الشاب الجامعي او الموظف الاداري لنشر تعاليم الدين الحنيف وتبشير مفاهيم الاسلام. وما هي المتطلبات التي ينبغي للمسلم المعاصر ان يتوفر عليها في طريق الدعوة الى الاسلام

١٩ صفر ١٣٩٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

لابد له إضافة إلى تجسيد الرسالة الاسلامية
في سلوكه واخلاقه وعلاقاته ان يستوعب
العمل لاجل رسالته لغة العصر ومناهج الفكر
الحديث ويصب المحتوى الاسلامي في اطار
هذه اللغة والمنهج مقارنا بافكار العصر ومعطيات
الحضارة السائدة ويقوم في نفس الوقت بدور
الوسيط بين الجامع الرشيد الذي يحمل
رسالة الاسلام والوسط الذي
يعيش فيه لان كثيرا من الاوساط
لا صلة فعلية لها بالجوامع فلابد من قنوات
وصل تحمل الاشعاع وتمارس عمل امام الجامع
الرشيد في قطاعاتها المختلفة وتعيد الثقة للناس
في قدرة دينهم على تلبية حاجاتهم ومسايرة
طموحهم المشروع وحل مشاكلهم بالطريقة الفضلى

محمد باقر الصدر



بسم اللّه الرحمن الرحيم

سماحة آية اللّه العظمى المرجع الديني السيد محمّد باقر الصدر (دام ظله).

س: ما هو الأُسلوب الذي يجب أن يمارسه الشباب الجامعي أو الموظف الإداري لنشر تعاليم الدين الحنيف وبثّ مفاهيم الإسلام، وما هي المتطلّبات التي ينبغي للمسلم المعاصر أن يتوفّر عليها في طريق الدعوة إلى الإسلام؟

١٩ صفر ١٣٩٤

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ج: لابدّ له إضافة إلى تجسيد الرسالة الإسلامية في سلوكه وأخلاقه وعلاقاته أن يستعمل في العمل لأجل رسالته لغة العصر ومنهاج الفكر الحديث، ويصبّ المحتوى الإسلامي في إطار هذه اللغة والمنهج مقارناً بأفكار العصر ومعطيات الحضارة السائدة ويقوم في نفس الوقت بدور الوسيط بين الجامع الرشيد الذي يحمل رسالة الإسلام والوسط الذي يعيش فيه لأنّ كثيراً من الأوساط لا صلة فعليّة لها بالجوامع فلابدّ من همزات وصل تحمل الإشعاع وتمارس عمل إمام الجامع الرشيد في قطّاعاتها المختلفة وتعيد إلى الناس الأمل في قدرة دينهم على تلبية حاجاتهم ومسايرة طموحهم المشروع وحلّ مشاكلهم بالطريقة الفضلى.

محمّد باقر الصدر

الوثيقة رقم (١٢)

«رسالة بخط السيد الشهيد»

بسم الله الرحمن الرحيم

أولادي وأعزائي حفظكم الله بعينه التي لا تنام

السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته

أكتب إليكم في هذه اللحظات العظيمة التي حقق فيها الإسلام نصرا حاسما ولا مثيل له في تاريخنا الحديث على يد الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني دام ظله وتعاضد سائر القوى الخيرة والعلماء الأعلام وإذا بالحلم يصبح حقيقة وإذا بالأمل العظيم يتحقق وإذا بالأفكار تنطلق بركانا على الظالمين لتتجسد وتقيم دولة الحق والإسلام على الأرض وإذا بالإسلام الذي حسبه الظالمون والمستعمرون في قمقم يكسر القمقم بسواعد إيرانية فتية لم ترهب الموت ولم يثن عزيمتها إرهاب الطواغيت ثم ينطلق من القمقم ليزلزل الأرض تحت أقدام كل الظالمين ويبعث في نفوس المسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها روحا جديدة وأملا جديدا

إن الواجب على كل واحد منكم وعلى كل فرد قدر له حظه السعيد أن يعيش في كنف هذه التجربة الإسلامية الرائدة أن يبذل كل طاقاته وكل ما لديه من إمكانات وخدمات ويضع ذلك كله في خدمة التجربة فلا توقف في البذل والبناء يشاد لأجل الإسلام ولا حد للبذل والقضية ترتفع رايتها بقوة الإسلام وعملية البناء الجديد بحاجة إلى طاقات كل فرد مهما كانت ضئيلة

ويجب أن يكون واضحا أيضا أن مرجعية السيد الخميني التي جسدت آمال الإسلام في إيران اليوم لابد من الالتفاف حولها والإخلاص لها وحماية مصالحها والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم وليست المرجعية الصالحة شخصا وإنما هي هدف وطريق وكل مرجعية حققت ذلك الهدف والطريق فهي المرجعية الصالحة التي يجب العمل لها بكل إخلاص والميدان المرجعي أو الساحة المرجعية في إيران يجب الابتعاد بها عن أي شيء من شأنه أن يضعف أو لا يساهم في الالتفاف حول المرجعية الرشيدة القائدة

أخذ الله بيدكم وأقر عيونكم برحمة النصر وحفظكم سندا وذخرا

والسلام عليكم يا أحبتي ورحمة الله وبركاته

أبوكم

بسم الله الرحمن الرحيم

أولادي وأعزّائي حفظكم الله بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

أكتب إليكم في هذه اللحظات العظيمة التي حقّق فيها الإسلام نصراً حاسماً وفريداً في تاريخنا الحديث على يد الشعب الإيراني المسلم، وبقيادة الإمام الخميني (دام ظلّه) وتعاضد سائر القوى الخيّرة والعلماء الأعلام، وإذا بالحُلم يصبح حقيقة، وإذا بالأمل يتحقّق، وإذا بالأفكار تنطلق بركاناً على الظالمين، لتجسّد وتقيم دولة الحقّ والإسلام على الأرض، وإذا بالإسلام الذي حبسه الظالمون والمستعمرون في قمقم، يكسر القمقم بسواعد إيرانيّة فتية لا ترهب الموت، ولم يثن عزيمتها إرهاب الطواغيت، ثمّ ينطلق من القمقم ليزلزل الأرض تحت أقدام كلّ الظالمين، ويبعث في نفوس المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها روحاً جديدة وأملاً جديداً.

إنّ الواجب على كلّ واحد منكم، وعلى كلّ فرد قدّر له حظّه السعيد أن يعيش في كنف هذه التجربة الإسلاميّة الرائدة أن يبذل كلّ طاقاته، وكلّ ما لديه من إمكانات وخدمات، ويضع ذلك كلّه في خدمة التجربة، فلا توقّف في البذل والبناء يُشاد لأجل الإسلام، ولا حدّ للبذل والقضية ترتفع رايتها بقوّة الإسلام، وعملية البناء الجديد بحاجة إلى طاقات كلّ فرد مهما كانت ضئيلة.

ويجب أن يكون واضحاً أيضاً أنّ مرجعيّة السيد الخميني التي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لابدّ من الالتفاف حولها، والإخلاص لها، وحماية مصالحها، والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم، وليست المرجعيّة الصالحة شخصاً، وإنّما هي هدف وطريق، وكلّ مرجعيّة حقّقت ذلك الهدف والطريق فهي المرجعيّة الصالحة التي يجب العمل لها بكلّ إخلاص.

والميدان المرجعي أو الساحة المرجعيّة في إيران يجب الابتعاد بها عن أيّ

شيء من شأنه أن يُضعف أو لا يساهم في الحفاظ على المرجعيّة الرشيدة القائدة.

أخذ اللّه بيدكم، وأقرّ عيونكم بفرحة النصر، وحفظكم سنداً وذخراً.

والسلام عليكم يا أحبّتي ورحمة اللّه وبركاته.

أبوكم

الوثيقة رقم (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

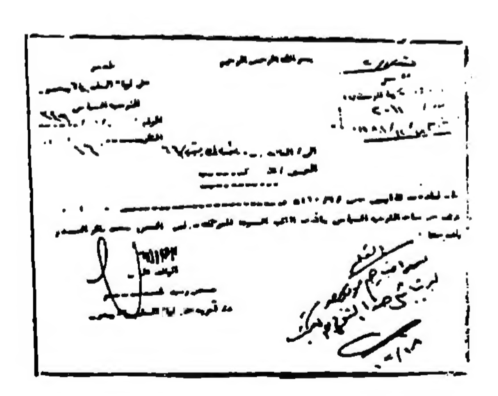
سري/٢
الكتيبه المتوسطه/٢
العدد/٢٠١١
التاريخ/١٩٨١/١٢/١٨

مقر
جحفل لواء السابع والاربعون
الرقم/ /١٢/٢٤٩
التاريخ/ ١٩٨١/١٢/٢٦

الى / القاشمه ب ٠ بط٢ قا مق١٦/٦٦
الموضوع / اتلاف كتـــب

كتاب قيادة سوقه اربيل ب س / ٨/ ٨٤٦٠ فـــــــــي
يرجى من ضابط التوجيه السياسي باتلاف الكتب الممنوعه المولفه من قبل المجرم محمد باقر الصدر واعلامنا .

الرائد الركن
مشعل رشيد ناصـــر
ع / آمر جحفل لواء السابع والاربعين



«يرجىٰ من ضابط التوجيه السياسي بإتلاف الكتب الممنوعة المؤلّفة من قبل المجرم محمّد باقر الصدر»

نداء ورجاء

إلى كافة السادة العلماء والمؤمنين الكرام الذين لهم ذكريات مع السيد الشهيد أو لديهم صور أو رسائل ووثائق بخطّه التفضّل بتزويد المؤلّف بها؛ على أمل الاستفادة منها في الطبعات اللاحقة لهذا الكتاب، راجين أن تكون هذه المبادرات بداية لقيام مؤسّسة تهتم بجمع تراث السيد الشهيد ﷺ وحفظه من الضياع. والله ولي التوفيق.

المؤلّف

العنوان:

جمهورية إيران الإسلاميّة

قم المقدّسة ـ ص. ب ٣٧١٨٥/٩٩٧

فاكس: ٧٤٢٨٩٥

تلفون: ٧٣٥٩٢٠